منبر الإسلام

العدد ٧ - السنة ٤٧
رجب ١٤٠٩هـ
فبراير ١٩٨٩م
الثمن ٤٠ قرشا

عدد ممتاز بمناسبة الإسراء والمعراج

مع العدد هدية
الفردوس (مجلة الطفل المسلم)

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا

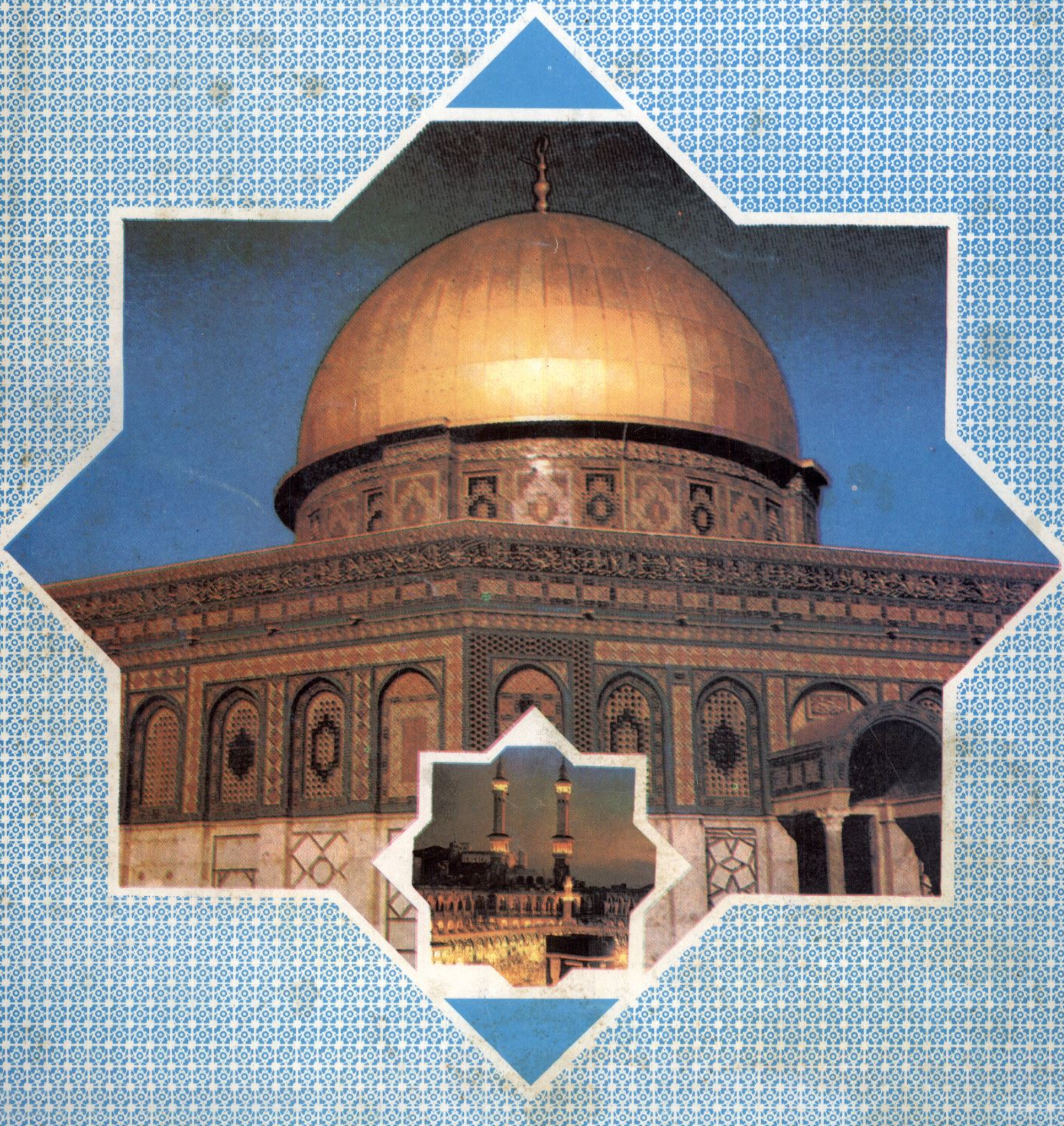

منبر الإسلام

تصدر في غرة كل شهر عربي

•••

مع العدد :

(الفردوس) مجلة الطفل المسلم

الإشتراكات

تطلب الاشتراكات من : مؤسسة أخبار اليوم - شارع الصحافة - القاهرة - إدارة الاشتراكات

الاشتراكات عن سنة كاملة : ٦ " ستة جنيهات مصرية " بجمهورية مصر العربية

١٥ " خمسة عشر دولاراً " لاتحاد البريد العربي الافريقي

" بريد جوي "

٣٠ " ثلاثون دولاراً " لباقي الدول الأجنبية " بريد جوي "

المراسلات

٩ شارع النباتات - جاردن سيتي تليفون : ٣٥٤١٦٢٧ / ٣٥٤٩٩٦٣ / ٣٥٥٣٦٢١ تلغرافيا : منبر الإسلام - القاهرة

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة

منبر الإسلام

تصدرها وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس التحرير

الدكتور محمد على محجوب
وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

نائب الرئيس

الدكتور جمال الدين محمد محمود
الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

عبد اللطيف فايد

مجلس التحرير

الدكتور عبد المنعم النمر
الدكتور احمد كمال ابو المجد
الدكتور ابو الوفا التفتازانى
الدكتور عبد الله عبد الشكور كامل
الدكتورة سعاد ماهر
الأستاذ محمود مهدى

مدير التحرير

عبد العظيم ملوك

غلاف الشهر

بسم الله الرحمن الرحيم

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ
إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾

كلمة التحرير

عزيزى القارىء :

يصدر هذا العدد من مجلتك « منبر الاسلام » مع هلال شهر رجب ، ذلك الشهر الذى شرفه الله بوقوع حدث من أعظم أحداث الدعوة الاسلامية ، وهو الاسراء والمعراج . هذا الحدث الذى كان بحق درسا من دروس النضال المستمسك بالله سبحانه وتعالى ، فكان سببا فى النصر بعد أن انفض عن صاحب الدعوة البشر الذين كان يمكن أن ينتصر بهم ، فكان نصر الله .

الحدث معجزة من المعجزات الكبرى للرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو تسرية عن نفس المبعوث رحمة للعالمين فى وقت من أشد الأوقات التى مرت به وبدعوته . ولقد تحدث الناس كثيرا ، العلماء وغير العلماء فى الاسراء والمعراج ، وبخاصة فى عصرنا هذا الذى يشهد تقدما علميا فى الانتقال والاتصال . وفسره البعض بالظواهر العلمية فى هذا التقدم بينما وقف الآخرون به عند كونه معجزة من الله لرسوله هى أقوى من التفسير بأى تقدم علمى مهما تكن قدرته على اختصار الأزمنة والسيطرة على الظروف .

ويتصل بهذا الحدث ما ساد الجزيرة العربية حينئذ من عجب ودهشة زادت المفكرين افكارا ، وانحرفت ببعض من آمنوا عن خط الايمان ، ولم يبق مع الرسول سوى نفر قليل .. كذلك ما جرى فى المعجزة المباركة من وقائع ومشاهد ، كل ذلك يتطلب بيانا فى الذكرى لمن لا يعرفون، وتأكيدا وتثبيتا لمن يعرفون وزيادة يقين .

وعلى أرض الاسراء والمعراج تقع حاليا انتفاضة لمقاومة الاحتلال الاسرائيلى الغاصب ، وتقع محاولات يهودية لتغيير معالم القدس الشريف وآثاره التى ترتبط بها افئدة المسلمين .

كل هذا عاشت معه مجلة « منبر الاسلام » من اجلك عزيزى القارىء فى هذه المناسبة .

وهى بالاضافة الى ذلك لم تنس واجبات اخرى تقدمها اليك درجت على ان تاخذ بيدك الى الجديد منها تستطيع ان تقراها فى هذا العدد الجديد .

« منبر الاسلام »

حديث الشهر

المعنى الغائب فى

عندما يبحث الأفراد والجماعات والدول فى العصر الحالى عن حلول لمشكلاتهم وقضاياهم يدرسون اولا الظروف الاجتماعية والدولية من حولهم ، فاذا كانت مواتية أمام نظرهم سعوا الى هذه الحلول بطرح الموضوعات والدفاع عنها وكسب الأنصار لها ، واذا لم تكن مواتية انتظروا وصبروا وقد يطول الانتظار والصبر . وقد شهد العالم من وراء هذا المنهج قضايا طال بها الزمان حتى وجدت حلا وقضايا لايزال الزمان يطول بها ولا يبدو حلها قريبا.

والأمثلة على ما اقول كثيرة اقربها الى عيوننا قضية فلسطين .. مرت أربعون عاما وهى تنتظر الظرف الدولى المناسب، ولم يات حتى الآن هذا الظرف ، فالذين يقفون الى جانب اسرائيل يؤيدون باطلها ويسيطرون على العالم من شرق ومن غرب ، حتى جاءت الانتفاضة تصنع بحجارة أطفالها الظرف المناسب ، واذا هى استمرت فان الله سبحانه سيهىء لها وسائل النصر ، وسيغير لها بقدرته الظروف الدولية المناسبة . والاحتلال الاستعمارى لكثير من الدول طال سنوات كثيرة قربت من المائة فى بعض الدول المستضعفة ، وزادت عليها فى دول أخرى، وانتظرت الظرف المناسب ، وبعضها لايزال ينتظر ، لكن هذا الظرف المناسب حينما جاء واستثمرته لصالحها فانها لم تتخلص تماما من معنى الاحتلال واستغلاله ، فهى اذا تخلصت منه عسكريا فقد ظلت افكاره تعشش فى أدمغة موجهى حركتها فى الاعلام والتنمية والثقافة ، وهى بذلك تعتبر داخل حدوده وليس خارجها .

واذا كانت الانتفاضة الفلسطينية تاخذ دورها ليكتب الله لها تغيير الظروف الدولية فان المجاهدين فى افغانستان حينما راوا الحكم المادى يحاول السيطرة على بلادهم ويستعين على ذلك بالجيوش الغازية فانهم لم يعبأوا بهذه القوة العالمية التى توجه حركة مساحات شاسعة من العالم ، وانما قاموا بما لديهم وهو ضعيف ضعيف يحاربون ويقاومون ، حتى اوشكوا بتوفيق الله ان ينتصروا على هذه القوى

فهم الإسراء والمعراج

العالمية ذات النفوذ الواسع ، والأمثلة كثيرة فى القرن الحالى من خريطة الأمة الاسلامية ، والمشكلات لاتزال كثيرة على هذه الخريطة ، وابرزها الآن ذلك النفوذ الذى لا يعتمد على الجيوش وحدها وانما يضيف اليها راس المال وصناعة العقول التى تحتل مراكز التوجيه والتعليم والثقافة لتدور حركة الشعوب فى فلكها وتصنع لها جبهات نفوذها .

اقول هذا ونحن نستشرف هلال شهر رجب من العام الحالى ، وهو شهر الاسراء والمعراج ذلك الحدث العظيم فى تاريخ الدعوة الاسلامية ، اذ كان هو السبب الرئيسى المباشر فى صنع نقطة التحول الكبرى فى مسيرة هذه الدعوة ، وكان هو العمل الالهى لتغيير ما يسمى فى الزمان الحالى بالظروف الاجتماعية والدولية ، ولم يكن لدى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أية قوى مادية يستند اليها ليواصل نضاله ، فقد فرغت يداه منها جميعا واستنفدها كلها ، فقد مات أبو طالب عمه ، هذا الرجل العملاق الذى ظل يسانده ويدفع عنه ظلم بنى قومه حتى الرمق الأخير من حياته ، وخديجة ماتت ، تلك السيدة العظيمة التى ما خذلته يوما ولا قصرت يدها عن نصرته ساعة واحدة من أول ما تاجر فى مالها حتى وفاتها فكانت هى السند الأول له عند المفاجاة فى الغار ، وقالت له كلماتها الحنون العاقلة : « والله لا يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق » ، والقت فى حجره كل مالها يستعين به على شئون دعوته ، واستمرت تؤيده بكل وسيلة . ومن قبل موتهما كانت مقاطعة قريش لبنى هاشم ، وحصار المسلمين الضعاف فى الشعب فى عزلة نفسية واجتماعية لم ير لها مجتمع الجزيرة العربية مثيلا .

هذه هى الظروف فى عائلته ، مات أبو طالب وماتت خديجة ، وغالبية بنى هاشم اعداء ، وغير الأعداء لا ينصرون . وهذه هى فى بلده مكة ، كل من فيها

يناصبه العداء ، ولم يؤمن به الا قليل الناس وضعافهم الذين لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا، فليس شىء من حوله مناسب لاستمرار دعوته ، لأنه لن يكسب به الا أعداء .. واتجهت انظار النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك الى من حوله من البلاد ، فذهب الى الطائف وهى البلد القريب اليه ، فمكث بين اهله عشرة أيام يدعوهم ويبصرهم ويرشدهم فلم يظفر منهم بكلمة حلوة ، وانما ردوه ردا كريها لا يدل على كرم نفس ، ولا مروءة طبع، ولا شهامة خصال ، وهم من العرب الذين يؤثر عنهم قرى الضيف ، ونجدة الضعيف ، والدفاع عمن لا يجدون نصيرا .

فى منطق الأحداث ، وفى منهج التاريخ المادى يجب أن يقعد محمد ، ويفض يده من الرسالة ، فقد جرب كل الوسائل طوال اثنتى عشرة سنة تقريبا فلم يجد وسيلة ناجحة ، وهو الرجل الفرد الذى لا يجد من حوله الا أناسا لم يكن عددهم قليلا فحسب، وانما حولهم اضطهاد قريش لهم الى أشباح هزيلة لا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم لفحة هواء ساخن فى هجير الصحراء ، لكن محمدا وقد فقد كل شىء حوله من الناس والأموال وعاطفة النفوس الكريمة لم يفقد الصلة بالله سبحانه ، فهذه الصلة أقوى بكثير من الظروف الاجتماعية الأسرية والمحلية والعامة والدولية ، فاتجه الى ربه يرفع اليه شكاته ويعلن اليه . وقد استنفد أسبابه البشرية وتعرض لكل ما تعرض له من هوان وضعف . انه يستعيذ به من غضبه وسخطه ، وانه المصدر الأول والوحيد للقوة الناصرة ..وهو دعاء ينبغى لكل من يعيشون ظروف المشكلات والقضايا المتعسرة الحل أن يعوه ويحفظوه ويؤمنوا بجدواه : ((اللهم اليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربى . الى من تكلنى ! الى بعيد يتجهمنى أو الى عدو ملكته أمرى. ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك أوسع لى . أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو تحل على سخطك . لك العتبى حتى ترضى ،ولا حول ولا قوة الا بك)) .

ولم يات الفرج بعد الدعاء مباشرة ،وانما استمرت المحنة اشد وأقسى ، فالذين كفروا بالرسول ظلوا على حالهم ، وعاد صاحب الدعاء من الطائف للمؤمنين به خالى الوفاض من قوى ينتصرون بها ، ولم يكن لديه سوى النصح لهم بالصبر والاتجاه الى الله .. وذات ليلة من حيث لا يدرى وهو يعانى من قسوة البشر وقسوة الظروف جاءه جبريل ، وكان حادث الاسراء والمعراج بكل ما يعرف العالم من تفاصيله ، وقد ادركوا على اختلافهم فى تفسيره والايمان به كثيرا من معانيه الا معنى واحدا عرفه المؤمنون بالرسالة ، لكن جماعة من هؤلاء المؤمنين عجبوا للحادث فارتدوا عن الدين. كان الله وقتها يمحص المؤمنين ليرى أيهم أشد تمسكا به عندما تتكاكأ المحن والبلايا والعسرات ، فالله ينصر الذين معه ، ويعلن اليهم أنه معهم ، ومن كان الله معه فان كل الظروف غير المواتية لن تقف عقبة فى طريق نصره ، فالله يصنع له الظروف .. وصنع الله الظروف بعد الاسراء والمعراج ، وهذا هو المعنى الذى غاب عن المسلمين مع توالى الأزمان ، الا من رحم الله .

عبد اللطيف فايد

مع القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا نحن نزَّلْنا الذِّكْرَ

وإنّا لهُ لَحافِظُونَ

« صدق الله العظيم »

نظرات ودراسات

تفسير القرآن الكريم

تفسير سورة الأنعام

الدكتور محمد سيد طنطاوى
مفتى جمهورية مصر العربية

تحدثت الآيات السابقة عن جانب من مشاهد يوم القيامة ، ثم جاءت هذه الآيات فتحدثت عن عدالة الله ـ تعالى ـ فى أحكامه ، وسعة غناه ورحمته ، وعن حسن عاقبة المؤمنين وسوء مصير الكافرين فقال تعالى : « ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون » .

ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ
الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ
مِّمَّا عَمِلُوا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ
الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم
مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ
مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ ۖ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَا قَوْمِ
اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن
تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾
وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا
هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ
فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ۗ
سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ
قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ
دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾
وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ
بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ
اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾
وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ
عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ
وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا
أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً
عَلَى اللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ *

والمعنى : ذلك الذى ذكرناه لك يا محمد من اتيان الرسل يقصــون على الأمم آيات الله ، سببه أن ربك لم يكن من شأنه ولا من سنته فى تربية خلقه ان يهلك القرى من أجل أى ظلم فعلوه قبل أن ينبهوا على بطلانه ، وينهوا عنه بواسطة الأنبياء والمرسلين . فربك لا يظلم ، ولا يعذب أحدا وهو غافل لم ينذر قال ــ تعالى :

« وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » .

وقال تعالى :

« وان من أمة الا خلا فيها نذير » .

فالآية الكريمة صريحة فى أنه ــ سبحانه ــ قد أعذر الى الثقلين بارسال الرسل ، وانزال الكتب ، وتبيين الآيات ، والزام الحجة .

« رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » .

ثم بين ــ سبحانه ــ أن الدرجات انما هى على حسب الأعمال فقال ــ تعالى ــ **« ولكل درجات مما عملوا »** أى : ولكل من المكلفين جنا كانوا أو انسا درجات أى منازل ومراتب **« مما عملوا »** أى : من أعمالهم صالحة كانت أو سيئة أو من أجل أعمالهم اذ الجزاء من جنس العمل والعمل متروك للناس يتسابقون فيه . والجزاء ينتظرهم عادلا لا ظلم فيه .

« وما ربك بغافل عما يعملون » بل هو عالم بأعمالهم ومحصيها عليهم ، لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء .

ثم صرح ــ سبحانه ــ بغناه عن كل عمل وعن كل عامل ، وبأنه هو صــاحب الرحمــة الواسعة ، والقدرة النافذة فقال : **« وربك الغنى ذو الرحمة »** .

أى : وربك يا محمد هو الغنى عن جميع خلقه من كل الوجوه ، وهم الفقراء اليه فى جميــع أحوالهم ، وهو وحده صاحب الرحمة الواسعة العامة التى شملت جميع خلقه .

والجملة الكريمة تفيد الحصر ، وقوله : وربك مبتدأ ، والغنى خبره ، وقوله **« ذو الرحمة »** خبر بعد خبر . وجوز أن يكون هو الخبر ، و **« الغنى »** صفة لربك .

وفى هذه الجملة تنبيه الى أن ما سبق ذكره من ارسال الرســل وغيره ، ليس لنفعه ــ سبحانه ــ ، بل لترحمه على العباد ، وتمهيد لقوله بعد ذلك :

« ان يشــأ يذهبكم ويستخلف من بعــدكم ما يشاء » .

أى : أنه ــ سبحانه ــ ان يشأ . اذهابكم أيها الناس بالاهلاك لفعل ذلك فهو قدير على كل شىء ، وعلى أن ينشىء بعد اذهابكم ما يشاء من الخلق الذين يعملون بطاعته ، ولا يكونون أمثالكم .

والكاف فى قوله : **« كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين »** فى موضع نصب والمعنى : ان الله ــ تعالى ــ قادر على أن يستخلف من بعدكم مايشاء استخلافا مثل ما أنشأكم من ذرية قوم آخرين . ونظيره قوله ــ تعالى :

« ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا » .

وقوله :

« يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد . ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد . وما ذلك على الله بعزيز » .

ثم بين — سبحانه — أن أمر البعث والحساب كائن لا ريب فيه فقال :

« ان ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين » .

أى : ان ما توعدون من أمر القيامة والحساب، والعقاب والثواب . لواقع لا شك فيه ، وما أنتم بمعجزين : أى : بجاعليه عاجزا عنكم ، غير قادر على ادراككم . من أعجزه بمعنى جعله عاجزا . أو : بفائتين العذاب ، من أعجزه الأمر . اذا فاته . أى لا مهرب لكم من عذابنا بل هو مدرككم لا محالة .

ثم أمر الله — تعالى — نبيه — صلى الله عليه وسلم — أن ينفض يده من هؤلاء المشركين . وأن يتركهم لأنفسهم . وأن ينذرهم بسوء العاقبة اذا ما استمروا فى كفرهم فقال — تعالى :

« قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لايفلح الظالمون » .

أى : قل يا محمد لهؤلاء المصرين على كفرهم اعملوا على غاية تمكنكم من أمركم . وأقصى استطاعتكم . مصدر مكن — ككرم — مكانة ، اذا تمكن أبلغ التمكن وأقواه ، أو المعنى اعملوا على جهتكم وأثبتوا على كفركم وحالتكم التى أنتم عليها من قولهم . مكان ومكانة كمقام ومقامة .

قال الزمخشرى . يقال للرجل اذا أمر أن يثبت على حالة ، مكانتك يا فلان أى . اثبت على ما أنت عليه لا تنحرف عنه .

والأمر للتهديد والوعيد ، واظهار ما هو عليه — صلى الله عليه وسلم — فى غاية التصلب فى الدين ، ونهاية الوثوق بأمره ، وعدم المبالاة بأعدائه أصلا .

وقوله **« انى عامل فسوف تعلمون »** أى : انى عامل على مكانتى ، ثابت على الاسلام لا أتزحزح عن الدعوة اليه ، فسوف تعلمون بعد حين من تكون له العاقبة الحسنى فى هذه الدنيا .

وقوله . « فسوف تعلمون » بجانب افادته للانذار ، فيه انصاف فى المقال ، وحسن أدب فى الخطاب ، حيث لم يقل — مثلا — العاقبة لنا ، وانما فوض الأمر الى الله ، فهو كقوله — تعالى:

« وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين » .

وفيه تنبيه على وثوق المنذر بانه على الحق .

ثم ختمت الآية بقوله — تعالى — **«انه لا يفلح الظالمون »** أى . لن يظفروا بمطلوبهم بسبب ظلمهم ، وقيل المراد بالظلم هنا الكفر . ووضع الظلم موضع الكفر ، ايذانا بأن امتناع الفلاح يترتب على أى فرد كان من أفراد الظلم ، فما ظنك بالكفر الذى هو أعظم أفراده .

قال ابن كثير . وقد أنجز الله موعوده لرسوله — صلى الله عليه وسلم — فمكن له فى البلاد ، وحكمه فى نواصى مخالفيه من العباد ، وفتح له مكة ، وأظهره على من كذبه من قومه ، واستقر أمره على سائر جزيرة العرب .. وكل ذلك فى حياته ، ثم فتحت الأقاليم والأمصار بعد وفاته . قال — تعالى :

« انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد »(١) .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١٧٩

وحكمت الآيات الكريمة بعض الرذائل التى كانت متفشية فى المجتمع الجاهلى ، أما الرذيلة الأولى فملخصها أنهم كانوا يجعلون من زروعهم وانعامهم وسائر أموالهم نصيبا لله ونصيبا لأوثانهم ، فيشركونها فى أموالهم . فما كان لله صرفوه الى الضيفان والمساكين ، وما كان للأوثان أنفقوه عليها وعلى سدنتها فاذا رأوا ما جعلوه لله أزكى بدلوه بما للأوثان ، واذا رأوا ما جعلوه للأوثان أزكى تركوه لها .

استمع الى القرآن وهو يقص ذلك باسلوبه الحكيم فيقول . ((وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا)) .

((ذرأ)) بمعنى خلق يقال : ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذرءا ، أى . خلقهم وأوجدهم .

وقيل . الذرأ الخلق على وجه الاختراع .

اى . وجعل هؤلاء المشركون مما خلقه الله — تعالى — من الزروع والأنعام نصيبا لله يعطونه للمساكين وللضيوف وغيرهم ، وجعلوا لأصنامهم نصيبا آخر يقدمونه لسدنتها . وانما لم يذكر النصيب الذى جعلوه لأصنامهم اكتفاء بدلالة ما بعده وهو قوله : **((فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا)) .**

اى : فقالوا فى القسم الأول : هذا لله نتقرب به اليه ، وقالوا فى الثانى : وهذا لشركائنا نتوسل به اليها :

وقوله — تعالى — فى القسم الأول ((هذا لله بزعمهم)) اى : بتقولهم ووضعهم الذى **لا علم لهم به ولا هدى .**

قال الجمل : ومن المعلوم أن الزعم هو الكذب، وانما نسبوا للكذب فى هذه المقالة مع أن كل شىء لله ، لأن هذا الجعل لم يأمرهم به الله وانما هو مجرد اختراع منهم(١) .

ثم فصل — سبحانه — ما كانوا يعملونه بالنسبة للقسمة فقال : ((فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله ، وما كان لله فهو يصل الى شركائهم)) .

أى : فما كان من هذه الزروع والأنعام من القسم الذى يتقرب به الى شركائهم ، فانهم يحرمون الضيفان والمساكين منه ولا يصل الى الله منه شىء ، وما كان منها من القسم الذى يتقرب به الى الله عن طريق اكرام الضيف والصدقة ، فانهم يجورون عليه ويأخذون منه ما يعطونه لسدنة الأصنام وخدامها فهم يجعلون قسم الأصنام لسدنتها وأتباعها وحدهم ، بينما القسم الذى جعلوه لله بزعمهم ينتقصونه ويضعون الكثير منه فى غير موضعه ، ويقولون : ان الله غنى وان آلهتنا محتاجة .

وقد عقب القرآن على هذه القسمة الجائرة بقوله ((ساء ما يحكمون)) اى ساء وقبح حكمهم وقسمتهم حيث آثروا مخلوقا عاجزا عن كل شىء ، على خالق قادر على كل شىء ، فهم بجانب عملهم الفاسد من أساسه لم يعدلوا فى القسمة .

هذه هى الرذيلة الأولى من رذائلهم، اما الرذيلة الثانية فهى أن كثيرا منهم كانوا يقتلون أولادهم ، ويئدون بناتهم لأسباب لا تمت الى العقل السليم بصلة وقد حكى القرآن ذلك فى قوله :

((وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم)) .

اى : ومثل ذلك التزيين فى قسمة الزروع والأنعام بين الله والأوثان ، زين للمشركين

---

(١) حاشية الجمل على الجلالين ج ٦ ص ٩٣

شركاؤهم من الشياطين أو السدنة قتل بناتهم خشية العار أو الفقر فأطاعوهم فيما أمروهم به من المعاصي والآثام .

والتزيين : التحسين ، فمعنى تزيينهم لهم أنهم حسنوا لهم هـذه الأفعال القبيحة ، وحضوهم على فعلها .

وسموا شركاء لأنهم أطاعوهم فيما أمروهم به من قتل الأولاد ، فأشركوهم مع الله فى وجوب طاعتهم . أو سموا شركاء لأنهم كانوا يشاركون الكفار فى أموالهم التى منها الحرث والأنعام .

و « شركاؤهم » فاعل « زين » وأخر عن الظرف والمفعول اعتناء بالمقدم واهتماما به ، لأنه موضع التعجب .

وقوله : « ليردوهم » أى ليهلكوهم ، من الردى وهو الهلاك . يقال ردى ــ كرضى ــ أى : هلك .

وقوله : « وليلبسوا عليهم دينهم » معطوف على ليردوهم ، أى ليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل ــ عليه السلام ــ حتى زالوا عنه الى الشرك .

ويلبسوا مأخوذ من اللبس بمعنى الخلط بين الأشياء التى يشـبه بعضها بعضا وأصله الستر بالثوب ، ومنه اللباس ، ويستعمل فى المعانى فيقال : لبس الحق بالباطل يلبسه ستره به . ولبست عليه الأمر . خلطته عليه وجعلته مشتبها حتى لا يعرف جهته . فأنت ترى أن شركاءهم قد حسنوا لهم القبيح من أجل أمرين هما :اهلاكهم وادخال الشبهة عليهم فى دينهم عن طريق التخليط والتلبيس .

ثم سلى الله ــ تعالى ــ نبيه صلى الله عليه وسلم ــ وهدد أعداءه فقال : « ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون » .

أى : ولو شاء الله ألا يفعل الشركاء ذلك التزيين أو المشركون ذلك القتل لـمـا فعلوه ، لأنه ــ سبحانه ــ لا يعجزه شىء ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات بسبب ما يفعلونه ، بل دعهم وما يفترونه من الـكذب ، فانهم لسـوء استعدادهم آثروا الضلالة على الهداية .

والفاء فى قوله « فذرهم » فصيحة . أى : اذا كان ما قصصناه عليك بمشـيئة الله ، فدعهم وافتراءهم ولا تبال بهم ، فان فيما يشاؤه الله حكما بالغة .

ثم حكى القرآن رذيلة ثالثة من رذائلهم المتعددة، وهى أن أوهام الجاهلية وضلالاتها ساقتهم الى عزل قسم من أموالهم لتكون حكرا على آلهتهم بحيث لا ينتفع بها أحد سوى سدنتها . ثم عمدوا الى قسم من الأنعام فحرموا ركوبها وعمدوا الى قسم آخر منهـا فحرموا أن يذكر اسم الله عليها عند ذبحهـا أو ركوبها الى آخـر تلك الأوهام المفتراة .

استمع الى القرآن وهو يقص ذلك فيقول : « وقالوا هـذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء ــ بزعمهم ــ » .

حجر : بمعنى المحجور أى : الممنوع من التصرف فيه ، ومنه قيل للعقل حجر لكون الانسان فى منع منه مما تدعوه اليه نفسه من آثام .

أى : ومن بين أوهام المشركين وضلالاتهم أنهم يقتطعون بعض أنعامهم وأقواتهم من الحبـوب وغيرها ويقولون : هذه الأنعام وتلك الزروع محجورة علينا أى : محرمة ممنوعة ، لا يأكل منها الا من نشاء يعنون : خدم الأوثان والرجال دون النساء أى : لا يأكل منها الا خدم الأوثان والرجال فقط .

وقوله : « بزعمهم » متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل قالوا . أى : قالوا ذلك متلبسين بزعمهم الباطل من غير حجة .

وقوله : « وقالوا هذه » الاشارة الى ماجعلوه لآلهتهم ، والتأنيث باعتبار الخبر وهو قوله : أنعام وحرث وقوله « حجر » صفة لأنعام وحرث ، وقوله : **« لا يطعمها »** صفة ثانية لأنعام وحرث .

هذا هو النـــوع الأول الذى ذكرته الآية من أنواع ضلالاتهم ، أما النوع **الثانى فهو قوله ـ تعالى ـ « وأنعام حرمت ظهورها »** أى : وقالوا مشيرين الى طائفة أخرى من أنعامهم : هــذه أنعام حرمت ظهورها فلا تركب ولا يحمل عليها ، يعنون بهــا البحــائر والســوائب والوصائل والحوامى(١) . التى كانوا يزعمون أنها تعتق لأجل الآلهة . فقوله « وأنعام » خبر لمبتدأ محذوف والجملة معطوفة على قوله « هذه أنعام » .

وأما النوع الثالث من أنواع اختراعاتهم الذى ذكرته الآية فهو قوله : « وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها » .

أى : وقالوا : ايضا هذه أنعام لا يذكر اسم الله عليها عند الذبح وانما يذكر عليها اسماء الأصنام لأنها ذبحت من أجلها .

وقد عقب ـ سبحانه ـ على تلك الأقسام الثلاثة الباطلة بقوله : « افتراء عليه » أى فعلوا ما فعلوا من هــذه الأباطيل وقالوا ما قالوا من تلك المزاعم من أجل الافتراء على الله وعلى دينه. فانه ـ سبحانه ـ لم ياذن لهم فى ذلك ولا رضيه منهم .

ثم ختمت الآية بهذا التهديد الشديد حيث قال : سبحانه « سيجزيهم بما كانوا يفترون » أى : سيجزيهم الجــزاء الشديد الأليم بســبب هــذا الافتراء القبيح .

ثم يحكى القرآن الرذيلة الرابعة من رذائلهم وملخصها أنهم زعموا أن الأجنة التى فى بطون هذه الأنعام المحرمة ، ما ولد منها حيا فهو حــلال للرجال ومحرم على النساء ، وما ولد ميتا اشترك فى أكله الرجال والنساء .

استمع الى القرآن وهو يفضح زعمهم هــذا فيقول : « وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ، ومحرم على أزواجنا ، وان يكن ميتة فهم فيه شركاء » ومرادهم بما فى بطون هــذه الأنعام أجنة البحائر والسوائب .

أى : ومن فنون كفرهم أنهم قالوا ما فى بطون هذه الأنعام المحرمة اذا نزل منها حيا فأكله حلال للرجال دون النساء ، واذا نزل ميتا فأكله حلال للرجال والنساء على السواء .

وفى رواية العوفى عن ابن عباس : أن المراد بما فى بطونهم اللبن . فقــد كانوا يحرمونه على اناثهم ويشربه ذكرانهم وكانت الشاة اذا ولدت ذكرا ذبحوه ، وكان للرجال دون النساء . وان كانت أنثى تركت فلم تذبح ، وان كانت ميتة فهم فيه شركاء .

وقوله : « سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم » تهديد لهم أى : سيجزيهم بما هم أهله من العذاب المهين جزاء وصــفهم أو بسبب وصفهم الكذب على الله فى أمر التحليل والتحريم على سبيل التحكيم والتهجم بالباطل على شرعه . وانه ـ سبحانه ـ حــكيم فى أقواله وأفعاله وشرعه ، عليم بأعمال عباده من خير أو شر وسيجازيهم عليها .

---

(١) البحيرة : الناقة التى تلد خمسة أبطن آخرها ذكر كانوا يشقون أذنها ويتركونها لآلهتهم والسائبة : اسم للناقة التى يتركها صاحبها فلا تنحر لأنها نجت فى الحرب أو نذرها للأصنام

والوصيلة : اسم للناقة التى تلد أول ما تلد انثى ثم تثنى بأنثى كانوا يتركونها للأصنام

والحام : اسم للفحل اذا لقح ولد ولده قالوا حمى ظهره فلا يركب ويترك حتى يموت

والى هنا تكون الآيات الأربعــة التى بدأت بقوله ــ تعالى ــ « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصــيبا ... ألخ » قد قصت علينا أربع رذائل من أفعال المشركين وأقوالهم .

وان العاقل ليعجب وهو يستعرض هــذه الضلالات ــ التى حكتها الآيات ــ يعجب لما تحملوه فى ســبيل ضــلالاتهم من أعباء مادية وخسائر وتضحيات ، يعجب للعقيدة الفاسدة وكيف تكلف أصحابها الكثير ومع ذلك فهم مصرون على اعتناقها ، وعلى التقيد بأغلالها ، وأوهامها ، وتبعاتها .

لكأن القرآن وهو يحكى تلك الرذائل وما تحمله أصحابها فى ســبيلها يقول لأتباعه ــ من بين ما يقول ــ اذا كان أصحاب العقائد الفاسدة قد ضحوا حتى بفلذات أكبادهم ارضاء لشركائهم .. فأولى بكم ثم أولى أن تضحوا فى ســبيل عقيدتكم الصحيحة ، وملتكم الحنيفة السمحاء بالأنفس والأموال .

هذا ، وقــد عقب القرآن الكريم بعد ايراده لتلك الرذائل بقوله :

« قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم ، وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله » .

قال الامام ابن كثير : قد خسر الذين فعلوا هذه الأفاعيل فى الدنيا والآخرة ، أما فى الدنيا فخسروا أولادهم بقتلهم ، وضيقوا على أنفسهم فى أموالهم، فحرموا أشياء ابتدعوها من تلقاء أنفسهم . وأما فى الآخرة فيصيرون الى أسوأ المنازل بكذبهم على الله وافترائهم(١) » .

والتعبير بخسر بدون ذكر مفعول معين يقع عليه الفعل للاشارة الى أن خسارتهم خسارة مطلقة من أى تحديد ، فهى خسارة دينية وخسارة دنيوية ــ كما قال ابن كثير .

وقرأ ابن عامر « قتلوا » بالتشديد . أى : فعلوا ذلك كثيرا ، اذ التضعيف يفيد التكثير .

و « سفها » منصوب على أنه علة لقتلوا أى : لخفة عقولهم وجهلهم قتلوا أولادهم . أو منصوب على انه حال من الفاعل فى قتلوا وهو ضمير الجماعة .

والسفه خفة فى النفس لنقصان العقل فى أمور الدنيا أو الدين .

وقوله « وحــرموا ما رزقهم الله » أى من البحائر والسوائب ونحوهما ، وهو معطوف على « قتلوا » .

ثم بين ــ سبحانه ــ نتيجة ذلك القتل والتحريم فقال : « قد ضلوا وما كانوا مهتدين » أى : قد ضلوا عن الصراط المستقيم بأقوالهم وأفعالهم القبيحة وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب .

قال الشهاب ، وفى قوله « وما كانوا مهتدين » بعد قوله «قد ضلوا» مبالغة فى نفى الهداية عنهم، لأن صيغة الفعل تقتضى حدوث الضلال بعد أن لم يكن . فلذا أردف بهذه الحال لبيان عراقتهم فى الضلال ، وانما ضلالهم الحادث ظلمات بعضها فوق بعض .

روى البخارى عن ابن عباس قال : اذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام « قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين » .

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١٨١

في التفسير التاريخي للقرآن

حضارة دولة سبأ وأسباب انهيارها

الدكتور إبراهيم العدوى
أستاذ الحضارة الإسلامية
بكلية دار العلوم / جامعة القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ
طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ
وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ
أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾

تشرح هذه الآيات الكريمة دورة الحضارة التى قامت فى بلاد اليمن قبل الاسلام ، على عهد دولة سبأ التى حكمت تلك البلاد من سنة ٨٠٠ ق.م. الى سنة ١١٥ ق.م ، ويقصد ببلاد اليمن فى التاريخ القديم ذلك الجزء الغربى من شبه الجزيرة العربية ، الممتد بين باب المندب وحضرموت ، وتميزت تلك الجهات عن سائر ما جاورها من أرجاء بالخير العميم ، حتى صار يطلق عليها اسم اليمن ، من اليمن ، بضم الياء ، وصار علما عليها عند الدانى والقاصى ، ومنهم اليونانيون القدامى الذين أطلقوا على بلاد اليمن اسم « بلاد العرب السعيدة » (Arabia Felix) تأكيدا لسماتها المميزة من حيث الخصب والازدهار بالمقارنة مع الجهات المجاورة لها التى يسودها الجدب والطابع الصحراوى ، على نحو ما يشاهد فى الحجاز ، شمالى اليمن .

وأخذت بلاد اليمن مكانها فى العالم القديم حين استطاعت احدى قبائلها وهى قبيلة سبأ التى أشارت اليها الآيات الكريمة أن توحد سائر القبائل الضاربة فى بلاد اليمن ، وأن تقيم لها دولة عظيمة السلطان ، واتخذت لها عاصمة فى مدينة مأرب ، التى نعمت بدورها بالحدائق الغناء ، التى أشارت اليها فى الآية الكريمة :

« لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان » .

وتناولت الآيات الكريمة الأسس التى انطلقت منها دورة الحضارة التى شهدتها بلاد اليمن على

عهد سبأ ، وذلك فى ظل قرب أهلها من الله سبحانه وتعالى باخلاص العبادة والعمل ، ثم أعقبت الآيات الكريمة ذلك ببيان العوامل التى أدت الى اندثار العمران الذى نعمت به سبأ ، وذلك حين ابتعدت عن الله سبحانه وتعالى بالكفر والطغيان ، على نحو ما يوضحه التفسير التاريخى التالى :

اولا ـ أسس العمران فى حضارة سبأ :

أوضحت الآيات الكريمة أن العمران فى حضارة سبأ ببلاد اليمن استند الى ركيزتين أساسيتين هما :

(أ) الزراعة التى تقوم على شبكة واسعة من السدود لتخزين المياه وتنظيم الافادة منها . فكانت تلك السدود عبارة عن جدران ضخمة تقام فى عرض الأودية الكثيرة فى بلاد اليمن لحجز مياه السيول من أن تتبدد ، ولرفع المياه الى مستوى يمكن الافادة منه فى رى الأراضى المرتفعة على جانبى السد .

وكان أشهر سد فى بلاد اليمن هو « سد مأرب » الذى جاء ذكره فى الآية الكريمة باسم « سيل العرم » ، والعرم جمع عرمة ، وتعنى الحائط والسد ، وبدأ بناء هذا السد مع قيام دولة سبأ ، حيث تعهده ملوكها بالتوسعة والصيانة . وظلت آثار هذا السد قائمة حتى القرن الرابع الهجرى/العاشر الميلادى ، حيث وصفها المؤرخ العربى « الهمدانى » فى كتابه « الاكليل » ، مع مطابقة ما شاهده بنفسه على قول القرآن الكريم، موضحا موقع الجنتين عن يمين السد ويساره . وأكد دراسة الهمدانى عن سد مأرب عدد كبير من علماء الآثار الاسلامية من الأوربيين ، ومنهم المستشرق الفرنسى « أرنو » ، الذى نشر بحثا عن آثار هذا السد ، مدعما بالخرائط فى (المجلة الآسيوية الفرنسية ، سنة ١٨٤٣) .

وغدا سد مأرب نموذجا عاليا لاهتمام سبأ بشئون الزراعة ، وما حفلت به من انتاج وافر لأهل اليمن وتوفير مطالبهم فى الأمن الغذائى .

(ب) وكانت التجارة هى الأساس الثانى من أسس العمران فى بلاد اليمن ، حيث أفاض الله سبحانه وتعالى الأمن على الطرق التجارية بين سبأ وبلاد الشام ، وذلك فى قوله تعالى :

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ
سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾
سبأ ــ ١٨

فكانت بلاد اليمن بحكم موقعها الجغرافى هى التى تتحكم فى مصادر التجارة الشرقية ، وبخاصة مع الهند والشرق الأقصى ، حيث تستورد من تلك الجهات التوابل والأفاوية ، كالبهار والفلفل ، فضلا عن البخور والعطور التى اشتد الطلب عليها من أهالى الشام وغيرها .

وساعدت هذه الأوضاع دولة سبأ على أن تسيطر على مقاليد التجارة ، وبخاصة أنها كانت تحتكر وحدها الطرق المؤدية الى الهند لاحتفاظها بسر الملاحة الى تلك البلاد ، باستخدام نظام الرياح الموسمية ، فكانت سفن سبأ تتجه الى الهند صيفا بفضل الرياح الموسمية الصيفية ، ثم تعود محملة بمنتجات تلك البلاد وخيراتها باستخدام الرياح الموسمية الشتوية التى تساعدها فى طريق العودة من الهند .

وعززت دولة سبأ هذا النظام التجارى باعداد طرق للقوافل تسير بحذاء ساحل البحر الأحمر برا الى بلاد الشام ومصر ، تجنبا لمخاطر الملاحة فى البحر الأحمر وشعابه المرجانية .

وصارت سبأ تجمع فى العمران الذى نعمت به الى جانب الزراعة موارد مالية واسعة عن طريق التجارة ، وهو الأمر الذى كفل لها اقامة السدود مثل « سد مأرب » ، وتزويد طرق التجارة الى بلاد الشام ، بالمحطات الحافلة بشتى مطالب التجار فى السفر آمنين ليلا ونهارا ، كما جاء فى قوله تعالى:

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ
سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾
سبأ ــ ١٨

ثانيا — عوامل انهيار دولة سبأ وحضارتها :

أشارت الآيات الكريمة الى عوامل انهيار دولة سبأ وحضارتها فى جنوحها الى الطغيان ، والكفر بنعمة الله عليهم ، وذلك فيما يلى :

(أ) ظهر طغيان دولة سبأ فى ميدان التجارة دون أن ترعى واجبها الذى منحه الله اياها فى توفير العدالة لأولئك الذين يستخدمون الطرق التجارية الخاضعة لسلطانها ، وأوضحت الآيات القرآنية الكريمة هذا الطغيان فى قوله تعالى :

فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾

سبأ — ١٩

وكان أول عقاب تلقته دولة سبأ هو منافسة الامبراطورية الرومانية لها فى السيطرة على التجارة الشرقية ومصادرها فى بلاد الهند . ذلك أن هذه الامبراطورية بدأت تهتم بالتجارة الشرقية بعد أن استولى أباطرتها على شرق البحر المتوسط ، حيث كانت الأسواق التى تتدفق عليها قوافل سبأ التجارية . وشاهدت السلطات الرومانية مدى الثراء الذى ينهمر على سبأ من تلك الأسواق التجارية ، ولاسيما أن الطرق البحرية الى بلاد الهند كانت سرا لا يعرفه الا تجار سبأ ، لاجادتهم اخفاء استخدام الرياح الموسمية ونظامها الملاحى فى الذهاب والعودة من الهند .

وحدث أيام طغيان سبأ التجارى أن استطاع أحد البحارة من أهل الاسكندرية فى القرن الثانى قبل الميلاد ، واسمه هيبالوس ، أن يكتشف صدفة سر الملاحة الموسمية فى بحر الهند ، ذلك أنه خرج بسفينته الى البحر الأحمر ، مستعينا بالرياح الشمالية فى الوصول الى اليمن ، وتصادف حين اقترابه من باب المندب أن هبت رياح قوية دفعته الى الخروج من هذا البوغاز ، ليجد الرياح الموسمية الصيفية التى تصادف هبوبها فى ذلك الوقت ، لتدفعه الى بلاد الهند . وهناك اكتشف مصادر التجارة الشرقية ، التى احتكرتها سبأ ، وعاد الى بلاده ليعلن هذا الكشف الهام . وبدأت السفن الرومانية تنطلق رويدا رويدا الى بلاد الهند بحرا ومباشرة دون الوساطة ببلاد اليمن وتجار سبأ .

وأدى هذا النشاط البحرى الرومانى الجديد الى تدهور طرق القوافل البرية السبأية الى بلاد الشام ، والى تدهور سلطان سبأ السياسى والتجارى والاقتصادى ، وسقوط دولتهم نهائيا سنة ١١٥ ق.م. مصداقا لقوله تعالى عن سبأ :

وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾

سبأ — ١٩

(ب) تناولت الآيات الكريمة العامل الثانى من عوامل انهيار دولة سبأ وحضارتها ، وهو تدهور شئون الزراعة فيها، مع تدهور سلطانهم التجارى ومزاحمة الامبراطورية الرومانية لدولة سبأ فى السيطرة على « مصادر التجارة الشرقية مع الهند » . ذلك أن نجاح التجار الرومان فى الوصول الى الهند دون وساطة سبأ أدى الى ضعف موارد تلك الدولة الاقتصادية ، وعدم قدرتها على متابعة الانفاق .والرعاية للسدود التى تقوم بخدمة الزراعة . وتردد صدى هذا التطور فى اصابة سد مأرب بالتصدع ، الأمر الذى جاء عقابا لهم على اغفالهم نعمة الله عليهم .

وليست بلاد اليمن فحسب هى التى شهدت وحدها الآثار الخطيرة لانهيار سد مأرب ، فى التاريخ القديم ، وانما شاركتها سائر أرجاء بلاد العرب كذلك . ذلك أنه أعقب تصدع سد مأرب نزوح كثير من قبائل اليمن الى نواحى أخرى ، منها ما كان داخل شبه الجزيرة العربية ، ومنها ما هو خارجها الى بلاد الهلال الخصيب بالعراق والشام ومصر . وحملت هذه الهجرات اليمنية معها ذكريات تلك الحضارة السبأية ، والدرس الذى تلقاه أهلها حين لم يعملوا بما أمرهم الله ، وذلك فى قوله تعالى :

فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾

سبأ ١٦ — ١٧

صدق الله العظيم

التفسير الموضوعى للسورة القرآنية بين النظرية والتطبيق ..

الدكتور/ سيد مرسى ابراهيم البيومى

هذا الموضوع قد يبدو غريبا ، ولكن اذا نظرنا الى الواقع ونفس الأمر والتحقيق العلمى الذى وفقنى الله سبحانه وتعالى وهدانى اليه وحده عز وجل - اذا نظرنا الى ذلك تزول تلك الغرابة .

والسبب الذى حملنى على كتابة هذا المقال فى هذا الموضوع هو عدة تساؤلات أوجهها الى بعض اخوانى المسلمين حيث قالوا لى : (نحن نعلم : أن معنى التفسير الموضوعى : : (القصد الى استقصاء آيات القرآن الكريم التى اشتركت فى موضوع واحد ، وافرادها بالدراسة والبحث) ولكننا نسمع من بعض الباحثين : أن هناك نوعا آخر للتفسير الموضوعى ، وهو ما يسمى بالتفسير الموضوعى للسورة القرآنية ، فهل هذا صحيح ؟ وما المدلول العلمى والخلفية التاريخية لهذا اللون من التفسير ؟ وما أهم الكتب التى ألفت فى هذا النوع ؟ وما فائدة دراسته ؟) ا.هـ ما قاله بعض اخوانى المسلمين .

وهذا المقال فيه الاجابة ان شاء الله تعالى عن هذه الأسئلة ، فأقول وبالله تعالى التوفيق .

تمهيد :

التفسير فى اللغة هو الايضاح والتبيين ، قال تعالى : ((**ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا**)) : أى بيانا وتفصيلا .

أما فى الاصطلاح فقد ذكر له علماء التفسير تعاريف كثيرة ، مختلفة من جهة الألفاظ ، متحدة من جهة المعنى والهدف ، وعلى ذلك يمكننا تعريفه : بأنه علم يبحث فيه عن مراد الله تعالى من كلامه فى القرآن الكريم بقدر الطاقة البشرية .

وانما قلت : (بقدر الطاقة البشرية) لأن معرفة مراد الله تعالى على وجه الحقيقة فى الواقع ونفس الأمر مستحيلة ، وانما نعرف مراد الله تعالى بقدر طاقتنا باعتبارنا من البشر .

أيها القارىء الكريم : اعلم ان نهضة الأمم ورقيها وسعادتها فى الدنيا والآخرة متوقف على العمل بما فى الكتاب والسنة من التعاليم الالهية .

ولا يمكن تطبيق مبادىء القرآن الكريم الا اذا فهمت نصوصه الكريمة حق الفهم ، وكشفت أسرارها ومراميها ، وهذا لا يتأتى الا عن طريق علم التفسير .

فالسر فى نجاح السلف الصالح مع قلة العدد وضيق ذات اليد هو توفرهم على القرآن الكريم والسنة الشريفة دراسة وتعلما وتعليما وتطبيقا وعملا .

وكانوا مضرب الأمثال فى الأبحاث القرآنية والرسائل العلمية المتعلقة بالسنة الشريفة ، فكانت ملكاتهم سليمة ، ومواهبهم الفطرية مستقيمة .

اذن فنحن الآن فى أشد الحاجة الى التوفر على القرآن الكريم والسنة الشريفة دراسة وتطبيقا ، فقد فسدت ملكة البيان العربى ، وضاعت خصائص اللغة العربية حتى من سلائل العرب أنفسهم ، فتدهور أحوالنا الآن يقتضى منا اعادة النظر فى موقفنا من الكتاب والسنة ومبادئنا الاسلامية ، وصدق الله العظيم : **« يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »** وقال تعالى : **« ولينصرن الله من ينصره »** .

ولقد تنوعت مناهج التفسير وتعددت ، ومن هذه الأنواع :

المنهج الموضوعى :

والموضوعى نسبة الى الموضوع المأخوذ من الموضع ، فالملاحظ فى التفسير الموضوعى فى المقام الأول هو موضوع البحث ، ولكن لا يمكننا بحث الموضوع الا اذا فهم الموضع اى المكان الذى يؤخذ منه القضايا الجزئية لهذا الموضوع، والموضع اى المكان المقصود منه النصوص القرآنية التى تعالج الموضوع المقصود بحثه ، وأيضا نصوص السنة التى لها علاقة بالموضوع ان وجدت .

وهذا الموضوع المراد دراسته اما أن يكون كليا ، واما أن يكون جزئيا :

فالتفسير الموضوعى الكلى : معناه أننى أختار موضوعا من موضوعات القرآن الكريم أقصد الى دراسته دراسة موضوعية ثم أقوم بجمع الآيات كلها التى تدور حول الموضوع القرآنى ، سواء أكانت الآيات مكية أم مدنية ، ثم أرتب هذه الآيات حسب نزولها على النبى صلى الله عليه وسلم مع معرفة أسباب النزول ، ثم أكمل الموضوع بما ورد فيه من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ان احتاج الأمر الى ذلك ، حتى يكمل هيكل الموضوع ويزداد وضوحا وبيانا ، ثم أكون الموضوع بأن أجعله فى اطار متناسب وهيكل متناسق ، تام البناء ، متكامل الأجزاء قائم الأركان ، ثم أقوم بدراسة نصوص الكتاب والسنة الخاصة بهذا الموضوع المختار للدراسة — أقوم بدراستها دراسة موضوعية متكاملة ، تجانس بينها ، وتوفق بين عامها وخاصها ومطلقها ومقيدها ، وتوفق بين ما تعارض منها فى الظاهر، وتحكم بناسخها على منسوخها ، حتى تلتقى جميع هذه النصوص فى مصب واحد دون تباين أو اختلاف ، ودون حمل بعض الآيات على معان لا تتحملها ، ومن أمثلة هذا النوع من التفسير : موضوع (وحدانية الله فى القرآن الكريم) وموضوع : (اثبات الرسالة والوحى فى ضوء القرآن الكريم) وموضوع : (البعث والجزاء فى القرآن الكريم) وموضوع : (الأسرة كما يصورها القرآن الكريم) وموضوع : (العلاقات الانسانية فى ضوء القرآن الكريم) وموضوع : (الأخلاق فى القرآن الكريم) الخ . اذن فالتفسير الموضوعى الكلى معناه : القصد الى استقصاء آيات القرآن الكريم التى اشتركت فى موضوع واحد ، اى تتبعها وافرادها بالدراسة والبحث .

وهذا النوع هو الذى يتبادر الى الذهن عند اطلاق اسم التفسير الموضوعى . أما النوع

الآخر وهو التفسير الموضوعى الجزئى ، فهو لا يشمل نصوص القرآن كلها التى اشتركت فى موضوع واحد كالنوع السابق ، ولكن يختص بسورة واحدة ، ولذلك أطلقت عليه : أنه تفسير موضوعى جزىء بمعنى : أننى أختار سورة من سور القرآن الكريم وأبين ما تشتمل عليه تلك السورة من موضوعات ومقاصد وأهداف ، ثم أدرج نصوص كل موضوع من موضوعات هذه السورة المختارة أدرج نصوص كل موضوع تحت موضوعها الخاص بها وأقوم بدراسة هذه النصوص ، وهذا هو الموضوع الخاص بهذا المقال وهو :

التفسير الموضوعى للسورة القرآنية :

انطلاقا مما تقدم يمكننى أن أعرف التفسير الموضوعى للسورة القرآنية « بأنه عبارة عن الكلام على السورة القرآنية على وجه العموم مع بيان أغراضها العامة والخاصة وما فيها ، مع بيان ربط الموضوعات بعضها ببعض ، حتى تبدو السورة ، وهى فى منتهى الدقة والاحكام(١) » .

فاذا قلنا مثلا : ان سورة الفاتحة مشتملة على عدة موضوعات : مثل موضوع أصول الدين، وفروع الدين ، والأخلاق ، والتبشير والانذار ، وقصص الأولين وايقاظ الشعور الباطنى فى الانسان الخ ، ثم ذكرنا النصوص المتعلقة بكل موضوع وأدرجناها تحت الموضوع الخاص بها ، وفسرنا هذه النصوص ، وبينا أن هذه الموضوعات التى اشتملت عليها هذه السورة الكريمة على الرغم من اختلافها فان بينها تناسبا وارتباطا وانسجاما — اذا بينا كل ما تقدم فان هذا يعتبر تفسيرا موضوعيا للسورة القرآنية فى نظرى .

(١) راجع : الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم لفضيلة الدكتور محمد محمود حجازى — رحمه الله تعالى — رسالة دكتوراه فى التفسير وعلومه ص ٢٤ — الطبعة الأولى علم ١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م دار الكتب الحديثة — مطبعة المدنى

الخلفية التاريخية للمنهج الموضوعى للسورة القرآنية :

الحق : أن التفسير الموضوعى للسورة القرآنية ليس بالأمر الغريب وليس بالأمر الجديد ، فقد تعرض الأقدمون لبيان الأهداف والمقاصد لسور القرآن الكريم فقد كشف العلامة الفخر الرازى عن بعض أسرار هذا اللون من التفسير وله مجهود عظيم فى هذا المضمار .

ومن هؤلاء العلامة : الفيروزبادى فى كتابه : (بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز) وقد طبعه المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة — تحقيق العلامة محمد على النجار .

وفى مطلع القرن العشرين ظهر تفسير المنار للسيد رشيد رضا ، وكان أستاذه الامام محمد عبده مصلحا ومجتهدا واماما من ائمة التفسير والفتوى ، وكان له فى التفسير نظرات صائبة ، ومنهج قويم يعتمد على عدة أسس(٢) من بينها الوحدة الموضوعية للسورة ، وأن فكرة السورة يجب أن تكون أساسا فى فهم آياتها ، والموضوع يجب أن يكون أساسا فى فهم الآيات التى نزلت فيه وتأثر بالامام تلميذه النجيب السيد محمد رشيد رضا ، فكان يتبع تفسير كل سورة بملخص لأهم موضوعاتها وقضاياها .

وتأثر بتفسير المنار أساتذة التفسير فى العصر الحديث مثل فضيلة الامام الأكبر الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى — رحمه الله تعالى ، وفضيلة الامام الأكبر الشيخ محمود شلتوت رحمه الله تعالى فله تفسير للأجزاء العشرة الأولى من القرآن الكريم حاول فيه أن يوضح أهداف السور وأغراضها ومقاصدها .

وللأستاذ / سيد قطب — رحمه الله تعالى — جهد بارز ونظر نافذ فى الاحاطة بافكار كل سورة وأهدافها ، يقدم فكرة عامة عن السورة قبل

(٢) انظر : منهج الامام محمد عبده فى تفسير القرآن الكريم للأستاذ الدكتور عبد الله محمود شحاته

تفسيرها آية آية يستطيع القارىء من خلال هذه الفكرة أن يرى وحدة فكرية للسورة ، وذلك فى تفسيره المسمى : (فى ظلال القرآن) .

وكان الأستاذ الدكتور الشيخ محمد عبد الله دراز — رحمه الله تعالى — يفتح عيون الطلاب أثناء تدريسه فى الجامعة على موضوع السورة وفكرتها العامة قبل تفسيرها آية آية ، ويرى أن هذه النقطة غفل عنها جميع المستشرقين فضلا عن بعض علماء المسلمين(١) .

ومن الكتب المؤلفة فى هذا اللون من التفسير بالاضافة الى ما تقدم : (التفسير الواضح) لفضيلة الدكتور محمد محمود حجازى .

ومنها : (أهداف كل سورة ومقاصدها فى القرآن الكريم) لفضيلة الأستاذ الدكتور عبدالله محمود شحاته .

فلسفة هذا المنهج وفوائده :

لقد اتضح أن هناك تخطيطا حقيقيا واضحا ومحددا للسورة يتكون من ديباجة وموضوع وخاتمة ، ولاجدال فى أن طريقة القرآن هذه ليست لها مثيل على الاطلاق ، فى أى كتاب فى الأدب أو فى أى مجال آخر يمكن أن يكون قد تم تأليفه على هذا النحو ، واذا كانت السور القرآنية من نتاج ظروف النزول تكون وحدتها المنطقية والأدبية معجزة المعجزات ، وليس المقصود بوحدة الموضوع للسورة أن السورة بحث فى كتاب ، أو فصل فى باب ، أو موضوع مستقل ، لأن هناك فارقا كبيرا بين منهج القرآن الكريم ومنهج التأليف عند الناس ، فالقرآن الكريم كتاب هداية وارشاد ، يسلك الى النفوس طريقها ، ويتخولها بالموعظة بين الحين والآخر ، ولكنه جعل لكل سورة موضوعا غالبا عليها ، وسمات بارزة فيها . قال العلامة الشاطبى — رحمه الله تعالى : « ان السورة الواحدة مهما تعددت قضاياها ، فهى تكون قضية واحدة ، تهدف الى غرض واحد ، أو تسعى لاتمامه ، وان اشتملت على عديد من المعانى(٢) » .

ان هذه النظرة العامة للسورة تبرز شخصيتها ، وتجعل القارىء يتعرف على فكرتها العامة ، وتتبع موضوعاتها داخل الاطار العام المميز لها عن غيرها .

« ان هذه الطريقة فى الدراسات القرآنية أجدى على الناس من تتبع الآيات آية بعد آية ، بحسب ورودها فى السورة ، ومن تتبع جمل كل آية وكلمات كل آية وأحيانا حروف كل آية أيضا ليدرس كل ذلك على نحو من التفصيل أو الاجمال أو على نحو من التطويل أو الايجاز ، فان ذلك لا يعطى المنظر العام ، ولا يساعد على تصور عظمة الصورة فى السورة مجتمعة الملامح منضمة التقاسيم كاملة الوضع(٣) » .

من هذا المنطلق فان فكرة التفسير الموضوعى للسورة القرآنية لم تكن نظرية فحسب ، ولكن هذه الفكرة قد طبقت عمليا وظهرت فيها المؤلفات والأبحاث العلمية فى الماضى والحاضر ، وكانت لها نتائجها الطيبة وفوائدها العظيمة .

الله سبحانه وتعالى وحده أسأل أن يعلمنا ما جهلنا ، وأن يذكرنا ما نسينا « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب » .

هذا وبالله تعالى التوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

---

(١) أهداف كل سورة ومقاصدها فى القرآن الكريم للأستاذ الدكتور عبد الله محمود شحاته ص ٥

(٢) راجع (الموافقات) للشاطبى ج ٣ ص ٢٤٩ — المسألة الثالثة عشرة

(٣) انظر : مقدمة كتاب : (المجتمع الاسلامى كما تنظمه سورة النساء) للأستاذ الشيخ / محمد محمد المدنى — رحمه الله تعالى ص ٥ — ٧

أضواء من الحديث الشريف لبيان ما أجمله القرآن عن :

معجزة الإسراء والمعراج

بقلم الشيخ ابراهيم الدسوقى
وزير الأوقاف الأسبق

مما يثيره المشككون فى الاسراء والمعراج أن آياتهما التى وردت فى القرآن الكريم قليلة العدد ، وبعضها يتضمن اشارات الى الحادثتين تنتظر الوضوح . الذين يزعمون ذلك تنقصهم ملكة فهم كتاب الله ، وينقصهم كذلك قراءة السنة الشريفة التى عبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم بأنها مثل القرآن حين قال : « أوتيت القرآن ومثله معه » ، وهى كما يقول العلماء « مفصلة لمجمل القرآن » ، فلا غناء عنها فى فهم القرآن الكريم .. ونحن لذلك نرتاد رياض السنة الشريفة لنلقى الأضواء لمن يريد على معجزة الاسراء والمعراج .

« التحرير »

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(أتيت بالبراق وهو دابة فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبت حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التى تربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فأتانى جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن . فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بى الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل أو قد بعث اليه ففتح لنا ، فاذا بآدم ، فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد بعث اليه فقال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بابنى الخالة يحيى وعيسى ابن مريم فرحبا بى ودعوا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الأول ففتح لنا فاذا أنا بيوسف واذا هو قد أعطى شطر الحسن فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فذكر مثله فاذا أنا بادريس فرحب بى ودعا لى بخير . قال تعالى « ورفعناه مكانا عليا » ثم عرج بنا الى الخامسة فذكر مثله واذا أنا بهارون فرحب بى ودعا لى بخير . ثم عرج بنا الى السماء السادسة وذكر مثله فاذا أنا بموسى فرحب بى ودعالى بخير . ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا أنا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور فاذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه . ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى فاذا أوراقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال ، فاذا غشيها من أمر ربى ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها . فأوحى الله الى ما أوحى ففرض على وعلى أمتى خمسين صلاة فى كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لا يطيقون ذلك وانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم .

قال فرجعت الى ربى فقلت يا رب خفف عن أمتى فحط عنى خمسا ورجعت الى موسى فقلت حط عنى خمسا قال ان أمتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسله التخفيف . قال فلم أزل ارجع بين ربى تعالى وبين موسى ... قال سبحانه يا محمد انهن خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، لكل صلاة عشر انهن خمسون صلاة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فأخبرته فقال ارجع الى ربك فسله التخفيف فقلت قد رجعت الى ربى حتى استحييت منه) .

بين يدى الحديث عن هاتين الرحلتين العظيمتين رحلتى الاسراء والمعراج فانه أول ما يطالعنا منهما انهما رحلتان ربانيتان زادا وعتادا وتوقيتا واعدادا لم يتصلا من الجهد البشرى بظل أو سبب اللهم الا بشرية المرتحل الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلم يكن له من جهد الا جهد المتثل لما يلقى اليه لا جهد المنظم أو المقترح أو المشير. وأنى له ذلك فى رحلة زاوجت بين سفلى الكون وعلويه على نحو لم يقع لنبى قبله . ذلك أن الباحث فى أعماق الماضى البشرى لعهد النبوات يجد خوارق العادات تأتى فى صورة تبعث القلوب الجامدة والعقول ألوانية وتهتف فى وجهها بوجوب التصديق والايمان ، فاذا فزع عنها وبدا وضاؤها من خلال ما تغشاها من ركام البداوة وغواشى الجهالة أخذت تتلقى الأمر فى اذعان ، فهذه ناقة صالح ونار ابراهيم وعصا موسى انها آيات مفزعة لا تمت الى موضوع الدعوة بصلة الا صلة الحمل على الاستجابة لما يطلب من هذه القلوب والاستجابة لأصحاب الدعوات .

وقد يبدو للمرء أنه كلما تقدمت الأيام وتطور الفكر ارتقت المعجزة حتى انها لتأخذ شكل العلم الذى ترشح له ولكنها تسبقه فلئن كان الطب فى زمن عيسى قد بلغ شأوا كبيرا فى التقدم فهذا عيسى يبرىء الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بأذن الله الأمر الذى يقف الطب بين يديه عاجزا، كما تستمر هذه الآيات فى صعودها مع الزمن حتى تكون موضوع الدعوة كمعجزة القرآن ، وليس بلازم أن يكون المعجز فى عصر معجزا فى عصر بعده الا أن يكون المعجز القرآن الكريم فانه خالد.

والمعجزات ليست الا عونا للمتخلفين فى مضمار الفكر تساعدهم على قبول ما يدعون اليه من الايمان .

قال تعالى : سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾

فصلت : ٥٣

فلعل العلم الذى وطأ أكتاف الطبيعة يهيىء سبيل الايمان بمعجزات الأنبياء ولعل امكان النفاذ من أقطار السموات والأرض بواسطة العلم لا يجعلنا نكفر بخوارق العادات فى الاسراء والمعراج قال تعالى :

يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾

الرحمن : ٣٣

اى علم يهيىء لكم الأسباب لذلك .

والاسراء وهو انتقال النبى صلى الله عليه وسلم ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى وكلاهما مكان مقدس ومهبط من مهابط الوحى ومعهد من معاهد النبوة التى كانت مصدر هدايات العالمين . والمعراج ، عروجه أى صعوده من بيت المقدس الى السموات ثم الى حيث استمع الى قول الله بفرض الصلوات المكتوبات وقد كانا بروحه وجسده صلى الله عليه وسلم .

اما دليل الاسراء من القرآن فقوله سبحانه :

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾

الاسراء : ١

والآية نص فى الاسراء وليست نصا فى المعراج. واما دليل المعراج من القرآن فقوله تعالى :

وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾

النجم ١٣ — ١٧

نور انى اراه

وهذه الآية تشير الى ان الذى راى هو النبى راى جبريل مرة اخرى على صورته الأصلية عند سدرة المنتهى فى طريق معراجه كما رآه على هذا الوضع مرة اخرى عندما استوى بالأفق الأعلى.

وجاء فى رواية شريك عن أنس فى الحديث الذى رواه البخارى فى تفسير قوله تعالى : « ثم دنا فتدلى » . قال : حتى جاء (أى رسول الله عليه وسلم الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله اليه فيما يوحى خمسين صلاة .. الخ . والحديث دليل من زعم أنه صلى الله عليه وسلم رأى الله عز وجهه يعنى قوله ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى .

قال الحافظ البيهقى . فى حديث شريك زيادة تفرد بها وهى (فدنا الجبار . الخ) قال : وقول عائشة وابن مسعود وأبى هريرة فى حملهم هذه الآيات على رؤية جبريل أصبح . قال الحافظ بن كثير وهذا الذى قاله البيهقى فى هذه المسالة هو الحق فان أبا ذر قال يا رسول الله هل رأيت ربك قال « نورا أنى أراه » أخرجه مسلم وقوله « ثم دنا فتدلى » انما هو جبريل عليه السلام كما ثبت فى الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين وابن مسعود وكذا فى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال ابن كثير فى تفسيره ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة فى تفسير هذه الآية .

وفى رواية أحمد عن عبد الله بن شقيق قال قلت لأبى ذر لو رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسألته قال وما كنت تسأله ؟ قال كنت أسأله هل رأى ربه ؟ فقال انى قد سألته فقال : «قد رأيته نورا انى أراه» هكذا وقع فى رواية الامام أحمد ، كما أخرجه مسلم فى صحيحه راجع تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣ ، ٩

وأما دليلهما من السنة فالأحاديث الصحيحة فى ذلك كثيرة رويت من خمس وأربعين رواية عن الشيخين وغيرهما تحدثت بها كتب السيرة وفاضت بها كتب السنة حتى لم تدع قولا لمنكر ولا مكانا لشاك ، ومنها الحديث الذى صدرنا به المقال والذى رواه الشيخان .

والاسراء حقيقة تبلغ مكان العقيدة وقد جاء النص عنها صريحا فى القرآن الكريم ومن ينكر وقوعه كافر اذا مات لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين .

وأما المعراج فلا يكفر بذلك لعدم ورود نص صريح عنه فى القرآن ولعدم الاجماع عليه أيضا بل يعتبر فاسقا ، وقد أتى ذنبا كبيرا يعاقب عليه ان لم يتب منه .

عزاء الله للرسول

والاسراء والمعراج كانا فى ليلة السابع والعشرين من شهر رجب على رأى الجمهور وكانا قبل الهجرة بسنة ونصف وقيل بسنة وثلاثة أشهر وقد وقعا فى ليلة واحدة .

ولقد كان لحادث الاسراء والمعراج ظروف وملابسات واكبت ظهوره ، فقد تنكرت ثقيف وغيرها للنبى صلى الله عليه وسلم حين عرض نفسه ودعوته عليهم ، وشاء الله أن يكون فى هذا الحدث العزاء لرسول الله والأنس والتسلية عما لحقه من أذى فى نفسه وجسمه وان كان لا يدرى عن ذلك شيئا ، فقد فزع صلى الله عليه وسلم الى ربه ينشد الأمن فى حماه ويلح عليه أن تسعه عافيته فى دعائه الضارع الذى يفيض انابة الى الله ولياذا به وطلبا لمعونته :

(اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين . أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى الى بعيد يتجهمنى أو الى عدو ملكته أمرى ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تنزل على غضبك أو يحل بى سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك) .

ولقد ظلت صورة مالحقه من أذى شاخصة أمام ناظريه حتى بعد أن تم له النصر على أعدائه المشركين .

ثبت فى الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين رضى **الله عنها أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد عليك من يوم أحد. فقال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم**

يوم العقبة اذ عرضت على ابن عبد ياليل وابن عبد كلال فلم يجبنى منهما أحد الى ما أردت . فانطلقت وأنا مهموم علىوجهى فلم أستفق الا بقرن الثعالب فرفعت رأسى فأذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت فيها فاذا جبريل فنادانى فقال ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك وقد بعث الله ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فنادانى ملك الجبال وسلم على ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثنى ربك اليك لتأمرنى بأمرك فان شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له .

جزاء الصابرين

كما تذكر كتب السيرة أنه قد رزىء من قبل ذلك بفقد النصيرين التى سرت بمناصرتهما له وشدهما من أزره الركبان وهما أم المؤمنين خديجة رفيقة كفاحه وصفيته من نسائه وعمه أبو طالب حتى عرف عام فقدهما عند المسلمين بعام الحزن لا جزعا ولا تسخطا على قضاء الله ولكن أسفا على الدعوة أن يهون أمرها أو يعوزها النصير ، ويكتب عليه بعد ذلك أن يدخل مكة بعد عودته من ثقيف فى حمى مشرك هو المطعم بن عدى بعد أن نكأت جرحه الفئة الباغية فى ثقيف ، ورضى من الغنيمة بالاياب ، فهل استسلم أو تطرق اليه اليأس أو القنوط ؟ لقد تأبى على الركون الى شىء من ذلك رغم ما أصابه من شدائد وأهوال . الأمر الذى كان سببا فى أن يعجل اليه ربه بالنعمى . كفاء ما عجل الى ربه بالتفويض والانابة ويوافيه بأكرم أنواع الزلفى جزاء ما أمل فى واسع رحمته وما يلبث الذى كانت فجاج الأرض تضيق به أسفا وحزنا على الناكثين عن دعوته أن أدلج به الركب الالهى فى صحبة الأمين جبريل ليجمع الى مدد الحاضر مددا من تاريخ اخوانه الأنبياء يلتقى بهم ويتقدمهم اماما يكمل الله به سبط المصطفين الأخيار . ثم يستقبله منهم نخبة كريمة عبر السبع الطباق ، وناهيك بنبى أخذت له السبع الطباق زخرفها وازينت واجتمع له أهلها مع مستقبليه من الأنبياء ينتصرون لدين الحق الذى أرسل به مبشرين بأنه سيهزم الجمع ويولون الدبر . وتفيأ صلى الله عليه وسلم ظل سدرة المنتهى ونعم بريح الجنة عن كثب ، ثم تم له بعد ذلك ما يستعصى على أعيان البيان وصفه وتعيا عامة العقول وخاصتها بادراكه ، وبلغ ببشريته ما لم تبلغه الملائكة المقربون بنورانيتهم وعزت أمته بما شرع لها فى تلك الزورة المباركة على نمط لم يسبق له مثيل فلم يؤمر نبى قبله ولم يندب الى تكرمة الا وهو بين ظهرانى أمته وفى رحاب قومه بواسطة ملك الوحى جبريل عليه السلام ، فأما محمد فقد شافه ربه — ولله المثل الأعلى فى السموات والأرض بافتراض الصلوات الخمس التى صارت بفضل الله خمسا فى الفعل وخمسين فى الأجر . واذا كان الله قد أولى بعض رسله منتا أصابت أقدارهم منها جانبا من الرفعة كما أسجد الملائكة لآدم وعلمه الأسماء كلها وكما كلم موسى وفلق له البحر وكما أتاح لعيسى ان يبرىء الأكمه والأبرص ويحيى الموتى باذن الله فقد جمع لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم كل أنواع التكريم حين أشخصه الى حضرته وأدناه من قدس جنابه وكان لأمته من هذا التكريم أوفر الحظوظ وأبقاها على الزمن ، يفهم ذلك كل مسلم فى حديث القرآن عن نبأ الاسراء والمعراج كلما تلا قوله سبحانه :

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾

الاسراء : آية ١

وقوله سبحانه :

« ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى » .

« سبحان » تسد منافذ الجدل :

واذا كان المشركون قد حال بينهم وبين التصديق لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماران على قلوبهم من ضروب الجهالة والضلالة حتى احتشدوا للزراية بما أخبرهم به صلوات الله عليه فما كان ذلك الا لأنهم قد صمت آذانهم وعميت بصائرهم وزين لهم الشيطان سوء عملهم فظلوا فى غيهم يعمهون ومضوا فى جهالتهم يتخبطون ولو كان لهم حظ من الروية والأناة لفطنوا الى قولهم باختلاق هذه القصة انما كان لما ابتلوا به من سقم الادراك وضيق الأفق ولما قاسوا فعل الله الذى لا يعجزه شىء على فعالهم المحكومة بقواهم القاصرة

وقدرتهم المحدودة وثم فقد كان ما أفحمهم به الحق سبحانه فى مفتتح سورة الاسراء بما يدل على ان الله قد أخضع لمحمد صلى الله عليه وسلم نواميس الطبيعة وقوانين الزمن حتى لا يعوقه شىء من الجاذبية أو الوزن الذى يثقل أو يخف أو غيرهما . كما لم يكن له فى مسراه سعى أو وسيلة ، يشهد بذلك قوله تعالى سبحان الذى أسرى وكلمة « سبحان » تسد منافذ الجدل على المجادلين فى آيات الله وتوحى بأن ما وقع لمحمد انما صدر عمن ملك ناصية الكون بجميع مافيه ولا أحد يمارى أو ينازع فى صنع من يملك ملكوت كل شىء .

نهاية .. وبداية

واذا كانت نهاية الرحلة المسجد الأقصى فقد كان ذلك اشارة الهية بانتهاء دور الرسالات السماوية السابقة وابتداء دور رسالة الاسلام — رسالته صلى الله عليه وسلم — وانها ناسخة لما تقدمها من رسالات وأن للمسجد الأقصى من القداسة ما يحتم على المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها أن يجعلوا قضية استرداد المسجد الأقصى وأرضه شغلهم وأن قوله سبحانه « مازاغ البصر وما طغى » تنبيه الى أن الله سبحانه منح عبده وحبيبه محمدا من التثبيت ورباطة الجأش وجلاء البصيرة ما لم يمنح لغيره حتى لا يأخذه العجب عند شهود سدرة المنتهى وقد غشيها من أمر الله ما غشيها وحتى يتمكن من رؤية الواقع الذى شاهده على حقيقته ولا يصرفه عن ذلك شىء آخر .

ولقد كانت الصلاة فى هذه الليلة فريضة الله على أمة محمد ومنحته التى أباح لهم بها المثول بين يديه والتشرف بمناجاته كل يوم خمس مرات كما كانت فى الملأ الأعلى فى قمة لحظات الصفاء والاخلاص لسيد الوجود كله صلى الله عليه وسلم ، وحقا فقد كانت لحظات من طهارة القلب ونقاء الضمير وصفاء السريرة لتكون ماحية لآثامنا مكفرة لذنوبنا يقول رسولنا صلوات الله عليه :

(لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يومخمس مرات فهل يبقى من درنه شىء قالوا لا يارسول الله قال فكذلك الصلوات الخمس تغسل الذنوب) .

وثم فقد كانت ولها آثارها فى ترقية النفس وتهذيب الطبع وترابط المجتمع الاسلامى وتماسكه كما يبدو ذلك فى الجماعات والجمع والأعياد وذلك حيث يبدو والمسلمون وحدة قوية متماسكة يتعاونون فيها على البر والتقوى .

ان الصلاة عرض متكرر لضمير العبد أمام ربه ، فلا يكاد يغفل عن مناجاة ربه وهو فى صلاته وفى حال تجرده من العلائق المادية والتوجه اليه بالصفاء الروحى ، وكيف ؟ وكلما نسى ذكره داعى الله الى الصلاة .

انها معراج المؤمنين اليومى والسلم الالهى يصعدون عليه بأرواحهم ويذكرون عظمة نبيهم ليزدادوا بالله علما ومنه قربا .

منازل الصلاة

يقول الامام القشيرى سمعت أبا على الدقاق يقول : ان نبينا عليه الصلاة والسلام أتى للأمة بالمعراج أى السلم على التحقيق . فان الصلاة لنا بمنزلة المعراج فقد كان معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة منازل من الحرم الى المسجد الأقصى ثم الى سدرة المنتهى ثم قاب قوسين أو أدنى . فكذلك الصلاة لنا فيها ثلاثة منازل القيام ثم الركوع ثم السجود وهو نهاية القرب قال تعالى « واسجد واقترب » ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد) .

وقد عرض الحديث الذى قدمنا به الموضوع الى الرحلة من المسجدالحرام الى المسجدالأقصى . ثم من المسجد الأقصى الى سدرة المنتهى ثم الى حيث أوحى الله الى حبيبه ما أوحى ثم العودة ولم يعرض الحديث لشىء مما رأى فى هذه الرحلة ونحن نسوق بعض ما جاء من زيادات فى أحاديث الموضوع فيما يلى :

جاء فى حديث أنس عن أبى ذر الذى رواه البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

فرج سقف بيتى وانا بمكة فنزل جبريل ففرج صدرى ثم جاء بطست ممتلىء حكمة وايمانا فافرغه

فى صدرى ثم اطبقه ثم أخذ بيدى فعرج بى الى السماء الدنيا .. الخ .

ثم ذكر أنه فى عودته وعند سدرة المنتهى قال : ثم أدخلت الجنة فاذا فيها حبائل اللؤلؤ واذا ترابها المسك .

وفى رواية جابر بن عبد الله روى الامام أحمد بسنده الى جابر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لما كذبتنى قريش حين أسرى بى الى بيت المقدس قمت فى الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه) .

وفى رواية أبى سعيد الخدرى يقول : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انتهى الى بيت المقدس لقى ابراهيم وموسى وعيسى وأنه أتى بقدحين قدح من لبن وقدح من خمر فنظر اليهما ثم أخذ اللبن فقال جبريل أصبت هديت للفطرة لو أخذت الخمر لغوت أمتك ثم رجع الى مكة فأخبر أنه أسرى به فافتتن به ناس كانوا قد صلوا معه .

وقال ابن شهاب قال أبو سلمة بن عبد الرحمن (فتجهز — أو كلمة نحوها — ناس من قريش الى أبى بكر) .

فقالوا هل لك فى صاحبك يزعم أنه جاء الى بيت المقدس ثم رجع الى مكة فى ليلة واحدة . فقال أبو بكر أو قال ذلك ؟ قالوا نعم . قال فأنا أشهد لئن كان قال هذا فقد صدق . قالوا فتصدقه فى أن يأتى الشام فى ليلة واحدة ثم يرجع الى مكة قبل أن يصبح قال نعم أنا أصدقه بأبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء قال أبو سلمة فبها سمى أبو بكر الصديق .

مشاهد فى الاسراء

وفى حديث أبى سعيد الخدرى أنه صلى الله عليه وسلم قال : فبينما أنا أسير عليه (البراق) اذ دعانى داع عن يمينى يامحمد انظرنى أسالك ثلاثا فلم أجبه ولم أقم عليه قال ذلك داعى اليهود اما انك لو اجبته أو وقفت عليه لتهودت امتك . قال فبينما أنا أسير ودعانى داع عن يسارى . فقال يامحمد انظرنى أسالك فلم أجبه ولم اقم عليه قال : ذلك داعى النصارى أما انك لو أجبته لتنصرت أمتك قال فبينما أنا أسير اذا بامرأة حاسرة عن ذراعيها عليها من كل زينة خلقها الله فقالت يا محمد انظرنى أسالك فلم أجبها ولم أقم عليها قال تلك الدنيا أما انك لو أجبتها أو قمت عليها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة . ثم دخلت بيت المقدس فصلى كل واحد منا ركعتين ثم أتيت بالمعراج الذى كانت تعرج عليه الأنبياء وفى السماء الأولى كان آدم قال فاذا أنا بآدم كهيئته يوم خلقه الله على صورته. ثم قال فاذا هو تعرض عليه أرواح ذريته من المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها فى عليين ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها فى سجين . فمضيت هنيهة فاذا بأخونة عليها لحم مشرح ليس يقربها أحد واذ بأخونة أخرى عليها لحم قد أروح وأنتن عندها ناس يأكلون منها قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء من أمتك يأتون الحرام ويتركون الحلال . قال ثم مضيت هنيهة فاذا أنا بأقوام مشافرهم كمشافر الابل قال فتفتح أفواههم فيلقمون من ذلك الجمر ثم يخرج من أسافلهم فسمعتهم يضجون الى الله عز وجل فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما . «الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » .

قال ثم مضيت هنيهة فاذا أنا بنساء تعلقن بثديهن فسمعتهن يضججن الى الله عز وجل قلت يا جبريل من هؤلاء النساء قال هؤلاء الزناه . قال ثم مضيت هنيهة فاذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر فيقول اللهم لا تقم الساعة قال وهم على سابلة آل فرعون قال فتجىء السائلة فتطؤهم قال فسمعتهم يضجون الى الله قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء من أمتك « الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » قال ثم مضيت هنيهة فاذا أنا باقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمونه فيقال

كل كما كنت تأكل من لحم أخيك قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الهمازون اللمازون ، ابن كثير جـ ٣ أول الاسراء .

وبعد فان حادث الاسراء فضلا عن أنه تثبيت وتكريم للنبى صلى الله عليه وسلم واعداد له نفسيا وعقليا وجسميا لتحمل أعباء الرسالة وتطمين له على حسن العاقبة وخذلان أعدائه وعلو كلمته . هو بعد هذا كله يوحى للمسلمين بمبدئه وهو المسجد الحرام ومنتهاه وهو المسجد الأقصى ، كما يوحى بتذكر مهابط الوحى الذى تلقاه ابراهيم واسماعيل ومهابط الوحى الثانى الذى تلقاه موسى وعيسى وانها كلها مهابط الرسالات الالهية التى جاء محمد صلى الله عليه وسلم لتكميلها والهيمنة عليها وأن تلك الرسالات وان اختلفت أزمنتها وتعددت رسلها واحدة فى دعوتها وغايتها وان الرسل جميعا الذين اصطفاهم الله لتبليغها بناة بيت واحد يضع آخر لبنة فيه خاتمهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم صاحب الاسراء والمعراج واذا فلابد وأن يخفق علم التوحيد والايمان على النحو الذى جاء فى رسالته ولابد وأن تطهر رقعتها من بذور الشرك والوثنية وأن يعلو فيها سلطان الحق وعدالة السماء ويتفيأ أبناؤها ظلال الحرية فى جميع أرجائها .

التخلية قبل التحلية

وبعد فان ذكرى الاسراء والمعراج خير ما يذكرنا ويحفز هممنا بما فيها من دروس تستوحيها من المرائى التى وقعت فيها .

وأول ما يطالعنا من هذه الدروس ما يدعوه الصوفية « بالتخلية قبل التحلية » وذلك بتطهير قلوبنا والتخلص من سلبياتنا والمضى فى طريق التغيير لما قد يكون فيه منها انطلاقا فى حياتنا من الفطرة التى اختارها صلى الله عليه وسلم لنا وطالبه بها ربنا فى قوله :

« فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها » .

وما أشق فعل الخير على النفوس وحملها على سلوك معين فى حياتها يحدد لها مسارها فى جميع شئونها ، وصدق الله : « ان النفس لأمارة بالسوء » وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : (أعدى أعدائك نفسك التى بين جنبيك) .

ثم المضى فى الأخذ بما دعا اليه الاسلام تطبيقا بدءا بأداء الركن الثانى من أركان الاسلام وهو الصلاة التى كانت ابان وصوله الى المسجد الأقصى تحية له ، والصلاة هى الخلعة التى كان لأمة الاسلام شرف التكليف بها والتى هى خير معوان على التخلى عن الرذائل والتحلى بالفضائل . « وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » .

وفى الحديث القدسى يقول تعالى : « انما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتى ولم يستطل على خلقى ولم يبت مصرا على معصيتى وقطع النهار فى ذكرى ورحم الأرملة والمسكين ورحم المصاب . ذلك نوره كنور الشمس أكلاه بعنايتى واستحفظه ملائكتى . أجعل له من الظلمة نورا وفى الجهالة حلما ومثله فى خلقى كمثل الفردوس فى الجنة ، وقد يتطلب تغيير أنماط حياتنا وسلوكنا شيئا من الجلد والصبر وتوطين النفس على اجتياز الصعاب والاستهانة بالمخاطر حتى لا تنتكس خطواتنا ، زادنا لذلك كله قوله تعالى :

« واستعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين » .

وقوله تعالى « وتعاونوا على البر » وهو كل مافيه الخير لديننا ودنيانا، «والتقوى» بالتحرز من كل نقيصة والتحلى بكل فضيلة والضرب بشدة على كل يد تعبث بمقدراتنا أو تسول لها أطماعها العدوان على سلامة مسيرتنا مستعينين بالله الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور والذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . والله ولى التوفيق .

الإسراء والمعراج

بقلم الأستاذ عمر عمل

ماذا تسطر للأسراء أبياتى   والله شرفه فى خير آيات
فهل أقول رأيت الشمس طالعة   والشمس قد ملأت بالنور ذراتى ؟
وهل أقول حباه الله مكرمة   وهو اجتباه ختاما للرسالات ؟
ان كان فى ذلك الأسراء معجزة   ورفعة جاوزت كل النبوات
ففى الكتاب من الأمى ما شفيت   به صدور الورى عند التلاوات
قد أعجز الجن والانسان وانبهروا   بما تضمن من آى وسورات

* * *

يا سيد الرسل يا من قد عرجت بنا   فوق التخبط فى شرك ولذات
ما كنت أعجب للمعراج فى رجب   وقبل آدم أنت المصطفى الآتى
آمنت يا سيدى بالله خالقنا   آمنت أنك مصباحى ومشكاتى
آمنت أنك نور الله يرشدنى   الى الطريق فانجو من خطيئاتى
تكفيك معجزة الاسلام منتشرا   برحمة لجميع الخلق مهداة

المعجزات أمر آخر غير غرائب المخترعات

بقلم الدكتور محمد سيد أحمد المسير
الأستاذ بكلية أصول الدين
جامعة الأزهر

المقصود بالاسراء والمعراج فى السيرة النبوية ـ هو الانتقال بالنبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى بيت المقدس ، ثم الصعود به عليه الصلاة والسلام الى السموات العلا ، ثم الى سدرة المنتهى ، ثم الى حيث شاء العلى الأعلى .. كل ذلك فى جزء يسير من الليل .

وقد ثبت الاسراء بنص قول الله تبارك وتعالى :

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾

الاسراء آية ١

ويشير الى المعراج صدر سورة النجم فى قوله جل شأنه :

وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾

سورة النجم من ١٣ ـ ١٨

والأحاديث الصحيحة المخرجة فى الكتب المعتمدة كثيرة ضافية. ويجب أن نفهم الاسراء والمعراج فى اطار قدرة الله تعالى ، ولعل فى تصدير آية الاسراء بكلمة « سبحان » الموضوعة للتنزيه دلالة على عظم الأمر الذى يليها .

العجائب الشبيهة :

وقد حكى القرآن المجيد عن عجائب تشبه الاسراء وان لم يقاربه ، فالرياح سخرت لسليمان عليه السلام تحمله الى آفاق بعيدة ، عبر عنها القرآن بقوله :

« غدوها شهر ورواحها شهر » .

سورة سبأ آية ١٢

وأخبر القرآن أن الذى عنده علم من الكتاب احضر عرش بلقيس من أقصى اليمن الى أقصى الشام فى مقدار لمح البصر ، سواء قلنا انه سليمان نفسه أو عبد صالح أو ملك مقرب .. !!

قال تعالى :

قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى

سورة النمل آية ٤٠

والتصديق بالاسراء والمعراج ــ بعدما صح الخبر ــ هو مرتبط ارتباطا لا ينفصم بقضية النبوة ، ولعل موقف أبى بكر ــ رضى الله عنه ــ خير تعبير عن ذلك المعنى حين جاءه المشركون قائلين :

هل لك فى صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة الى بيت المقدس ؟ !

قال أبو بكر : أوقال ذلك ؟

قالوا : نعم .

قال : لئن كان قال ذلك لقد صدق .

قالوا : اتصدقه أنه ذهب الليلة الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ؟ !

قال : نعم انى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه فى خبر السماء فى غدوة أو روحة .

ومن يومها سمى أبو بكر صديقا .

حقا ان الاسراء والمعراج أمر عجيب ومثير للدهشة ، ولكن العجب والدهشة شىء ، والانكار شىء آخر ، فما كل عجيب منكر ، ولا كل مدهش غير واقع .

فالمعجزات التى صاحبت دعوة الأنبياء جميعا عجيبةومدهشة ومثيرة ، لكنها واقعة .

وغرائب المصنوعات كذلك تثير تساؤلات لدى العامة والخاصة ، ولكن نصدق بها ونلمس آثارها .

وهنا ينبغى أن نعى أن غرائب المصنوعات ليس فيها اعجاز ، لأنها صنع البشر ويستطيع كل من يتعلمها أن يفعل مثلها ، وهى خاضعة لنواميس ثابتة، فهى اكتشاف لسر الله فى خصائص العناصر .

أما المعجزات فهى خارجة عن مقدور البشر جميعا، وهى لا تخضع للتعلم، وخارقة للنواميس، وهى فعل الله وحده يؤيد بها من يشاء من عباده المصطفين للنبوة .

ساعات حرجة :

وقد وقع الاسراء والمعراج بمكة قبل الهجرة بسنة أو أكثر ، ففى العام العاشر من البعثة حزن الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا لموت عمه أبى طالب وزوجه السيدة خديجة ، وهما من هما دفاعا عن الاسلام وحضانة له حتى سمى هذا العام بعام الحزن ، وكان عليه الصلاة والسلام يقول : (والله ما نالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب) .

وكان يقول عن خديجة :

والله ما أبدلنى الله خيرا منها ، آمنت بى اذ كفر الناس ، وصدقتنى اذ كذبنى الناس ، وواستنى بمالها اذ حرمنى الناس ، ورزقنى منها الولد دون غيرها من النساء .

ولما ضاقت مكة يومئذ برسول الله ذهب الى الطائف يعرض دعوته على أهلها ، فأغروا به سفاءهم وصبيانهم يرضخونه بالحجارة حتى دميت قدماه الشريفتان ، فرجع الى مكة مكروبا مهموما، وتوجه الى الله بدعاء ضارع :

((اللهم اليك اشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ــ يا ارحم الراحمين أنت رب المستضعفين ، وانت ربى ، الى من تكلنى ، الى بعيد يتجهمنى ، أم الى عدو ملكته امرى ، ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى . ولكن عافيتك هى اوسع لى . اعوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات ، وصلح عليه امر الدنيا والآخرة من ان ينزل بى غضبك او يحل على سخطك . لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك)) .

ان هذا التوقيت للاسراء والمعراج له أكثر من مغزى ، انه يعلمنا أن لنا قبلة لا نحيد عنها ، وملجأ لا نعوذ بسواه ، انه يعلمنا موقف الضراعة والعبودية الخاشعة أمام رب العالمين ، فهو سبحانه الخالق المدبر ، وهو سبحانه القادر المهيمن ، وهو سبحانه الحكيم العليم .

فاذا ضاقت بالانسان أسباب الأرض فليتصل برب الأسباب والمسببات ، فرحمة الله قريب من المحسنين ، ونصر الله آت لا ريب فيه — للمؤمنين .

ان الاسراء والمعراج بشرى عظيمة للرسول والمسلمين فى هذا الوقت الذى ضاقت فيه مكة عليهم ، ان الرسول صلى الله عليه وسلم طاف بالآفاق ورأى ملكوت السموات والأرض ، ووصل الى ما لم يصل اليه نبى مجتبى ولا ملك مصطفى .

وفى ذلك دلالة واضحة على ان هذه الرسالة التى يتحملها هذا الرسول ستبلغ ما بلغ الليل والنهار وستطلع على ما طلعت عليه الشمس .

وما هى الا سنوات قلائل حتى قامت الدولة الاسلامية فى المدينة المنورة ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وذهبت كتائب الايمان شرقا وغربا ترسى قواعد العدل ، وتعلى حقوق الانسان ، وتبنى الحياة المثلى ، وتصنع الحضارة الانسانية .

اماكن المعجزات :

ثم ان الرسول صلى الله عليه وسلم أسرى به من مكة المكرمة ، ومر بطور سيناء ، وصلى اماما بالأنبياء فى القدس الشريف ، ومن المعلوم أن هذه الأماكن الثلاثة قد باركها الله ، واصطفاها منزلا للوحى الالهى واحدث فيها من عجائب القدرة وباهر المعجزات ، فابراهيم واسماعيل عليهما السلام قد رفعا قواعد البيت الحرام بمكة ، وكلم الله موسى تكليما فى البقعة المباركة من طور سيناء ، وولد عيسى عبد الله ورسوله من مريم العذراء ونشأ فى أحضان بيت المقدس .

ان هناك رابطة روحية قدسية تجمع بين مكة وسيناء والقدس ، ولعل صدر سورة « التين » يشير الى هذا الترابط الدينى بين هذه البقاع الطاهرة :

« والتين والزيتون ، وطور سينين ، وهذا البلد الأمين » .

ان هذا العقد الفريد فى أعناق المسلمين لا يجوز أن ينزع منهم فهم أمناء الله فى أرضه وأولى الناس بأنبيائه ورسله ، وهم مكلفون بالحفاظ عليه والجهاد فى سبيله ورفع كلمة التوحيد خفاقة على صدور العالمين .

مشاهد المعجزة :

لقد وقعت فى رحلة الاسراء والمعراج مشاهد غيبية تراءى للرسول صلى الله عليه وسلم فيها الماضى والحاضر والمستقبل ، وزالت حجب وموانع ، وارتقى صلى الله عليه وسلم آفاقا عليا ، وتواردت أمام بصره صور من الحياتين الأولى والآخرة ، لا يقدر عليها الا عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال .

لقد فرضت الصلاة على الأمة الاسلامية ليلة الاسراء والمعراج فى مناجاة علوية ، ناجى فيها الرسول ربه تبارك وتعالى واشترك فيها موسى عليه السلام .

وتتقاصر الكلمات عن وصف هذه المناجاة ، ولعل اختصاص موسى عليه السلام بالمراجعة فى أمر الصلاة باعتباره صاحب الشريعة السابقة فان التوراة هى الأصل الذى تواردت عليه أنبياء بنى اسرائيل ، حتى ان الجن أنفسهم تفطنوا لهذا المعنى وقالوا — كما حكى القرآن :

« انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى » .

الأحقاف : ٣٠

ومن جهـة أخـرى فان موسى هو كليم الله وصاحب المناجاة فى الوادى المقدس طوى ، وشأن أصحاب المقامات المتشابهة أن يتلاقوا .

والتقى سيدنا محمد صلى الله عليه وسـلم بالأنبياء فى أكثر من مكان ، ورآهم على أوضـاع شتى ، ونعتهم وقرب شبههم لأصحابه .

ففى رواية صحيحة عن جابر أن رسول الله قال : (عرض على الأنبياء فاذا موسى ضرب من الرجال كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى ابن مريم فاذا أقرب من رأيت به شـبها عروة بن مسعود ، ورأيت ابراهيم صلوات الله عليه فاذا أقرب من رأيت به شبها صاحبكم يعنى نفسه) .

والذى يراه المحققون من أهل العلم أن الرسول الكريم رأى الأنبياء فى أماكن متفرقة من ملكوت الله خلال رحلة المعراج للمناجاة الالهية ، وتعرف عليهم كل على حده ثم لما فرغ مما أريد به من الكرامة اجتمع به الأنبياء فى بيت المقدس فى ختام رحلة المعراج وصلى بهم اماما .

سؤال .. وجواب :

وعندما عاد الرسول الكريم الى مكة المكرمة وأصبح الصباح حدث الناس بما رآى فأنكر عليه المشركون وطلبوا آيات تدل على صدق المصطفى.

وأول ما يتبادر الى الذهن هو التساؤل عن بيت المقدس ويوجد بين المشركين من لديه المعرفة بهذا المكان المقدس ، وهم يوقنون أن محمـدا لم يسبق له الذهاب اليه .

فماذا سأل المشركون ؟

وما موقف الرسول الأمين ؟

وهل لحظات عابرة من الزمن اكتنفها النـور المقدس تكفى لتلفت النظـر الى مداخـل البيت ودقائقه ؟

ان العقل والقلب فى هذه اللحظات وقد غمرته قدسية التأمل والمناجاة ـــ فهل يتلفت النظر الى مبنى أو بناء ؟ !

مهما يكن من أمـر فلنضـع أمام أعيننا هذا النص الشريف :

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لقد رأيتنى فى الحجر ، وقريش تسالنى عن مسراى ، فسألتنى عن أشـياء من بيت المقدس لم أثبتها ، فكربت كربة ما كربت مثلها قط .

« قال : فرفعه الله لى أنظر اليه ، ما يسالونى عن شىء الا أنبأتهم به » .

وفى رواية عن جابر بن عبد الله :

ان رسول الله صلى الله عليه وسـلم قال : (لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر فجلا الله لى بيت المقـدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه) .

واذا كان الاسراء والمعراج آية بينة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان كل مسلم يمكن أن يكون اسراء الى الله ومعراجا بصـالح الأعمال وطيب الكلم كما قال تعالى :

« اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصـالح يرفعه » .

سورة فاطر آية ١٠

ذكريات الإسراء

بقلم الأستاذ : محسن عبد المعطى عبد ربه
بكلية اللغة العربية
جامعة الأزهر

أيا ذكريات المجد عيشى وخلدى — جهادا لأهل الحق فى كل موعد
لقد سطروا للدهر أعظم قصة — بنبل وايثار وحب مجسد
فهذا رسول الله خير مجاهد — يجاهر بالدين العظيم المجدد
ويهتف من أعلى الجبال مكبرا — فأكرم به من مرسل متجلد
صراع عنيف بين حق وباطل — لينتصر الاسلام بالحق فى الغد
وتلقى جموع السابقين الى الهدى — عذابا وايذاء من القوم بالبيد
كما أنهم ذاقوا الشتائم كلها — بصبر على المكروه فى كل مشهد
فحاول أهل البغى أن يعرضوا على — رسول الله جاها لاغراء (أحمد)
ولكن هذا النهج يرجع خائبا — فيسلك جند الكفر درب التشدد
و (طه) رسول الحق والعزم صابر — يدافع عن دين الاله ويفتدى
وأصحابه قد بايعوه على الوفا — ونصرة دين الحق دون تردد
فلم يركنوا للذل فى أى لحظة — ولم يضعفوا بل قاوموا كل ملحد
وهاجر بعض المسلمين بدينهم — (لأثيوبيا) أعظم بصحب (محمد)
على رأسهم (عثمان) يصحب زوجه — (فبنت رسول الله) بالنور تقتدى
وتمشى قريش فى مقاطعة (السنا) — وأتباعه فى غلظة وتجمد
وسجل أهل الكفر والمكر عهدهم — وعلق موثقهم بأقدس معبد
فاشتد بجرح المسلمين وحزنهم — متى تنته الآلام بالغدر تزدد

لقد هزت الأحداث عمق نفوسهم بوقت رهيب أشأم الوجه أسود
ولكنهم بالصبر يرمون الأسى ويحتسبون الأجر عند (المجد)
فأسلوب أهل الكفر فى الظلم ممعن وما أشرس الكفار عند التعمد
طريقتهم فى الانتقام غريبة بأخلاق كل العرب لم تتعهد
لقد عرف العرب الكرام شهامة وأخلاقهم تعاو على كل مفسد
خصامهم يبدو شريفا على المدى وان كانت الأشراف لم تتوحد
فتستيقظ الأحلام فيهم فجاءة ويؤلمهم ظلم النبى (محمد)
لقد أيقن القوم الكرام بأنهم أذاقوا جموع الحق من كل مجهد
فثاروا على العهد الموثق بينهم وقاموا لتمزيق (الصحيفة) باليد
لقد وجدوا أن (الصحيفة) كلها تآكل ما فيها بقدرة (مرشد)
ولم يبق فيها من كلام مدون خلا اسم (اله الناس) خير مؤيد
فأنعم بها من آية غزت الضلا ل تسمو باقتدار (المصعد)
تكفكف من غلواء قوم قلوبهم بتقوى (اله الكون) لم تتزود
ففكوا حصارا قد تردى منكثا ليسقط فكر البغى من خير محتد
توالت على نفس النبى حوادث تؤثر فى القلب الكبير الموحد
فقد مات خير الأهل فى (عام حزنه) (أبو طالب) عم النبى المسود
و (زوجته) أودت ترافق ربها فيعصره حزن الفراق المبدد
لقد كانت الأم الحنون وأخته ترافقه فى درب رب مسدد
تشاهده الأقوام يبكى فراقها بيوم كئيب بالغيوم ملبد
ويخرج كى يلقى (ثقيف) مؤملا عساها لصوت الحق تصغى وتهتدى
ولكنها تأبى بكل تعنت متى يدن منها تنأ عنه وتبعد
فأسرى به الله العظيم مؤيدا الى المسجد الأقصى العظيم المعمد
لتبقى على الأيام سيرته سنا يضيىء لنا درب الحياة المعبد

آية الإسراء والمعراج
بين يقين القلب وإعجاز العلم

بقلم : الدكتور السيد رزق الطويل
عميد كلية الدراسات الاسلامية والعربية
جامعة الأزهر

اتخذ بعض الكاتبين منهجا غير سديد فى تناول آيتى الاسراء والمعراج من أجل اقناع الجماهير المسلمة فى عصر نشطت فيه عقول البشر باحداث الاسراء والمعراج. وذلك المنهج يقوم على الموازنة بين ما حدث للنبى صلى الله عليه وسلم فى اسرائه ومعراجه ، وما وصل اليه البشر من كشوف مذهلة لأسرار الكون وسننه ، وما أحرزوه من امكانات خارقة فى اقتحام أجواز الفضاء ، والسفر بين الكواكب التى كان الحديث عنها يكاد يكون مقصورا على خيال الشعراء ، وظنون الفلكيين ، ثم ينتقلون الى موازنة أخرى ، تقوم على موازنتهم الأولى ، وهى المقارنة بين قدرة الخالق التى لا يعجزها شىء ، وامكانات المخلوق الذى لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا .

وينتهون من هذه الموازنة الى فرض الاقتناع على عقول المستمعين والقارئين من المسلمين .

وتلك خطة خاطئة ، وراءها نية صادقة ، لكن الأسباب الموصلة للهدف غير سوية ، ولا قويمة .

وذلك لأمور عدة أبسط الحديث عنها فيما يلى :

مكتشفات العلم غير ثابتة ولا قطعية .

وذلك لأنها اجتهادات بشرية تقوم على معارف سابقة ، وتعتمد على الملاحظة والتجربة وصولا لما هو مجهول من أسرار الكون ، وقد يخرج العالم من العلماء بكشف جديد ، أو يقدم نظرية جديدة لتفسير ظاهرة من ظواهر الكون ، ثم يأتى عليه حين من الدهر ، فتظهر فى الأفق نظرية جديدة تثبت فساد النظرية الأولى .

ومن هنا تظهر خطورة الربط بين الآيات التى يؤيد الله بها الرسل ، وبين محصلات الانسان من علوم الكون ومعارفه ، لا سيما وان أمامنا

حقيقة لا ريب فيها هى أن الانسان برغم ما وصل اليه ، حظه من علم الكون والوجود ضئيل ، وقد قال رب العالمين :

« وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

وأمر آخر يتصل بخطورة هذا الربط ، اذ يوحى بأن الآيات الخوارق دخلت فى دائرة العادات فيذهب عنها ما يمكن أن يترتب عليها من يقين ملزم ، فتضيع الغاية نتيجة التخبط فى الوسيلة .

ان الآيات التى زود الله بها رسله لتكون عدتهم فى مواجهة أهل البغى والعناد أسمى من أن تقاس بأى مقياس من مقاييس العلم لتدخل فى دائرة المعتاد الذى يستريح له العقل . اذ أن مهمتها أن تقنع العقل بأن مملكته التى هى تحت سلطانه ليست كل شىء فى هذا الوجود ، وأنه اذا جاء من الشواهد ما هو خارج عن دائرة سلطته فماذاك الا لأن المراد منه أن يعلم أن من حمل اليه ما هو فوق امكاناته مصطفى من المليك المقتدر ، فيذعن له ، ويهتدى بهديه ، ويصدقه فيما يبلغ عن ربه .

ومن هنا كانت آيات الرسل لا تأتى نتيجة لمقترحات البشر ، ولكن رب العالمين الذى يصطفى الرسول يصطفى معه الآية الكفيلة بافحام أهل العناد من قومه ، وقد قال جل شأنه

« وكذلك نصرف الآيات ولتستبين سبيل المجرمين » .

ويقول سبحانه تعالى :

وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ
قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠)

العنكبوت ٥٠

اتجاهات الآيات :

وآيات الرسل ذات اتجاهات شتى .

فمنها آيات تخاطب يقين المؤمنين ، ولا يراد بها هدهدة العناد المسيطر على عقول الجاحدين وانما المراد به مزيد من التكريم للرسول المصطفى ، واعلاء شأنه ، ودفع من حوله من أصحابه الى مزيد من التقدير والتوقير ، ومن هذا القبيل الآيات المادية والكونية التى امتن الله بها على النبى محمد صلى الله عليه وسلم وفى مقدمتها آية الاسراء والمعراج ؟ اذ يقول تعالى :

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)

الاسراء : ١

فآية الاسراء ، وآية المعراج كذلك تتجهان بمزيد من اليقين لقلب النبى محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يكن فى التقدير الالهى الحكيم أمر معارضة قريش أو تأييدهم ، لأن رب العالمين يقول : **« لنريه من آياتنا »** .

وقد رأى من آيات ربه الكبرى فى اسرائه ومعراجه ما حقق الغاية السامية من هذه الرحلة المباركة ، لأن هذه الرحلة المباركة جاءت لانتشال القلب الشريف الذى أحاطت به عواصف عاتية من الهم والحزن ، بعد موت أبى طالب عم النبى ، وما كان له من مواقف مشهورة فى نصرة ابن أخيه المصطفى ، وموت زوجه البارة السيدة خديجة بنت خويلد فى فترات متقاربة ، ثم تصل المأساة قمتها بما حدث للنبى الكريم فى رحلة الطائف من هوان ما كان يتصوره حتى انه حرك مشاعر ابنى ربيعة وهما من أعدى أعداء الدعوى فى قريش .

انها أحداث تنوء بها الجبال الرواسى ، وحملها القلب الشريف بصبر واحتساب، اللهم الاضراعات مؤثرة يتجه بها الى ربه ومولاه .

« اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى ؟

الى بعيد يتجهمنى أم الى عدو ملكته أمرى ، ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى ، غير أن عافيتك هى أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل على غضبك أو ينزل بى سخطك لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك » .

وكانت رحلة اليقين اسراء عبر خط الوحى من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، مرورا بجانب الطور ، حيث تنزل الوحى السماوى على رسل الله وأنبيائه ، ليعيش النبى الكريم فى رحلته مع جهاد الرسل الكرام من قبله ، كما تكون من ناحية أخرى دلالة على أنه جاء مصدقا لمن قبله سائرا على الدرب الذى ساروا فيه ، وكتابه الذى أنزله الله عليه مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه .

كما كانت معراجا الى السموات العلا دعما ليقين تناوشته المحن ليكون اقدر على تجاوزها وتجاوز ما يأتى بعدها من أحداث كبار ، وقد كان.

سارت الدعوة بعد هذه الرحلة القدسية بخطى حثيثة ، وأساليب جديدة ، فكان العرض على القبائل القادمة للحج ، ثم التعرف على أهل يثرب ، ومبايعتهم عند العقبة الى أن انتهت الأحداث بالهجرة التى غيرت وجه التاريخ .

فما أغنى هذا الحدث العظيم الذى امتن الله به على نبيه ، وثبت به قلبه عما يأتيه كثير من الباحثين من كتاب ومتحدثين من تكلف ومبالغة ، والتماس لأشباه ونظائر من علوم العصر !!

ان الاسراء والمعراج آيتان مشرقتان فى جبين النبوة تملأ قلوبنا اجلالا بمكانة الرسول الخاتم عند ربه ومولاه ورعايته اياه ، ولسنا فى حاجة لهذه الموازنات لتثبت فينا اليقين ان كنا مؤمنين صادقين .

فبمنطق الايمان بالله تعالى وبرسوله المصطفى لابد أن يكون فى عقول المؤمنين متسع للايمان باسراء النبى صلى الله عليه وسلم ومعراجه دون غلو أو شطط ، ودون تكلف قد يناله من قدر هذا الحدث الكبير .

آيات تخاطب عقول الباغين :

وهناك من آيات الرسل آيات تواجه الباغين المعاندين وتقهر عقولهم ، وتصيبها بالافحام أو الابلاس أو يؤمنوا .

فهى مواجهة لمن عائد لقهر عناده ، رحمة من الله تبارك وتعالى وتذكيرا لينصاع الحق ، ويعنو وجهه وعقله للحى القيوم .

وقد قهر موسى بعصاه بغى فرعون ، واستكباره .

وقهر عيسى بما زوده الله من آيات مكر بنى اسرائيل وضلالهم :

« فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين » .

وقهر محمد صلى الله عليه وسلم حماقة قريش وسفاهتها بالكتاب العزيز ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فراعهم ، وروعهم ، ووجدوا أنفسهم أمام نمط من الكلام لا قبل لهم به، وهم أهل اللسن والفصاحة ، فلم يجدوا مسوغا لعنادهم ، وقعدوا دون أن يقدروا على ابطال الحجة المقامة عليهم ، مع أن القرآن الكريم ينادى فيهم :

وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ

إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

البقرة ٢٣ — ٢٤

ويقول تعالى :

قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾

الاسراء : ٨٨

ولاتزال الآية القرآنية قائمة قيام الرسالة الخاتمة ، شاهدة على صدق الرسالة، والرسول، باللفظ والمعنى ، بالأسلوب والمحتوى ، بالشكل والمضمون .

واختيار القرآن الكريم حجة وآية للرسالة الخاتمة كان فوق مستوى ادراك العرب ، وقريش أول الأمر ، اذ ظنوا أن الآية المادية اقوى وأهدى فطلبوها والحوا فى طلبها ، ورب العالمين يجيبهم بأن الآية الكونية تأتى حسب طبيعة الأمة التى أرسل فيها الرسول ، وهى لا تصل بأهل البغى والعناد الى نقطة الاقناع ، فيقول سبحانه :

* وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾

الأنعام : ١١١

ثم يكشف لهم رب العالمين عن الحكمة فى صرف الآيات الكونية عن منهج الاثبات فى الرسالة الخاتمة فيقول جل شأنه :

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾

الاسراء : ٥٩

معنى هذا أن تكذيب المعجزة الكونية يعنى هلاك المكذبين ، وقد سبقت مشيئة الله تعالى الا يعجل للمكذبين من هذه الأمة هلاكهم .

ثم يعاتبهم رب العالمين على سوء فهمهم للآية العظيمة التى زود الله بها رسولهم ، فقال تعالى:

أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾

العنكبوت ٥١

ان آية القرآن هى آية الاقتناع الدائم ، المستمر استمرار الرسالة الخاتمة فى هداية البشر ، والآية الكونية تقصر بلا ريب عن الوصول لهذه الغاية ، اذ سيدخلها الناس فى موازنات مع معلومات البشر ومع ذلك فقد جمع الله لنبيه الكريم الخير كله : الآية البيانية واللغوية والتشريعية ممثلة فى القرآن الكريم حجة للرسالة، ودلالة على صدق الرسول ، والآيات الكونية الأخرى تثبيت وتأييد للرسول المصطفى ودعم ليقين المؤمنين .

وهذه وتلك أسمى من أن تقاس بما وصل اليه علم البشر من كشوف ومخترعات .

فى ذكرى الإسراء والمعراج

شعر : ايمن دسوقى

قف يا زمان تحية وجلالا — الطهر وافى ، والضياء تلالا
واسجع لعطر الحق فى نفحاته — انشودة قدسية تتوالى
كم ليلة مرت على التاريخ .. ما — وجدت لها بين الخلود مجالا
هذا فم النسيان يبتلع الليا — لى .. ثم يبقى ليلة تتعالى

* * *

الحزن فى قلب النبى مسيطر — فا الكون اضحى ظلمة وضلالا
والكفر طاغ .. والسلام مضيع — والسيف سلطان طغى وتعالى
المشركون يعذبون أذلة — والنار تنزل فى البطون زلالا
الصبر واحتهم وزاد سبيلهم — ما غير ربهمو رجا وسؤالا
فالى متى هذا الهوان ودينهم — كان الهداية .. للقلوب مآلا
والله يبغى للحبيب مسرة — ويريه من آياته أفضالا
انعم بجبريل يرافقه .. وقد — أخذ البراق مطية ورحالا
وملائك الرحمن .. والرسل الكرا — م وراءه .. صرح يفيض جلالا
الأرض فاخرت السماء بوطئه — واليوم قد غدت السماء دلالا
هذا مقامك يا حبيب مجاوزا — حد الوجود نهاية وكمالا
فهنا يلاقى الله أفضل خلقه — فدع المهابة .. لا تبال نعالا
هذا « خليل الله » لاقى المصطفى — والوجه كان طلاقة وجمالا
ابلغ لأمتك السلام .. جنانهم — تشتاق قربا منهمو ووصالا
وبدا « الكليم » مرحبا .. ومهنئا — فرض الصلاة .. ويسال الاقلالا
وابن البتول وامة فى فرحة — هذا الذى سيحقق الأمالا

* * *

عندما أشرق الصباح!
على ليلة المعجزة!

بقلم: الشيخ عبد العزيز الشاذلى
رئيس المكتب الفنى بوزارة الأوقاف

كان الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء فى خصومة ظالمة مع قومه يدعوهم الى الرشاد والخير فيلقونه بالتكذيب والبهت ويرمونه بالسوء والأذى وهو رحيم بهم حريص على هدايتهم ، وها هى الأحداث تزداد شدة والشر يشتد اشتعالا فتآمرت قريش فيما بينها على أن تكون جبهة واحدة فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم ومن يقف بجواره .

فعمدت قريش على مقاطعة بنى هاشم وبنى المطلب رهط النبى صلى الله عليه وسلم الأدنين على الا يتعاملوا معهم ولا يزوجوهم **ولا يتزوجوا منهم ولا يأخذوا منهم أو يعطوهم .**

هذه الحرب الاجتماعية والاقتصادية التى واجهها بنو هاشم وبنو المطلب بشجاعة وصبر واباء وأبوا أن يعطوا الدنية فى هذا الامتحان . وهذه الآلام النفسية والروحية ، بل والجسدية التى احتملها النبى صلى الله عليه وسلم خلال تلك المحنة التى عاش فيها أهله كانت من اقسى ما لقى النبى صلى الله عليه وسلم فى طريق دعوته من آلام .

انه حمل آلام أهله كلها ، ومما ضاعف من وقع الآلام فى نفس الرسول صلى الله عليه وسلم أن سقط فى ذلك الحين الجناحان اللذان كانا يرفرفان عليه تأييدا وحنانا ، فقد مات عمه ثم لحقت به زوجته البرة الرحيمة السيدة خديجة .

اليسر بعد العسر :

واصبح جو مكة ثقيلا خانقا اراد صلوات الله وسلامه عليه أن يلتمس خارجه متنفسا ، لعله يجد أعوانا على الحق وأنصارا للخير يستمعون اليه ويتسجيبون لدعوته ، فكانت رحلته صلى الله عليه وسلم الى الطائف ، فخرج من مكة يريدها ثم عمد الى سادة ثقيف وأشرافهم فدعاهم الى الله ، فلم ير منهم الا اعراضا وسفها وتكذيبا واستهزاء .

فأراد الله عز وجل أن يكرم النبى صلى الله عليه وسلم برحلة روحية فى عالم النور وذلك لجهاده الصادق فى سبيل الله وقيامه على أداء الرسالة واحتمل ما احتمل من أجلها .

فكان الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ثم الى السماوات العلا ليلا ، لأن الليل وقت الصلاة التى كانت مفروضة عليه صلى الله عليه وسلم :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾

المزمل ١ — ٤

وليكون أبلغ للمؤمن فى الايمان بالغيب وفتنة للكافر .

لماذا كان البدء بالاسراء :

والحكمة من اسرائه صلى الله عليه وسلم ليلا أولا الى بيت المقدس لاظهار الحق على من عاند لأنه لو عرج به من مكة الى السماء لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلا الى البيان والايضاح ، فلماذا ذكر أنه أسرى به الى بيت المقدس سألوه عن أشياء من بيت المقدس كانوا قد رأوها وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك . فلما أخبرهم بها حصل التحقق بصدقه فيما ذكر من الاسراء الى بيت المقدس فى ليلة . واذا صح خبره فى ذلك لزم تصديقه فى بقية ما ذكر .

ويحتمل أن الله سبحانه وتعالى أراد الا يخلى تربة فاضلة من مشهده ووطء قدميه صلى الله عليه وسلم ، فتم تقديس بيت المقدس بصلاة النبى صلى الله عليه وسلم فيه فلما تم تقديسه به أخبر النبى أنه لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام لأنه مولده ومسقط رأسه وموضع نبوته ، ومسجد المدينة لأنه محل هجرته وأرض وفاته ، والمسجد الأقصى لأنه موضع معراجه .

مكذبون .. ومكذبون

وفى صبيحة ليلة الاسراء قعد النبى صلى الله عليه وسلم حزينا فمر عليه عدو الله ابو جهل ، فجاء حتى جلس اليه فقال له كالمستهزىء : هل كان من شىء ؟

قال : نعم .

قال : ما هو ؟

قال أسرى بى الليلة .

قال الى أين ؟

قال : الى بيت المقدس .

قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا .

قال : نعم .

فلم ير أنه يكذبه مخافة أن يجحده الحديث ان دعا قومه اليه .

قال : أرأيت ان دعوت قومك تحدثهم بما حدثتنى ؟

قال : نعم .

قال مناديا : يا معشر بنى كعب بن لؤى .

فانفضت اليه المجالس ، وجاءوا حتى جلسوا اليهما ، فقال أبو جهل : حدث قومك يا محمد بما حدثتنى به . فقال النبى صلى الله عليه وسلم . انى أسرى الليلة بى .

قالوا : الى أين ؟

قال : الى بيت المقدس .

قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟

قال : نعم ..

فاذا بالقوم بين مصفق وبين واضع يده على رأسه متعجبا مما يقول وضجوا وأعظموا ذلك ، فبهتوه وكذبوه ، وأطلقوا ألسنتهم بالقول السيىء فيه وقال قائلهم هذا والله الامر . « والامر بكسر الهمزة هو الأمر العظيم فى شفاعته » .

وقال المطعم بن عدى كل أمرك قبل اليوم كان أمرا — قريبا يسيرا بيننا — غير قولك اليوم . أنا أشهد أنك كاذب نحن نضرب أكباد الابل الى بيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا أتدعى أنك أتيته فى ليلة ؟ واللات والعزى لا أصدقك .

يقول العلامة أبو حيان : لما ذكر النبى صلى الله عليه وسلم الاسراء لأهل مكة كذبوه فأنزل الله سبحانه وتعالى :

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾

الاسراء ١

اختبار للايمان :

والاسراء اختبار عملى لايمان المؤمنين فمن آمن بالله لا يكون ايمانه ايمانا حقا حتى يؤمن برسوله، ولا يكون مؤمنا برسوله حتى يصدق كل قول يقوله ويسلم به قبل أن ينظر فيه أو يعرضه على عقله، وان كان ذلك لا يمنعه من أن ينظر بعد هذا فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن يعرضه على عقله ، فذلك نظر غايته الفهم والادراك لمرامى قول الرسول والعمل به .

فهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقول لمطعم بن عدى حينما كذب النبى صلى الله عليه وسلم بئس ما قلت لابن أخيك جبهته وكذبته ، أما أنا فأشهد أنه صادق . فقالوا يا محمد صف لنا بيت المقدس كيف بناؤه ؟ وكيف هيئته ؟ وكيف قربه من الجبل ؟ وفى القوم من سافر اليه ، فذهب ينعت لهم بناءه : كذا ، وهيئته كذا ، وقربه كذا من الجبل ، فمازال ينعته لهم حتى التبس عليه النعت فكرب كربا ما كرب مثله فرفع الله عز وجل له بيت المقدس .

يوضح هذا ما رواه الامام البخارى بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت اخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه) .

وروى الامام مسلم بسنده عن أبى سلمة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فسألونى عن أشياء لم أثبتها فكربت كربا لم أكرب مثله قط ، فرفعه الله تعالى لى أنظر اليه ما يسألونى عن شىء الا أنبأتهم به) .

فجعل الرسول صلى الله عليه وسلم ينظر الى المسجد الأقصى ويعلمهم بأوصافه، وأبو بكر يقول: (صدقت صدقت أشهد أنك رسول الله) .

فقال القوم : أما النعت فوالله لقد أصاب .

بنـــاة الدولة :

ومن الثمار التى جنتها الأمة الاسلامية والتى كانت من مقاصد اذاعة نبأ الاسراء ، انفصال ضعاف النفوس والشاكين والمترددين عن الأمة الاسلامية الناشئة .

لقد كفر عند سماع النبأ من كفر بعد اسلامه، وارتد من ارتد بعد ايمانه وما كان هؤلاء لو بقوا الا عاملا من عوامل الضعف أكثر من أن يكونوا عاملا من عوامل القوة والعزة والمنعة .

ان هـؤلاء المكيين الذين آمنوا وصبروا على الحوادث القاسية وعلى الآلام والتعـذيب وعلى الفتنة فى جميع مظاهرها وصبروا وصابروا وتخلصت نفوسهم من جميع النزعات المادية ومن جميع الأهواء فأصبحت خالصة لله وحده .

لقد قدر الله سبحانه أن الدولة على جهود هؤلاء المكيين المهيئين لأن يصمدوا لكل ما يمكن أن يعترضهم من عقبات .

ومن وسائل ذلك اذاعة نبأ الاسراء والمعراج لينتكس من ينتكس وليبقى من يبقى عن بصيرة وبينة وعن ايمان لا يتزعزع مهما تكن الحوادث .

ايمان بصدق الرســول صلوات الله وسلامه عليه فى كل ما يأتى به يصدقه بمجرد اخباره .

رباعيات
الإسراء والمعراج

بقلم الأستاذ عبد الغنى احمد ناجى
موجه لغة عربية بإدارة الفيوم التعليمية

شاء الاله لأرضه الغراء … أن تلتقى فى ليلة بسماء
كى يشرق النور الندى يعمها … نور الهدى ، وعناية فيحاء
كى تسمو الدنيا سمو هداية … تغدو به فى القمة الشماء
كى تزكوا الأرواح فى اجسادها … بالوصل يدنيها من الارضاء

* * *

فدعا الاله حبيبه ورسوله … فى ليلة شهدت له أفضاله
أسرى به من مكة بعناية … للمسجد الأقصى يؤم رجاله
أم النبيين الأوائل عنده … ليكون خاتم جمعهم ، وجماله
رمز التقاء المرسلين على الهدى … كى يشهدوا لله فيه جلاله

* * *

من مركز التوحيد كان عروجه … والكون من فرح يضوع اريجه
حتى دنا من عرش رب الكون يحدو … خطوه نور به تفريجه
والروح جبريل الأمين رفيقه … حتى انتهى بمقامه معراجه
كل له عند الاله مكانة … ومحمد فاق الخلائق نهجه

* * *

وهناك حيث مشاهد فوق النهى هذا مقام محمد ، والمنتهى

لم يرقه من قبلـه بشـر فتلك مـكانة ، ومحمد يدعى لهـا

فدعـاه رب العرش نحـو سمائه حتى محـا من نفسـه أحزانهـا

فالعام عـام الحزن حـول محمد وعناية المولى تريـه حنـانها

* * *

فرأى مـن الآيات ما فـوق البشر كيف الاحاطة بالبصيرة والنظـر ؟!

كيف الحديث عن المشاهد والبهـا ء ، وطاقة الانسـان يعييها البهر ؟!

فسرى الخطاب فلا حدود ولا انصا ف ، فان ذلك فـوق محـدود القدر

فرضـت صـلاة للسمو بروحنا يسـمو بهـا الانسان من دنيا البشر

* * *

ويحدث المختـار بالاسـراء وعروجـه فى ليلـة لسـمـاء

والقـوم بين مـكذب ومـكابر قاسـوا الأمـور بفكرة عميـاء

لم يعلمـوا أن الـذى أسرى به رب الوجـود بقـدرة عليـاء

والقـدرة العليـاء فـوق عقولنـا تجرى بهـا الأقـدار فى الأجـواء

* * *

والقدس مسـرى من نهيم بحبه يرنـو لنـا حتى نعـود لقربه

وشـكاته ممـا يحيق بسـاحة موصـولة حتـى نخف لدربه

فنعيـده لـيـد الحنيف مطهـرا عـود الحبيب الى رياض حبيبـه

كى يعلو الصـوت الندى مؤذنـا ((الله أكبـر)) فى سـلام رحابه

موقف العقل ..
من الإسراء والمعراج

بقلم: الأستاذ صلاح الدين الهادى
بوزارة التعليم

لعل الناس لم يختلفوا فى شىء قط كما اختلفوا فى شأن الاسراء والمعراج . ولم يتجادلوا فى شىء قط كما تجادلوا فى أمرهما .. فمن الناس من صدق بهما جميعا ، ومن الناس من كذب بهما جميعا ، ومنهم من صدق بالاسراء وكذب بالمعراج ، ومنهم من قال بأن الاسراء كان بالروح والجسد معا . ومنهم من قال بأنه كان بالروح دون الجسد . ومنهم من قال بأنه كان فى اليقظة ، ومنهم من قال بأنه كان فى المنام ، ومنهم من أطلق لسان المناكير فروى فيه ما لم يصححه اسناد ، أطاع خواطر النفس فتقول على الدين ، ومنهم من ثبت الله الحق قلبه وكشف عن وجه تحقيقه فوقف حيث ما وقفه صحاح النقل ، وقضى فيه بما أوجبته دلائل العقل . وهكذا لم يزل الناس منذ حدث هذا الحادث العظيم يختلفون فيه ، ولايزال كل فريق يحاول أن يؤيد رأيه بكل ما يبدو له من الحجج وما يرجح عنده من البراهين وصدق الله العظيم اذ يقول فى شأن هذا الحادث : « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس » سورة الاسراء الآية ٦٠

ولعل السبب فى هذا الاختلاف أن الناس يأبون الا أن يحكموا فيه العقل ولا يرضون بغيره حكما . فهل العقل يصلح أن يكون حكما فى هذا الأمر الخطير ؟ .

فالعقل لا يمكن أن يفهم الا ما تمده به الحواس . لأن الحواس هى روافده التى تمده بالمعلومات عن كل ما يقع تحت حسها . ومادامت هذه الروافد عاجزة عن أن تستمد مدركاتها من عالم آخر غير عالم الحس ، فلا يمكن أن توصل الى العقل علما من غير عالمها .. فهل الكون كله هو عالم الحس وحده ؟ هل الكون كله هو هذه المحسوسات التى نراها بأعيننا . ونسمعها بآذاننا . ونذوقها بألستنا ، ونشمها بأنوفنا ونلمسها بأيدينا ؟ ..

وبعبارة أخرى : هل نحن فى الواقع نرى باعيننا كل شىء فى هذا الكون . ونسمع بآذاننا كل صوت . ونشم بأنوفنا كل ريح ونلمس بأيدينا كل جسم ؟ .. لا شك أن هناك أشياء كثيرة لا تدركها حواسنا هذه لأنها ! اما بعيدة عن منالها ، واما خارجة عن دائرة ادراكها ، وهى فى كلتا الحالتين تعتبر « غيبا » .

لا تستطيع حواسنا أن تصل الى ادراكها ، فهل نستطيع اذن أن ندعى أن كل ما غاب عن حواسنا غير موجود ؟ .

لا شك أننا لا نستطيع أن ندعى ذلك ، ولا نستطيع كذلك أن ندعى ان كل ما غاب عن حواسنا غير معقول أن يكون موجودا ، لأن العقل فى هذا المجال لا يستطيع أن يحكم ، اذ الحواس التى يستمد منها معلوماته والتى يعتمد على ادراكها لذلك الغيب . لم تصل بعد الى ذلك الغيب . أو هى بطبيعتها لا تستطيع الوصول اليه ، فوسائل العلم اذن بهذا الغيب ستظل مفقودة حتى تصل الحواس الى ادراكه . فاذا استطاعت الحواس أن تصل اليه فأدركته . استطاع العقل أن يفهمه ويصدر حكمه عليه ، أما اذا ظلت الحواس عاجزة عن الوصول اليه . فان العقل كذلك يظل جاهلا به . فلا يستطيع أن يفسره ولا أن يحكم عليه ، فاذا تصدى للحكم كان حكمه خطأ ، لأنه حكم قائم على غير علم .

من أى طريق — اذن يأتى للعقل علم ما وراء المادة ؟ لا يمكن أن يكون ذلك الا من طريق السمع .. من طريق السمع وحده لا من طريق غيره ، وذلك بأن يتلقى الخبر عنه من صادق أمين ، له قدرة على الاتصال بما وراء المادة ، أى « بعالم الغيب » ، وهذا لا يتأتى الا للأنبياء والرسل ، والأنبياء والرسل صادقون فيما يبلغون من هذه الأخبار ، لأنهم يتلقونها بطريق الوحى الالهى عن الله وهو أصدق القائلين ، فليس هنا مجال للشك فى صدق الحقيقة التى يخبر بها الرسل والأنبياء عن عالم الغيب ، وليس للعقل أن يقول فى هذا المجال شيئا لأنه خارج عن نطاق ادراكه .

فالسمع اذن — هو وحده الطريق الذى يستمد العقل منه معلوماته عما وراء المادة ، أو عن عالم الغيب وما فيه من الجنة والنار والملائكة والجن والحشر والحساب ، وما الى ذلك من السمعيات التى لا يمكن أن تاتينا أخبارها الا من طريق السمع وحده .

« والاسراء والمعراج » من هذه السمعيات .. فليس للعقل مجال فى الحكم عليهما بالصدق أو بالكذب ، وبالجواز أو بالاستحالة ، لأنهما غير داخلين فى نطاق علمه ، فاذا تصدى للحكم عليهما فقد تصدى للحكم فيما ليس له به علم ، فليس للعقل — اذن — الا التصديق بما ورد عنهما على لسان الصادق الأمين ، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس له أن يسأل عن امكان ذلك أو كيفيته ، لأن ذلك شىء ليس فى طاقة العقل أن يفهمه . لأنه من عالم الغيب الذى لا يدخل فى دائرة ادراكه ، أما الذى يستطيع العقل ان يسأل عنه فهو الحكمة فى ذلك الاسراء والمعراج .

حكمة الاسراء والمعراج ؟

أما حكمة الاسراء فقد أجملها رب العزة فى قوله تعالى :

« لنريه من آياتنا » .

وذلك حيث يقول عز وجل فى أول سورة الاسراء :

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ
إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾

الاسراء : آية ١

وأما حكمة المعراج — فقد أجملها الله سبحانه فى قوله :

« لقد رآى من آيات ربه الكبرى » .

وذلك حيث يقول عز وجل فى سورة النجم :

وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾
عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾
مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ
ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾

النجم ١٣ — ١٨

فالغرض الذى كان من أجله الاسراء

والمعراج : هو أن يرى الله رسوله ما شاء من آيات قدرته وعجائب صنعه وعظيم ملكه ليطمئن قلبه ويزداد يقينه . صلى الله عليه وسلم .

فكان من كرامته عليه — سبحانه — أن خصه بتلك الرحلة الملكوتية العجيبة ، ليريه من آياته ما استشرف غيره الى رؤية بعضه ، ليرقى به من منزلة « **علم اليقين** » الى منزلة « **عين اليقين** » فكان — صلى الله عليه وسلم — هو الرسول الوحيد الذى يخبر أمته بخبر السمعيات وما وراء المادة عن عيان ومشاهدة ، لا عن مجرد الخبر السماوى فحسب ، ولذا كان — عليه السلام — واضح البيان فى تعليمه ، يكثر من التشبيهات وضرب الأمثال وأنواع الاستعارة ، ليقدم للناس تلك الحقائق الكونية الخفية ، مصورة بصورة ما يشبهها من الأمور الواقعية المعهودة ، وتلك منزلة من سمع ورأى لا من سمع فقط .

ولقد كان الوحى ينزل عليه بخبر تلك الحقائق والآيات الغيبية ، فيخبر مثلا عن الذين يأكلون الربا بأنهم :

« **لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس** » .

البقرة : ٢٧٥

وعن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما بأنهم « **انما يأكلون فى بطونهم نارا** » .

النساء : ١٠

ويخبر عن آل فرعون فى حياة البرزخ بقوله : « **النار يعرضون عليها غدوا وعشيا** » .

غافر : ٤٦

وهكذا وهكذا مما نزل به الوحى على قلبه — صلى الله عليه وسلم — وتلك معارف جليلة كان يستشرف لرؤيتها أكابر الأنبياء والرسل ، ويتشوفون الى درجة فى المعرفة أعلى من الدرجة التى هم عليها. ولاشك أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان يتشوف كما كانوا يتشوفون، ولكنه لم يطلب من الله كما طلب غيره تأدبا معه سبحانه وحياء منه ، فأكرمه الله سبحانه بتلك الرحلة ، ليريه من آياته ما يشاء ويطلعه من عجائب كونه على ما يريد ، وليفضى اليه بما يشاء من أسراره جل شأنه .

وضوح وتكذيب :

ان الحديث عن الاسراء والمعراج . حديث يتجدد كل عام . وقد تناولته أقلام أفاضل العلماء والباحثين بالشرح والتفصيل فى أمهات الكتب مستندين فى اثباتهما الى ما صح من أحاديث نبوية صحيحة لا تقبل شكا ولا تحتمل تأويلا ، رواها أكثر من ستة وعشرين صحابيا جليلا وانتهى الى هذا الرأى اجماع أكثر المسلمين ، ومع هذا فلم يخل عصر من العصور من وجود أناس قد ضلت أفئدتهم فلجوا فى العناد فأنكروا وشككوا فى بعض معجزات الاسراء والمعراج . بل منهم من كذب المعراج. فطعن بجهله فى أحاديث نبوية مروية فى أصح كتابين هما . صحيح البخارى . وصحيح مسلم .

ان حدث الاسراء والمعراج فيما يظهر للناس ، ينطوى على كثير من الغرائب والعجائب التى تحار فيها العقول والألباب ، بل وترتاب فيها أحيانا قلوب فريق من الذين يؤثرون ان يكون الحكم فى كل ما يعتقدون لعقولهم . وعقولهم وحدها ، مع أن هؤلاء أنفسهم يسلمون تسليما مطلقا فيما يقال لهم أنه من حقائق العلم المقررة مع أن العلم لا يعرف حقائقه القرار المطلق ولا يعرف الكلمة الأخيرة .

ضيف السماء

بقلم الأستاذ محمد حليم حامد غالى
وكيل وزارة بمجلس الشعب

دعاك ربك .. فاسرع نحوه الآنا … لم يدع قبلك نحو العرش انسانا
قد كان عاما شديد الحزن مضطربا … فاخلع رداء الأسى وانس الذى كانا
فما خديجة الا مهجة رحلت … كانت جمالا واشفاقا وايمانا
وكان عمك سدا دون من جهلوا … واسرفوا فى الأذى شيبا وصبيانا
يرعاك من برأ الدنيا وزينها … للناظرين وأقصى عنك شيطانا

* * *

ركبت متن البراق النور منطلقا … تطوى فيافى الورى نجدا ووديانا
جبريل يحدو ركاب النور مؤتنسا … يمحو من القلب فى جنبيك أحزانا
ورحت للمسجد الأقصى لتجمعهم … رسل الهداية .. أحبابا وخلانا

* * *

أممتهم فى صلاة كنت قائدهم … لما رأوك تباروا فيك تبيانا
تصافح الجمع تسبيحا .. وهينمة … كالوحى نورا ، وكالأطيار ألحانا
جمع من الرسل لم يحظ الوجود به … الا بك انتظموا صفا وأركانا

* * *

عرجت فوق الطباق السبع مستبقا … وكان كل وجود الله فينانا
دخلت كل سماء وهى مشرقة … فيها سؤال نبى كيف وافانا
وسدرة المنتهى تزهى .. وقد لبست … من كامل الحسن أشكالا وألوانا
نوديت (أحمد) حول العرش فاتسقت … آيات ربك أسرارا واعلانا

* * *

لما نزلت بساح العرش مبتهجا … وقد لبست من الأنوار تيجانا
قد كنت ضيفا على مولاك ما خطرت … الا خطاك بساح النور تحنانا
تلقى الحفاوة فى العلياء مغتبطا … قد قدها الله للمحبوب بستانا

* * *

يمضى الزمان ونصحو فى جوانبه … نجتر من ذكريات المجد ذكرانا
ذكرى البطولة والأمجاد فى زمن … سدنا به .. فاقمنا العدل ميزانا
فى الشرق والغرب .. لم تهدأ مواكبنا … وكم فتحنا بنور الحق ميدانا

من فوق المنبر

بسم الله الرحمن الرحيم

"ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتى هى أحسن، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين" (النحل ١٢٥)

صدق الله العظيم

اعداد: الشيخ محمد عبد الواحد أحمد
وكيل وزارة الأوقاف

فى ذكرى الإسراء والمعراج

الحمد لله الذى شرف أمة الاسلام. فجعلها أعدل الأمم وأختارها أمة وسطا ــ تشهد على من سبقها من العرب والعجم . وخص نبيها الخاتم صلوات الله وسلامه عليه بالاسراء والمعراج ليريه مولاه من باهر الآيات وعظيم المقامات ليزداد قدره شرفا وجاهه جلالا وفخرا أما بعد : ففى تاريخ الاسلام أيام مجيدة لها الصدارة والكرامة وبها تعتز الأجيال على مدى الأزمان والأجيال . فتجعل من ذكراها مواقف تستعيد بها مكانتها فى موكب الحياة ــ وتجعلها معالم نهتدى بنورها ونستنير هداها .

ومن مواقف الشرف لأمتنا ما شرف الله به أهل الأرض فى ليلة الاسراء والمعراج فى شخصية الهادى البشير صلوات الله وسلامه عليه حيث أسرى به من مكة الى الشام . ثم عرج به عليه السلام من بيت المقدس الى ما فوق سدرة المنتهى . ليريه مولاه من آيات ربه الكبرى بين آفاق الملأ الأعلى حتى اخترق السبع الطباق وجاوز الآفاق وحظى بما لم ينله أحد من العالمين .

لقد طوى له مولاه بساط الأرض فى لحظات من الليل ورقاه من بيت المقدس الى الفردوس الأعلى . حتى شاهد أفواج الملائكة بين قائم لا يرفع وراكع لا يسجد وساجد يتخشع والكل مسبح للحى القيوم سبحانه .

ولقد تمنى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه . أن يشرف وأمته بعبادة تجمع بين طوائف الملائكة على تكامل مواقعها بين القيام والركوع والسجود فكانت منحة الصلاة تحفة للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وبها قرت عينه وانشرح صدره وارتفع قدره بما خصه الله تعالى وأمته من شعيرة الصلاة كمظهر متكامل للتوحيد الخالص فهى حمد وثناء وشكر ودعاء وهى روح الايمان وجوهر الاسلام وحقيقة العرفان ومعبر الوصول الى الرضا والقبول .

وهى عون للعبد وشفاء للنفس وراحة للقلب وانس بالملك المعبود جل جلاله قال تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ البقرة ١٥٣

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول لبلال اذا حان وقت الصلاة « ارحنا بها يا بلال » ، وكان عليه الصلاة والسلام اذا أحزنه أمر فزع الى الصلاة .

لقد بلغ الرسول صلوات الله وسلامه عليه دعوة التوحيد الى قومه وطرق بها أبواب العقول بالحجة والحكمة . لوح للأرواح فحنت ولانت . وأنار الأفهام فرقت واستجابت واستغلق بعضها فأعرضت عن الحق وصدت عن الهدى . وعارضت دعوة التوحيد بالانكار والجحود . ثم قاطعوه وخاصموه وضيقوا عليه الحياة ومن معه من المسلمين . فصبر وصابر واستعلى للهموم والأحزان بعد وفاة زوجه وعمه صلى الله عليه وسلم . وظل محتسبا مجاهدا لا تلين له قناة ولا تستكين على ظلم أو ضيم . رغم ما رده به أهل الطائف من تكذيب وايذاء حتى سالت دماؤه وتعثرت أقدامه وهو يتحسس الخطا مسرعا ليكون فى مأمن من حجارة سفهاء القوم . وحين اشتد الأمر وتزاحم الكرب واشتد الظلام كانت دعوة الحق الى أشرف الخلق وكأن الله تعالى يقول لنبيه ان ضاقت بك أرض قومك وان أغلق الناس بجهلهم أبوابهم دونك ولئن ردوا دعوتك بالانكار والاعراض . فهاهى السماء تهفو اليك وهاهم الملائكة يستقبلون مقدمك وها هو الملأ الأعلى يزدان لك وبك — فأنت الصادق الأمين وأنت مصنوع على عيننا وأنت مؤيد بنصرنا . وها هو الفرج يواتيك بعد الضيق واليسر بعد العسر . والنصر بعد اليأس وتلك عاقبة المجاهدين الصادقين . ووعدنا لدعاة الحق الى يوم الدين : **« وكان حقا علينا نصر المؤمنين »** .

ولقد صاحب الاسراء من مكة الى المدينة ثم الى بيت المقدس مشاهد من صور الأعمال وما تستوجبه من جزاء لتكون أحق بالعظة وأصدق بالاعتبار . كما رافقتها حقائق مشرفة لبيان قدر هذا النبى العظيم لازالة ما عاناه من عنت قومه وجفوتهم كما زخرت رحلة المعراج بمشاهد مبهرة من عوالم الآخرة ارتفعت بوجدانه صلى الله عليه وسلم . الى صفاء روحى سما به قدرا فوق أقدار العالمين والراشدين .

وانه ليجدر بالمنصفين أن تكون معجزة الاسراء والمعراج حقيقة جديرة باليقين . فكم تمد بيننا قضايا علمية كانت بيننا مرفوضة ثم صدقها الواقع ومثلت فى العيون والأبصار .

فقد ثبت أن عرش بلقيس نقل من بلاد اليمن الى بيت المقدس قبل أن يرتد الطرف بقدرة من عنده علم من الكتاب علمه اياه رب الأرباب ومقدر الأسباب جل وعلا فكيف بأمر هو مدبره وكيف بمعجزة تعد من حقائق من ارسله الله للعالمين رحمة ، وللمؤمنين نعمة ولجميع الخلق ملاذا يتشفعون به يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه اننا نؤمن بما نشهد لنصدق بمقتضاه بما نسمع نؤمن بأن ذلك من خصائص قدرة الله العالية التى أسمعت القائد أسامة صوت أمير المؤمنين عمر رضى الله عنهما حين ناداه على بعد المسافة يا سارية الجبل فتنبه أسامة وحصن نفسه من جهة الجبل فكان له النصر بعد أن رآه أمير المؤمنين مكروبا ، وقد شغل عن تحصين موقعه من جهة الجبل فناور واستكمل دفاعه وحظى بالفوز وذلك بعد أن رأى عمر — على بعد مكانه — جيش المسلمين فى غفلة عن هذا الموقع . وخالق الزمن يحقق السبب وخالق الكون لا يعجزه شىء من خلقه فى ملكه **« الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير »** .

أخوة الاسلام : ان ذكرى الاسراء والمعراج تذكر المسلمين بما كرم الله به رسوله المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وما أضفاه رب

العالمين على بيت المقدس من شرف التلاقى فى رحابه بين الأنبياء ــ السابقين وخاتم النبيين والمرسلين يؤمهم فى الصلاة والثناء ويتقدمهم فى الضراعة والدعاء ليوثقوا ايمانهم به وتصديقهم برسالته وليشهدوا له بأن رسالته هى رسالة اليهم وأن دعوته تهيمن على دعوتهم وأنهم وأممهم مأمورين بمناصرة هذا النبى صلى الله عليه وسلم . قال تعالى :

ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾

آل عمران ٨١

فقد جمع هذا الجمع الحاشد المتكامل من أشراف الأنبياء وصفوة المرسلين على دعوة للثناء على ربهم بما هو أهله . اقرارا بأنعم الله عليهم وتوج ملك الملوك الى عروجه فوق سدرة المنتهى ليشهد مقامه وليسمع من الرسل الكرام . كيف جمعهم من أرسلهم ليشهدوا نداء خاتم الأنبياء على ربه بقوله : الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين . وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل على القرآن تبيانا لكل شىء وجعل أمتى خير أمة أخرجت للناس وجعل أمتى وسطا وشرح لى صدرى ووضع عنى وزرى ورفع لى ذكرى وجعلنى فاتحا خاتما . فقال : الخليل عليه السلام . بهذا فضلكم محمد .

كان هذا المشهد الفريد تكريما للمبعوث رحمة للعالمين عليه الصلاة والسلام .

وانه فى رحاب المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وأحد المساجد الثلاثة التى تشد اليها الرحال والتى حث الاسلام على تعظيمها والصلاة بها روى البخارى عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه قال : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى » . وروى الطبرانى بسند صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه قال : الصلاة فى المسجد الحرام بمائة الف صلاة . والصلاة فى مسجدى هذا بألف صلاة والصلاة فى بيت المقدس بخمسمائة صلاة . فعلى شوق واعتزاز تشد الرحال الى بيت الله الحرام فهو مثابة للناس وأمنا للعالمين . وعلى حب واخلاص تشد الرحال الى مسجد المصطفى صلى الله عليه وسلم . أمير الأنبياء وشفيعنا يوم الدين .

ومع صادق الضراعة الى القوى القادر العزيز الغالب أن يفك أسر المسجد الأقصى لنشد الرحال اليه مصلين ضارعين الى الله يا بيت المقدس يا مسرى النبى الكريم يا أول قبلة للصلاة وثانى الحرمين الشريفين يا ملاذ الحمى ومناط الرضا يا من بارك الله ما حولك . يا من دعا الله نبينا العظيم والأنبياء معه للصلاة فى رحابك . وثنائهم على الله حول محرابك .

ان قلوب الملايين تتعلق بك وملايين المسلمين تهفو بأرواحهم اليك . ولئن تقرر عليك أن تقع أسيرا فى يد الظلم والبغى فلن يرضى مسلم بأسرك ولئن يتخلى المسلمون عن نصرك ولن نسلمك الى عدو الله وعدوك . ولن نهدأ أو نغفل حتى تعود كريما عزيزا كأخويك . فان عين الله التى لا تغفل ولا تنام ستسترد للكيد عنك وستزيل القيد من حولك ولقد سبق لك مثل هذا الابتلاء فصبرت حتى طهر الله ساحتك وأنار منارتك ، تطهر بيت المقدس بالعزم والحسم بالجمع المنتصر والصف المتكامل المظفر بالجند الغالب « وان جندنا لهم الغالبون » هكذا قال ربنا وأمر « ولينصرن الله من ينصره » . « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

ادعوا الله يستجب لكم واستغفروه يغفر لكم . والتائب حبيب الرحمن ــ ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين .

الموكب الميمون

بقلم : الأستاذ محمد أمين الشيخ

ياليلة المعراج والاسراء — حييت فى الاصباح والامساء
ياليلة يسمو الزمان بذكرها — ويشع بالاشراق والأضواء
الموكب الميمون فى ساحاتها — متوهج فى الرحلة الغراء
وعلى « البراق » سعى النبى ملبيا — ومسبحا لله فى العلياء
يحدوه جبريل الأمين وحوله — ركب الملائك بالسنا اللألاء
والمسجد الأقصى سمت أعلامه — يستقبل الهادى بكل رواء
والأنبياء تواكبوا فى ساحه — متلهفين الى أعز لقاء
كل الشرائع قد تلاقت حوله — وتوحدت فى الشرعة السمحاء

* * *

عفوا رسول الله انى شاعر — قلق على بحر من الأنواء
هاجت بى الذكرى كوامن علة — فمضيت لا ألوى من البرحاء
والشعر فى قيظ الحياة وقفرها — نسمات فجر طيب الأنداء
لم يبق قدسك ما رأيت وانما — عبثت به محمومة الأرزاء
والمسلمون على الربوع تفرقوا — وغدوا فريسة حيرة وبلاء
وتمزقوا .. لا رأى يجمع شملهم — وهل الحياة تدب فى الأشلاء ؟

* * *

يارب .. فى المعراج والاسراء — جئنا اليك بتوبة ونقاء
متبتلين ورافعين أكفنا — مستغفرين بدعوة ورجاء
ان ترفع الرايات فوق ربوعنا — ان نهتدى من هديك الوضاء
ان نستعيد ديارنا وربوعنا — بعزيمة وشجاعة وعطاء
وبان تجمع شملنا وجيوشنا — فى الوحدة العربية العصماء
هذى المشاعر من فؤاد عاشق — لمحمد فى ليلة الاسراء

اليهود يغيرون المعالم الإسلامية ..
.. في أرض الإسراء والمعراج

دراسة للاستاذ روحي الخطيب
يعرضها ويقدمها بسيوني الحلواني

هكذا يستخدمون السلاح للتهديد قبل تغيير المعالم فى الآثار الاسلامية بمدينة القدس .

كشفت دراسة مهمة عن كثير من التفصيلات لعدوان اسرائيل على أرض الاسراء والمعراج فى القدس الشريف .. أكدت هذه الدراسة التى أعدها الأستاذ روحى الخطيب أمين القدس أن محاولات اليهود لتغيير معالم القدس الاسلامية لن تتوقف ، وانهم لن يستريح لهم بال الا اذا هدموا المسجد الأقصى ومسجد الصخرة المشرفة فى مقدمة المعالم الاسلامية التى يريدون محوها تحت احتلالهم الغاشم للمدينة التى عاشت فى ظلال الحكم الاسلامى المتتابع واحة للسلام والمحبة .

وتعتبر القدس من المدن القليلة التى تجتمع فيها القداسة الدينية والأهمية التاريخية .. فبالاضافة الى أنها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وفيها المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله .. نرى فيها من المقدسات والمعالم الأثرية والتاريخية ما يجعلها متحفا معماريا وفنيا يزخر بالعديد من الآثار الاسلامية الجميلة الممثلة لفترات وعهود الحكومات الاسلامية كافة التى تعاقبت على حكم فلسطين .

وقد تعرضت القدس لهجمة شرسة وحاقدة من العدو الصهيونى ، اذ لم تكد قوات الاحتلال الصهيونى تدخل القدس حتى بدأت بمحو الصفة الاسلامية لهذه المدينة المقدسة وعملت على ازالة كثير من المبانى والآثار الاسلامية ، بل قامت بهدم أحياء اسلامية بكاملها ، لتقيم على أنقاضها المستعمرات والعمارات السكنية لليهود ، وظلت سلطات الاحتلال تعمل على طمس المعالم الاسلامية وانهاء الوجود الاسلامى فيها ، ولازالت تقوم يوميا باجراءات تعسفية ضد المسلمين ، وضد المقدسات والآثار الاسلامية فى القدس الشريف .

ورغم الادانة الدولية للاعتداءات الاسرائيلية على المقدسات الاسلامية فى القدس ، ومطالبة الهيئات والمنظمات العالمية الاسلامية وغير الاسلامية بوقف اعتداءات اسرائيل على مقدسات المسلمين فى فلسطين ، وفى مقدمتها المسجد الأقصى المبارك ، ومسجد الصخرة المشرفة ، الا أن اسرائيل تواصل تنفيذ مخططاتها الهادفة طمس المعالم الاسلامية فى هذه البقعة الغالية من أرض الاسلام ، وازالة كل أثر اسلامى من أرض الاسراء والمعراج .

من هنا تأتى أهمية الدراسة التى أعدها الأستاذ روحى الخطيب أمين القدس عن « الاعتداءات الاسرائيلية على المقدسات الاسلامية والمسيحية فى القدس الشريف » والتى قدمها لعدد من المؤتمرات والندوات التى شهدتها العواصم الاسلامية منذ اعلان قيام الدولة الفلسطينية الجديدة وحظيت الدراسة باهتمام الباحثين والمفكرين لأنها تكشف عن جوانب مهمة من المخططات الصهيونية لتهويد القدس .

فى البداية يؤكد أمين القدس أن مخططات الصهيونية العالمية لطمس المعالم الاسلامية فى فلسطين بصفة عامة والقدس بصفة خاصة بدأت قبل احتلالها بسنوات طويلة ودخلت مرحلة التنفيذ منذ أن وضع اليهود أقدامهم على أرضها ، حيث بدأ زعماؤها يكشفون عن أطماعهم ونواياهم بالنسبة لتهويد القدس والآثار الاسلامية فيها ، ووضع المخططات لتنفيذها وانشاء هيكل لليهود على أنقاضها .

وقد مرت هذه المخططات والاعتداءات حتى اليوم بعدة مراحل بدأت بالتصريحات واعلان الأطماع من قبل عدد كبير من زعماء اليهود .. ولم تكد تمر أربعة أيام على احتلال الجيش الاسرائيلى للقسم الثانى من القدس الشريف فى شهر يونية من عام ١٩٦٧ حتى بدأوا بتنفيذ بعض مخططاتهم بالاعتداء على المقدسات الاسلامية وتهويدها ، مبتدئين بهدم الحى المغربى الملاصق للمسجد الأقصى المبارك من الجهة الغربية الجنوبية وكان يشكل بأوقافه وسكانه المسلمين حصنا منيعا يفصل الحى اليهودى عن المسجد الأقصى المبارك ويدفع عنه وعن المقدسات الاسلامية اى عدوان ياتى اليه من ناحيتهم .

ويضيف الأستاذ روحى الخطيب فى دراسته : أن هذا الحى وأهله كان الهدف الأول من مسلسل الاعتداءات والتهويد فقد فوجىء سكانه بجرافات الجيش الاسرائيلى تزحف عليهم وتهدم عقاراتهم ومنازلهم واحدا بعد الآخر ، ولم ينقض النهار الا و ١٣٥ منزلا ومسجدان أصبحت أطلالا ، وتشرد سكانها البالغ عددهم ٦٥٠ أسرة وتم تمهيد أرض الحى لضمها الى ساحة البراق الشريف والذى يطلق عليه اليهود اسم « حائط المبكى » وهو جزء من حائط الحرم القدسى

الشريف ، وجاء اليوم ليتخذوا منه ذريعة لهدم الحى المغربى بحجة توسيع ساحته ولتكون الخطوة الأولى فى تهويد القدس .

حجج واهية

وأكدت الدراسة أنه بحجة الكشف عن التاريخ اليهودى وهيكل سليمان بدأت سلطات الاحتلال العسكرى الاسرائيلى عمليات اعتداءات غير شرعية بالقيام بحفريات فى أماكن متعددة فى الأحياء العربية المصادرة داخل السور وبخاصة المناطق الملاصقة للحائطين الجنوبى والغربى للحرم القدسى الشريف ، واتخذت منها وسيلة ليس للكشف عن التاريخ ، بل لتصديع ما فوقها من أبنية حضارية ودينية وسكنية وتجارية والتسبب فى انهيارها واجلاء سكانها وضياع معالمها وتهويدها .

يقول أمين القدس : لم تكد سلطات الاحتلال العسكرى الاسرائيلى تنتهى من هدم الحى المغربى وطمس معالمه وتسويته ليصبح ساحة تسمح بوقوف اليهود وراء حائط البراق الشريف والذى يطلقون عليه اسم حائط المبكى والى المباشرة بعمليات الحفريات تحت الحائطين الجنوبى والغربى للحرم الشريف ، حتى قاموا بتنفيذ مخطط عدوانى ثالث يستهدف مصادرة العقارات العربية فى أربعة أحياء مجاورة ، ووضع اليد على عدد آخر من مداخل الأحياء العربية الأخرى المجاورة والملاصقة للحرم القدسى من الجهة الغربية ، للتمهيد لهدم الأحياء الأربعة ، واجلاء سكانها العرب عنها ، واعادة انشائها ، واسكان يهود بدلا منهم ، واقامة مراكز اسرائيلية مسلحة فى العقارات الأخرى تطويقا للحرم القدسى الشريف من جهة ، وافراغا لتلك الأحياء من سكانها الذين يشكلون قواعد نجدة لأى اعتداء عليه من جهة أخرى ، وتهديدا للباقين بالقواعد فى مداخل الأحياء التى أقاموها من جهة ثالثة .

طرد المسلمين

وأشارت دراسة أمين القدس الى أن هناك جانب آخر من مؤامرات السلطات الاسرائيلية ضد القدس وأهلها وسكانها المسلمين ، يكشف عن ناحية من مأساة أهلنا وما يتعرضون له من طردهم عن مساكنهم وأماكن عملهم تمهيدا لاجلائهم عن مدينتهم خلافا للمادة (٤٩) من اتفاقية جنيف بشأن حماية المدنيين وقت الحرب وتحديا لقرارات هيئة الأمم ومجلس الأمن المتعاقبة حول مدينة القدس . فقد بادرت سلطات الاحتلال فى أعقاب اصدارها لأوامر المصادرة والاستملاك للأراضى والعقارات العربية المجاورة للحرم القدسى الشريف ، باصدار انذارات للمالكين تدعوهم بموجبها للتفاوض على تعويض لما يملكون، كما كانت فى نفس الوقت ترسل انذارات أخرى لسكان تلك العقارات أو العاملين فيها تطلب منهم التفاوض على الاخلاء خلال مدة معينة ، وكانت فى الحالتين تنذر الفريقين باتخاذ الاجراءات القانونية فى حالة التخلف .

وقد عارض المهددون بالاخلاء والطرد من مسلمى القدس ، كما عارض أصحاب العقارات ومعظمهم من سلالات عرب القدس لأجيال يمتد بعضها لثمانية قرون وبعضها لأكثر من اثنى عشر قرنا .. عارضوا هذه الاجراءات ورفضوا التخلى عن أملاكهم أو مساكنهم أو محلات عملهم ، وأرسلوا للسلطات المحتلة مذكرات خطية استنكروا فيها هذه الاجراءات ، وأعلنوا عن معارضتهم لها ، كما أرسلوا نسخا منها فى حينها للهيئات الدولية ، وأعلنوا أن هذه العقارات والأراضى هى جزء من وطنهم وأن التفريط فيه خيانة ، وانهم يرفضون أية مساومة كما يرفضون التخلية .

ويضيف أمين القدس : ورغم كل ذلك فقد واصلت تلك السلطات اخلاء هـذه العقارات بالقوة وتمكنت حتى اليوم من طرد ما يزيد على ستة آلاف مسلم من مساكنهم وأماكن عملهم داخل الأسوار ، وشردت ما يزيد على الف آخرين كانوا يعملون فى العقارات المصادرة ، وهى بالاضافة الى ذلك جادة ـ كما يعلن المسئولون الصهاينة ـ فى ملاحقـة الباقين منهم بالجـلاء والتشرد .

العدوان على المسجد الأقصى

وعن الاعتـداءات الاسرائيلية على الحرم القدسى الشريف يقـول روحى الخطيب : لقد استخدم الصهاينة كل الأساليب لتدمير وتخريب المسجد الأقصى .. فمنذ بداية الاحتلال اتخذت بعض الجمـاعات الدينية والسياسية والنقابية الاسرائيلية فى بعض الأوقاف أسلوب التستر بزيارة الحرم القدسى الشريف مدخلا الى الاعتداء على حرمته واقامة الصلوات اليهودية فى ساحاته، كخطوة أولى لاثبات حقوقهم الدينية فيه .

وكان أول من قام بمثل هذا الاعتداء رئيس حاخامى الجيش الاسرائيلى مع حوالى عشرين من جماعته حيث دخلوا من باب المغاربة ، وأقاموا أول صـلاة لهم فى الساحة الداخلية للباب ، وأعلن يومها أنه سـيقوم بصلاة أخرى كل أسبوع ، وسـيبنى كنيسة فى مـكان آخر فى ساحات المسجد .. وقد احتجت الهيئة الاسلامية فى القدس على هـذا الاعتداء فى حينه وهددت باغلاق أبواب الحرم .

وفى يناير من عام ١٩٧٦ أصدرت قاضية محكمة صلح اسرائيلية فى القدس قرارا يقضى باباحة الصلاة لليهود فى الحرم القدسى الشريف ، وقد شجع هـذا القرار جموع اليهـود على القيام باعتداءات اسرائيلية متواصلة لانتهـاك حرمة الحرم القدسى الشريف ، واقتحام أبوابه فى معظم ساعات النهـار فى محـاولات لتأدية صلوات يهودية بالقـوة ، وكانوا فى كل مرة يصطدمون بالحرس الاسـلامى وبجموع المصلين المسلمين ويتشاجرون معهم ، وتتدخل الشرطة الاسرائيلية المقيمة فى الحـرم وتخرجهم بعد أن تعتدى على المسلمين وتعتقل بعضهم .

يقول صاحب الدراسة الأستاذ روحى الخطيب:
لقـد أثار قرار القاضية الاسرائيلية فى حينها غضب واحتجاج المسلمين داخل فلسطين المحتلة وخارجها وعمت المظاهرات والاضرابات المـدن والقرى ومخيمـات اللاجئين .. ورغم ذلك لم تتوقف هـذه الاعتداءات خـلال العشرين عاما الأخيرة بل تزايدت وأصبحت أكثر وحشـية ، ولم تقتصر على الجماعات اليهودية المتطرفة ، بل اقتحم كبار رجال الدولة الاسرائيلية فى عـام ١٩٨٦ الحرم القدسى وأقاموا صـلوات يهودية فيه ، ونقلت وسائل الاعلام الدولية أخبار هذا الحادث المؤسف الذى اشترك فيه كبار رجال السياسة والدين والأحزاب الاسرائيلية ، وقاموا باقتحام الحرم القدسى الشريف ظهـرا يتقدمهم رئيس لجنة الشئون الخارجية بالبرلمان الاسرائيلى وبعض أعضائها ، ويرافقهم بعض الشخصيات الاسرائيلية التى تدعو لوضـع اليد الاسرائيلية على الحرم وهدم المسـجدين الأقصى المبارك والصخرة المشرفة ، وانشاء هيكل جديد لليهودية على أنقاضهما، كما كان يرافقهم بعض ممن اتهموا بنسف وتدمير المسجد الأقصى المبارك مؤخرا ، وعدد من العاملين بأجهزة الاعـلام والمصورين اليهود ، وكانوا يسـيرون فى ساحات الحـرم الداخلية بشكل مظاهرة استعراضية استفزازية يحاولون من خلالها اظهار فرض السيادة اليهودية على الحرم ، وأرادوا الدخول عنوة الى الأروقة السفلية التى يقوم عليها المسجد الأقصى المبارك فمنعهم الحرس الاسلامى ، ولكنهم لم يستجيبوا

وأسمعوه سيلا من الشتائم واعتدوا عليه بالضرب أمام رجال الشرطة الاسرائيلية المرابطة داخل الحرم .

وعندما استنجد الحرس بالمصلين المسلمين الذين كانوا يستعدون لتأدية صلاة الظهر وحاولوا اخراجهم تدخلت الشرطة الاسرائيلية واغلقت أبواب الحرم لمنع المسلمين من الدخول للنجدة .

وفى مساء نفس اليوم هاج البرلمان الاسرائيلى واعتبر اخراج أعضائه اساءة للسيادة الاسرائيلية ، وكرر رئيسه ورئيس الوزراء الاسرائيلى وعدد كبير من الوزراء والقادة ان السيادة الاسرائيلية على الحرم القدسى هى جزء من سيادتهم على القدس ، عاصمتهم الأبدية ، كما أعلن رئيس البرلمان أنه سيقوم بنفسه بالاعداد لزيارة اخرى للحرم فى الأسبوع المقبل لتأكيد سيادتهم على الحرم !!

ويضيف أمين القدس : وفى اليوم التالى قام الوزير الاسرائيلى أرييل شارون بزيارة استفزازية للحرم القدسى الشريف ودعا حكومته الى فرض السيادة الاسرائيلية على المسجدين الأقصى المبارك والصخرة المشرفة ، وبعد خمسة أيام قام كل من رئيس البرلمان الاسرائيلى ورئيس بلدية القدس بزيارة استعراضية استفزازية ثالثة للحرم القدسى الشريف ليظهروا لجموع الاسرائيليين فى الداخل والخارج اهتمامهم بتعزيز السيادة الاسرائيلية على الحرم القدسى الشريف .

يقول أمين القدس: هذه الاعتداءات الاسرائيلية الجديدة والمتتابعة والتى يقوم بها ممثلون عن أكبر هيئة سياسية وتشريعية فى سلطات الاحتلال العسكرى الاسرائيلى ليست الا حلقة فى مسلسل مخطط للاستيلاء على الحرم القدسى الشريف وما حوله ، وتهويدها كجزء رئيسى من مخطط تهويد القدس وفلسطين عامة .

احراق المسجد الأقصى

ويضيف أمين القدس : لم يكن حريق المسجد الأقصى المبارك فى أغسطس من عام ١٩٦٩ الا حلقة من سلسلة حلقات المخطط الاسرائيلى الصهيونى الرهيب لتهويد القدس ، وهو يهدف الى القضاء على هذا المكان الاسلامى المقدس ، والى القضاء على مسجد الصخرة المشرفة المجاور ، والى الاستيلاء على الحرم القدسى الشريف بكامله ، والى تشييد هيكل اسرائيلى كبير على أنقاضهما والى مجابهة العالم فيما بعد بالأمر الواقع .

وكانت سلطات اسرائيل قد مهدت لهذا الحريق بعدد من التصريحات والاجراءات أهمها تصريحات لزعماء الدين اليهودى حضوا فيها على استملاك الحرم الشريف وما فيه ومصادرة وهدم ونسف العقارات العربية الملاصقة للمسجد الأقصى واحتلال باب المغاربة واقامة مركز عسكرى اسرائيلى فيه وفتحه لجميع الزوار اليهود دون رقابة اسلامية ، واقامة صلوات يهودية فى داخل ساحة الحرم الشريف من قبل رجال الجيش والدين اليهودى ، ومحاولة شراء ساحة الحرم.

ويؤكد الأستاذ روحى الخطيب أن الحريق كان متعمدا ومدبرا من قبل السلطات أو الهيئات الاسرائيلية ، وقد قامت بالتخطيط له وبتنفيذه باحكام نفس السلطات والزعامات الصهيونية التى قامت بالتصميم والتخطيط لعدد من الحوادث الجسام .

محاولات هدم المسجد الأقصى

يقول أمين القدس : بعد أن فشلت محاولة هدم المسجد الأقصى عن طريق احراقه لجأت الهيئات الاسرائيلية من دينية وحزبية وحتى رجال الجيش منهم الى التخطيط لاعتداءات مسلحة

لنسف ولهدم المسجدين الأقصى المبارك والصخرة المشرفة ، وكان من أبرز هـذه المحاولات الأخيرة ما يلى :

● فى شهر مايو من عام ١٩٨٠ أعلنت السلطات الاسرائيلية أنها اكتشـفت كميات من المتفجرات والقنابل والأسلحة على سـطح احدى المدارس الدينية فى الحى اليهودى داخل سـور القدس ، وأعلنت أنه بالتحقيق ظهر أن هذه الكميات سرقها ثلاثة من رجال الجيش الاسرائيلى أحدهم ضابط، وكانوا يخططون عن طريقها لنسـف المقدسات الاسلامية داخل الحرم الشريف .

● فى اغسطس من عام ١٩٨١ الذى صادف ذكرى خراب الهيكل عندهم قامت جموع يهودية كبيرة بمحاولات اقتحام الحرم الشريف من جميع أبوابه وتسـللوا الى بعض الأبنية المطلة على ساحات الحرم واعتدوا على أهلها ، وحاولوا الدخول الى ساحات الحرم بالقوة ، واشتبكوا مع المسلمين وكالعادة تدخلت الشرطة الاسرائيلية وفصلت بينهم واعتقلت بعض العرب .

● وفى ابريل من عـام ١٩٨٢ اقتحم جندى اسرائيلى باب الغوانمة، الواقع فى الشمال الغربى من الحرم ، وكان يقف على مدخله أحـد رجال الحرس الاسلامى ورجل شرطة ، وأطلق الجندى الاسرائيلى عليهما النـار من بندقيته الرشاشة التى يحملها وواصل سـيره الى سـطح مسجد الصخرة المشرفة يطلق النار بغزارة على المسلمين فقتل حارس المسجد وأصاب ٤٤ من المصلين .

● وفى مارس من عام ١٩٨٣ حاول ٤٦ من الاسرائيليين التسلل للحرم القدسى الشريف من المسجد الأقصى المبارك عن طريق الحفريات التى كانوا يقومون بهـا ، وكانوا يحملون صناديق تحتوى على مواد متفجرة تكفى لنسـف جميع الأماكن المقدسة داخل الحـرم ، وقد اكتشفهم حراس الأوقاف الاسلامية وتم ابلاغ قوات الأمن التى اعتقلتهم مع معـداتهم وأقامت لهم محاكمة صورية كما أقامت لمن سـبق من المعتدين وأفرج عنهم فيما بعد .

● وفى شـهر ابريل من عام ١٩٨٤ اكتشفت سلطات الأمن تنظيما سريا من رجـال الجيش الاسرائيلى ، كان يخطط لنسف الحـرم القدسى من الجو ، واعتقلت رجاله وأجرت لهم محاكمة استغرقت حوالى عام ، ثم أفرجت عن معظمهم ، وهناك مساع يقودها حزب الليكود والذى يرأسه رئيس وزرائهم شـامير يطالبون بالافراج عن الباقين .

وكان أحدث محاولاتهم اقتحام الحرم القدسى الشريف .. تلك المحاولات التى قام بهـا وفد البرلمان الاسرائيلى فى يناير من عام ١٩٨٦ والتى أثارت العالمين العربى والاسلامى بالاحتجاج والاستنكار وتقديم الشكوى الى مجلس الأمن الدولى والتى انتهت باستعمال الفيتو الأمريكى وافشال اتخاذ المجلس أى قرار بخصوصها .

فلينتبه المسلمون جيدا فى كل مكان من العالم أن قضـية القدس هى قضيتهم جميعا ليحموها مما يراد بها ويدافعوا عنها لأنها من مقدساتهم الغالية .

منهج .. ورسالة .. وغاية

للعلماء و المتعلمين

هذا هو العلم في الإسلام

بقلم: الدكتور أبو الوفا الغنيمي التفتازاني
نائب رئيس جامعة القاهرة
وشيخ مشايخ الطرق الصوفية

بعض الشباب يأخذهم الحماس الدينى الى حد القول بأن العلم فى الاسلام يقتصر على العلم بكيفية العبادات أو بأحكام الشريعة ، ولا يريدون مجاوزة ذلك الى أى لون من ألوان العلم أو الفكر أو الثقافة ، وهم بهذا يعزلون أنفسهم عزلا تاما عن عصرهم وما يجرى فيه من صراعات فكرية ، ويصبحون غير قادرين على مواجهة المذاهب والأفكار الالحادية التى تتحدى الاسلام وتحاربه ، واتخاذ موقف فكرى محدد منها ، والعمل على درء أخطارها التى أصبحت تهدد العالم الاسلامى كله . ولا يمكن كذلك أن نعزل مجتمعاتنا الاسلامية عن الأخذ بأسباب القوة المادية التى تستند أساسا الى العلوم فى مواجهة أعدائها ، وهذا فيه من الخطورة ما فيه .

وقد جاء الاسلام شاملا لكافة ضروب النشاط الانسانى ومنها البحث الكونى ، وقد أمر الانسان بتعمير هذا الكون المسخر له ، وهذا يعنى فى نفس الوقت : أن الكون المشاهد خاضع لادراكه وبحثه ، وأن الظواهر الطبيعية ليست بالشىء المبهم الغامض الذى لا يفسر ، وأن بمقدوره الاستفادة من الكون واستغلال خيراته على أوسع نطاق لتأمين حياته ورفاهيتها . يقول سبحانه وتعالى : « **وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه** » ويقول سبحانه وتعالى :

وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ
وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾

سورة النحل ١٢

ولا حد للعلم فى الاسلام ، وحسبنا قول الله تعالى : « **وقل رب زدنى علما** » : فالعلم دائما وأبدا فى ازدياد ، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى رواية تأبير النخل « أنتم أعلم بشئون دنياكم » ، وهذا يفتح الباب واسعا أمام العقل ليستنبط من أنواع العلوم ما لا حصر له ، **وتأمل المعنى فى قول الامام فخر الدين الرازى من أئمة أهل السنة والجماعة : « وقد نطقت أحاديث كثيرة بأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان كثير المشاورة لأصحابه ، ومن ذلك حديث أبى هريرة : « ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، وأصبحت هذه المشاورة قاعدة شرعية . ولذلك قال الحسن وسفيان بن عيينة: « انما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ليقتدى به غيره فى المشاورة ، ويصير سنة فى أمته » ومع أن الرسول كان أكمل الناس عقلا،**

الا أن علوم الخلق متناهية ، فلا يبعد ان يخطر ببال انسان ما لا يخطر على باله من وجوه المصالح ، لا سيما فيما يفعل من أمور الدنيا ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « أنتم أعلم بشئون دنياكم » ، ولذلك أيضا قال صلى الله عليه وسلم : « ماتشاور قوم قط الا هدوا لأرشد أمرهم » . ومعنى هذا أن مصالح الناس كثيرة ومتشعبة ولا يمكن تحديدها ، وتختلف من زمان الى زمان ومن مكان الى مكان » .

ومن هنا اعتبر فقهاء الاسلام العلوم والصناعات التى تتغير من زمان الى زمان ، ومن مكان الى مكان ، فروض كفايات ، فعلوم مثل الطبيعة والكيمياء والحياة والطب والزراعة وغيرها لازمة للمجتمع ، ودراستها عبادة لله تعالى ، وقد قال بعض الفقهاء — وهذا يدل على عمق نظرتهم — انه يتعين على ولى الأمر أن يدبر العلوم والصناعات اللازمة للمسلمين ، والتى يسبب فقدان اى منها حرجا للمسلمين ، فاذا لم يفعل ذلك يكون آثما لأنه يوقع المسلمين فى الحرج .

ويقول الامام الغزالى فى كتابه « احياء علوم الدين » : « أما فرض الكفاية من العلوم المحمودة » فهو كل علم لا يستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا كالطب اذ هو ضرورى فى حاجة بقاء الأبدان ، وكالحساب فانه ضرورى فى المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما . وهذه هى العلوم التى لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد (أى وقعوا فى الحرج) فلا يتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات فان أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة .. الخ » .

نخلص مما سبق الى انه ليس صحيحا أن العلم الذى يدعو اليه الاسلام هو العلم الدينى فقط ، وانما المراد به كل علم يدفع الجهل ، سواء فى مجال الأمور الدينية أو الدنيوية ، ومن ثم فلا تعارض بين الدين والعلم فى الاسلام بحال من الأحوال .

منهج التحصيل :

وننتقل بعد ذلك الى الحديث عن منهج القرآن الكريم فى تحصيل العلم ، ونحب أن نشير بادىء ذى بدء الى أن القرآن الكريم ليس كتابا فى المنطق أو مناهج البحث ، ولكنه يحتوى على الأصول العامة للدلائل العقلية ، أما تفصيلاتها فليس من وظيفة القرآن أن يتعرض لها ، ويكفى أنه ينبه اليها ليمضى العقل بعد ذلك الى وضع تفاصيلها وكشف قوانينها وطرق استخدامها ، وفى ذلك يقول الامام الغزالى : « وأول ما يستضاء به من الأبواب ، ويسلك من طريق النظر والاعتبار ما أرشد اليه القرآن ، فليس بعد بيان الله بيان » .

فالقرآن الكريم يدعو الى طرح التقليد ، ليحرر الفكر من قيوده ، ومن الاعتقادات الباطلة الموروثة التى سبقت نزوله ، وفى ذلك يقول الله تعالى :

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟
مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ
كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾

سورة البقرة ١٧٠

وينعى القرآن على أولئك الذين الغوا شخصياتهم وخضعوا خضوعا تاما لأحبارهم ورهبانهم : **« اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » .**

ويعير القرآن أولئك الذين عطلوا حواسهم وعقولهم وركنوا الى التقليد الأعمى بانهم كالأنعام بل هم أضل سبيلا ، فيقول تعالى :

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا
مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ
لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ
كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾

سورة الأعراف ١٧٩

ويجعل القرآن العلم وحده — لا التقليد — السبيل الموصل الى ما يعتقده الانسان ويسلك ونفقه ، كما يشير اليه قوله تعالى :

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾

سورة الاسراء ٣٦

وكثيرا ما تحدى أولئك المقلدين للعقائد الباطلة الموروثة بمثل قوله تعالى :

« قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » ،

وقوله تعالى :

« قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون » .

ووجدت الدعوة الاسلامية صعوبة كبيرة فى الانتشار أول الأمر لما سيطر على العرب آنذاك من عقائد باطلة كتأليه الكواكب، وعبادة الأصنام، وتعديد الآلهة ، والايمان بالدهر ، كما كان العرب خاضعين أيضا فى الجاهلية لألوان من الخرافات والأوهام كالايمان بالغيلان والتنجيم والكهانة والعرافة ، وقد أبطل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك كله بأحاديث صحيحة واردة فى صحيح مسلم .

ومما له دلالة على ما نحن بصدده أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن الربط بين ظواهر الطبيعة التى تجرى على سنن الله تعالى وبين أى أسباب وهمية لا تمت اليها بصلة ، فيوم توفى ابنه ابراهيم حدث كسوف للشمس ظنه الناس معجزة تحدث لهذه المناسبة ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تنكسفان لموت أحد أو لحياته » .

لقد كان تحرير الفكر من قيوده فى الاسلام وراء تقدم المسلمين فمن هذا المنطلق اعتد علماء المسلمين بالعقل ودوره حتى فى استنباط الأحكام الشرعية ، وقد قال معاذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثه الى اليمن قاضيا : « اجتهد رأيى لاآلوا » حين لا يجد فى القرآن والسنة نصا يحكم به .

تنبه علماء الاسلام الى ضرورة اطلاق العقل فى كل اتجاه ، ولم يضعوا قيدا على نشاطه ورسموا له منهجا فى البحث للوصول الى الحقائق العلمية ، وحسبنا أن نشير الى منهج ابن الهيثم الذى سبق به منهج بيكون التجريبى ، والى ما صرح به روجر بيكون من أنه استفاد المنهج التجريبى من العرب ، وكان من مفكرى القرن الثالث عشر الميلادى ومترجما فى بلاط فردريك الثانى للعلم العربى والفلسفة العربية .

ودفعت حرية الفكر الى الاستفادة من تجارب الأمم الأخرى ، ولو استقرأنا تاريخ الاسلام لوجدنا أن الحضارة الاسلامية كانت تقوى وتزدهر حين كان المسلمون مؤمنين بالاستفادة من تجارب الأمم الأخرى فى مجال العلوم كما حدث مثلا فى العصر العباسى حينما شجع الخلفاء حركة الترجمة ، وجعلوها سياسة مرسومة للدولة . فنقلوا الى المسلمين خلاصة تجارب الحضارة اليونانية ، وكان المسلمون آنئذ منتبهين الى قيمة حرية الفكر التى من شأنها كشف مجهول أو استكناه معقول . فلما ركن المسلمون فى عصورهم التالية الى التقليد ، وأهملوا دراسة العلوم الكونية ،اضمحلت أحوالهم السياسية والاقتصادية والعمرانية بوجه عام ، وتفوق عليهم الأوربيون بما اكتشفوه من أسرار الطبيعة ، وبما استحدثوه من مكتشفات علمية غيرت من مجرى التاريخ ، فكان الاستعمار لكثير من شعوب العالم ، وكان معه الاستغلال لهذه الشعوب أسوأ استغلال ، وما ذلك الا لانغلاق المسلمين زمنا طويلا عما كان يجرى فى أوروبا منذ عصر النهضة من تقدم فكرى وعلمى .

وهناك ملحوظة ثانية بالنسبة لمنهج العلم فى الاسلام ، ونحن اذا نظرنا الى القرآن الكريم نظرة فاحصة لوجدنا أنه ينبه العقول الى استخدام أنواع النظر العقلى المختلفة مباشرا أو غير مباشر ، فهو كما يدعو الى استنباط نتيجة من مقدمة أو مقدمات ثبتت صحتها فى معرض الاستدلال على العقائد النظرية (انظر الآيات من آخر سورة يس ٧٧ — ٨٣) نراه يدعونا أيضا الى استخدام المشاهدة الحسية واستقراء الجزئيات من عالم الطبيعة ليصل بنا من ذلك الى معرفة

القوانين العامة التى تسير هذه الطبيعة بمقتضاها .

فمن الآيات التى تدل على استخدام القياس قول الله تعالى : « فاعتبروا يا أولى الأبصار » ويرى ابن رشد أن الاعتبار المشار اليه فى هذه الآية الكريمة هو القياس بنوعيه العقلى والفقهى .

ومن الآيات التى تنبه الى استخدام الاستقراء والنظرة الفاحصة للأشياء وكيف تتركب قوله تعالى :

أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾

وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ

نُصِبَتْ ﴿١٩﴾

سورة الغاشية ١٧ — ١٩

وتأمل كلمة « كيف » فى هذه الآيات لترى أنها تعبر عن روح المنهج العلمى الحديث ذلك أن العلم فى مفهوم علماء مناهج البحث المحدثين هو اجابة عن السؤال « كيف » وليس اجابة عن السؤال « لماذا » ، بعبارة أخرى العلم يعنى ببيان كيف تتركب الظاهرة ولا يعنى بالبحث عن الغاية منها .

وينبه القرآن الكريم بعد هذا الى أن النظام الكونى مطرد السنن له قوانين لا تتبدل وهى ما نصل اليه بالاستقراء العلمى القائم على المشاهدة الحسية ، والى ذلك الاشارة بمثل قوله تعالى :

لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ

ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

سورة يس ٤٠

وكذلك الاجتماع البشرى له قوانين لها نفس الاطّراد والثبات ، ويمكن معرفة ذلك بالاستقراء التاريخى ، والى ذلك الاشارة بمثل قوله تعالى : **« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » « سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » .**

للعلم غايات :

بقى أن نتحدث عن غايات العلم فى الاسلام .

هناك ثلاث غايات للعلم فى الاسلام ، هى : معرفة قوانين الخلق ، ومعرفة الله تعالى أو الخالق ، وتحقيق النفع للمجتمع .

وهناك مرحلتان متميزتان للعلم لا يجوز الخلط بينهما :

الأولى : هى التى يستخدم فيها الناظر استدلالا استقرائيا يكشف به عن الأسباب والمسببات ويتوصل منه الى معرفة القوانين العامة التى تخضع لها الموجودات .

والثانية : يستخدم فيها فكرا استدلاليا ينتهى منه الى اثبات وجود الخالق للكون عن طريق مشاهدة غائية الظواهر التى لا تفسرها له المصادفة .

بهذا ينطلق الناظر من معرفة المصنوعات الى معرفة الصانع تعالى . وقد عبر ابن رشد عن هذا بقوله : « وكلما كانت المعرفة بصنعتها أتم كانت المعرفة بالصانع أتم » .

وما أعمق المعنى فى قول الله تعالى :

إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ

ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ

ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ

فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾

سورة آل عمران ١٩٠ ، ١٩١

وقد يقف بعض الناظرين عند المرحلة الأولى ولا يتجاوزونها الى الثانية ، وهؤلاء « يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » ، انهم قد وصلوا الى منتصف الطريق ، وفاتهم الغرض البعيد من البحث فى آيات الله الكونية ، فكانوا بذلك محجوبين عن الحقيقة ،

محصورين فى دائـرة المادة ، لا يستطيعون الخروج منها الى ما وراءها » آثروا النفع العاجل على النفع الآجل ، وشـغلوا بالوسـائل عن الغايات « **ذلك مبلغهم من العلم** » .

وما أجمل هذا المعنى حين يعبر عنه ابن عطاء الله السكندرى فى الحكم بقوله : « الكائن فى الكون ولم تفتح له ميـادين الغيـوب مسجون بمحيطاته ، ومحصور فى هيكل ذاته » .

أما ما يراه البعض من ضرورة الموضوعية ، والاعتماد على التجربة الحسية واخضاع الظواهر للقياس الكمى فى البحث العلمى ، فهذا ولا شك من خصائص المرحلة الأولى ، ويبقى بعد ذلك أن يسير العالم من المرحلة الأولى وهى العلم الى المرحلة الثانية وهى الايمان ، وذلك اذا أراد ان أن يحقق انسانيته ويجعل لحياته معنى .

ان نهاية العلم فى الحقيقة هى بداية الايمان الصحيح لا الايمان الشكلى ، وتأمل عمق المعنى فى قوله تعالى : « **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** » ، وقوله تعالى « **انما يخشى الله من عباده العلماء** » .

ونأتى بعد ذلك الى الغاية الأخيرة للعلم وهى نفع المجتمع : اننـا لو نظرنا الى العلم نظرة فاحصة لوجدنا أنه فى أسـاسه خلق معين ، فالعالم يكتسب معلوماته وفق آداب معنية هى ما يعرف بقواعد المنهج العلمى كالموضـوعية والنزاهة العلمية المتمثلة فى طرح الأفكار المسبقة والتفانى فى الوصول الى الحقائق المجردة .

والعلم كما يقول علماء مناهج البحث المعاصرون ليس معلـومات بقـدر ما هو طريقة أو منهج لتحصيلها . ويمـكن اعتباره من هـذه الناحية قيمة من القيم اذا آمن بها المجتمع كأسلوب فى الفكر والحياة فانه يحقق تقدمه الحضـارى المنشود ، واذا لم يؤمن بها أصبح أفراده فريسة للأوهام والخرافات ، ولم يحققوا لمجتمعهم أى نفع أو تقـدم .

ويدلنا على أن العلم بهـذا المفهـوم قيمة أساسية فى الاسـلام أنه يجعل التفاضل بين الناس فى المجتمع على أساس منه لأنه أساس كل عمل ناجح أو سلوك فاضل . والتقوى التى هى أيضا من أسـس التفاضل بين الناس هى نفسها مردودة الى العلم بأحكام الدين ، فرجع التفاضل بين الناس مطلقا الى العلم .

يقول تعالى :

« **قل هل يسـتوى الذين يعلمـون والذين لا يعلمون** » « **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات** » .

ومما له دلالة عميقة على أن العلم على درجة قصوى من الأهمية فى الاسلام ان أول ما نزل من القرآن قوله تعالى :

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

سورة العلق من ١ ــ ٥

كما جعل الرسول صـلى الله عليه وسلم فداء من يقراون ويكتبون من أسرى بدر أن يعلم كل واحد منهم عشرة من أبنـاء المسلمين فى المدينة القراءة والكتابة .

ويمكننا القول بأن العلم ينبغى له ان يكون نافعا للفرد وللمجتمع ، ولهذا جاء فى دعاء للرسول صلى الله عليه وسلم : « اللهم انى اعوذ بك من قلب لا يخشع ، ومن دعاء لا يسمع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن علم لا ينفع » .

وشعار العلم للمجتمع الـذى ترفعه بعض الفلسفات المعاصرة من شروط العلم الأساسية فى الاسـلام ، فلا ينبغى أن يكون مقصورا على فئة من الناس ، أو يحبس نفعه عن الغير ، وقد روى عن الخليفة عمر بن عبد العزيز أنه كتب الى ابى بكر بن حزم يقول : « انظر ما كان من حديث

رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه ، فانى خفت دروس العلم (أى ذهاب أثره) وذهاب العلماء ، وليفشوا العلم (أى العلماء) ، وليجلسوا له حتى يعلم من لا يعلم ، فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا » .

واذا كان هدف العلم فى الاسلام تحقيق النفع فان توجيه العلم الى الاضرار بالمجتمع مناقض لهذا الهدف ، ففى عصرنا فلسفات تصطبغ فى ظاهرها بصبغة العلم ، وتذهب الى أن العالم المادى الذى ندركه بحواسنا هو الحقيقة الوحيدة ، وأن العقل فى الانسان هو أسمى نتاج للمادة ، ومثل هذه الفلسفات تولد فى الانسان غرورا لا حد له بنفسه وبالعلم وانجازاته . وما نراه الآن فى عالمنا المعاصر من استخدام العلم والتكنولوجيا فى اثارة الحروب والتدمير انما هو مظهر من مظاهر غرور الانسان المعاصر بالقوة المادية وحدها .. وابتعاده عن القيم الانسانية التى يمكن أن تحد من شرور تلك الحروب وويلاتها .

ولا يمكن فى رأينا لانسان العصر أن يستقر نفسيا ويأخذ وجهته الصحيحة نحو انجاز رسالته على الأرض الا اذا عرف حدوده مع خالق هذا الكون ومدبره ، ذلك أن الكون كله شأن من شئون الله تعالى : « **ولله ما فى السموات والأرض والى الله ترجع الأمور** » .

الله تعالى هو خالق الكون بما فيه الانسان ، وهو الذى ركب العقل فى الانسان ليعمر به الأرض لا ليدمرها ، وليعرف به خالقه لا ليلحد .

وحاول أن تضع الانسان فى اطار الكون كله وقوانينه الحتمية لا فى اطار قدرته الخاصة المحدودة لترى أن ليس للانسان قدرة على توجيه مجرى الحوادث الكونية وفق مشيئته ، لأن هذا من شأن خالق الأشياء جميعا ومدبرها ، وتأمل عمق المعنى فيما ورد فى القرآن الكريم على لسان ابراهيم عليه السلام ردا على أحد المنكرين لوجود الله عن طريق تعريفه بعجزه فى نطاق ذلك الاطار الكونى الذى أشرنا اليه :

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

سورة البقرة ٢٥٨

ولهذا لابد أن يقترن العلم فى الاسلام بخلق التواضع ، يقول تعالى : « **ولا تمش فى الأرض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا** » ، ويقول تعالى : « **وما أوتيتم من العلم الا قليلا** » ومهما يتقدم العلم ، ومهما يسيطر الانسان على بعض جوانب الطبيعة ، ينبغى ألا يغتر بما وصل اليه ، وانما عليه أن يتذكر دائما أن ثمة قوة أكبر من قوته وهى قدرة الخالق ، وأن الكون أوسع من أن يحيط به عقله المحدود .

لقد بدأت مجتمعاتنا فى زحمة الحياة المادية تفقد كثيرا من مقومات وجودها الروحى ، وأصبحت فى عصر سيادة العلم والقوة المادية التى حققتها التكنولوجيا تتشكك فى القيم الانسانية الرفيعة هل لها وجود أو أنها وهم من الأوهام .

لقد أصبح الناس فى عصرنا اللهم الا قلة واعية — ينظرون الى كل شىء ، على ضوء المادة ، ويقيسون كل شىء بمقياس الحس . ويقيننا أن الناس لو انصرفوا قليلا عما شغلتهم به الدنيا الى تدبر ما فى الاسلام من المثل الروحية ، ولو آمنوا بان وراء المادة عالما آخر له روعته وجلاله ، وله قيمه ومعاييره ، لغيروا من حكمهم على الأشياء ، ولوجدوا الراحة النفسية بعد العناء ، ولأقبلوا على حياتهم فى تفاؤل وابتسام ، ولاندفعوا الى العمل المثمر فى همة وثبات .

رسالة بغداد

عبداللطيف فايد - عبدالعظيم ملوك
تصوير : أحمد مهدى

مؤتمر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى بغداد :

الرئيس صدام حسين يتحدث فى الاجتماع باعضاء المجلس خلال استقبالهم بقصر الرئاسة ببغداد .

الأستاذ عبد فاضل وزير الأوقاف العراقى والى يمينه الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف والدكتور عبد الكبير العلوى وزير الأوقـاف المغربى والدكتور جمال الدين محمود الأمين العام للمجلس والى يساره المشير عبد الرحمن سوار الذهب .

أكد المؤتمر الثانى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية الذى عقد فى بغداد الشهر الماضى ان المجلس للمسلمين جميعا وليس لمصر وحدها .. جاءت وقائع الجلسات واجتماع الرئيس صدام حسين بالأعضاء ومقررات المؤتمر وتوصياته معبرة عن أن مسيرة السلام لابد ان تحقق غاياتها. سواء بين العراق وايران ، أو على أرض فلسطين ، وفى أفغانستان وفى كل مكان للمسلمين فيه وجود ، وفى أية بقعة من العالم .

لقد وضحت هذه المعانى كلهـا منذ بداية المؤتمر الذى ينتقل لأول مرة من القـاهرة ليأخذ مسيرة جديدة عبر العواصم الاسلامية . يضاف الى ذلك أنه تم الاتفاق خلال المؤتمر على أن يلتقى وزراء الأوقاف والشئون الاسلامية فى مكة المكرمة خلال شهر شعبان القادم ليتدارسوا مرحلة مهمة من مراحل العـلاقة بين الدولتين الاسـلاميتين العراق وايران .

ولقد أكسبت رعاية الرئيس صدام حسين للمؤتمر الذى عقد فى عاصمة الرشيد أهمية لائقة بجلال مهمته ، وهى ((السلام فى الاسـلام)) ، وذلك بعد أن رفعت العراق أعلام السـلام من واقع انتصارها فى آخر الاشتباكات بينهـا وبين ايران بتحرير الفاو وسائر الجزر واجلاء الايرانيين عنها . وايقاف القتال فيما سمى بحرب الخليج . عزاء للشهداء .. وصيانة للعقيدة :

وكانت الكلمة التى افتتح بها عزت ابراهيم نائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقية نائبـا عن الرئيس صدام حسين معبرة عن ضرورة وحدة الشعوب الاسلامية لأن هذا هـو منطق العقيدة والتاريخ والمسيرة الحضارية العلمية ، الأمر الذى أكده النشاط العلمى والصناعى الذى انطلق من بغداد والكوفة والبصرة فى العصـور الزاهـرة للأمة الاسلامية .

ولم تكن هذه الكلمة هى التعبير الوحيد عن ترحيب العراق بالمؤتمر ، فقد كانت الكلمة التى القاها وزير الأوقاف العراقى الأستاذ عبد الله فاضل معبرة هى الأخرى باسلوب رقيق المشاعر حيث قال ان انعقاد هذا المؤتمر على أرض العراق سيكون عزاء للشهداء ودفعـة قـوية لتبـادل الأسرى ، وصيانة للعقيدة الاسلامية من تحريفات المنحرفين والغالين ، وذلك فضلا عن أنه مناسبة عظيمة لتدعيم السلام .

الدكتور محمد على محجوب وزير الاوقاف ورئيس المجلس

يلقى بيان المجلس فى افتتاح المؤتمر

• المجلس للمسلمين جميعا وليس لمصر وحدها

• مسيرة السلام للعراق وإيران وفلسطين وأفغانستان

• وحدة الأمة فى أخوة شعوبها والتزامها بدينها

وكان خطاب الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف المصرى ورئيس المجلس الأعلى للشئون الاسلامية يهدف تماما الى رأب أى صدع فى الجبهة الاسلامية من المشرق الى المغرب ، فمع تحيته لأعضاء المؤتمر حيا العراق ورئيسه وكفاح شعبه من أجل السلام وانهاء معاركه مع ايران .

وتستمر الكلمات الهادفة للدكتور محمد على محجوب لتؤكد أن اجتماع المؤتمر فى بغداد رمز لا يخطىء لوحدة المسلمين فالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ليس مؤسسة قطرية وانما هو مؤسسة للمسلمين جميعا فى كل مكان متعاونين مع وزراء الأوقاف فى الدول التى تهمها رسالة المجلس سيرا على سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولقد مضت فترة اعتور الضعف الأداء فيها، ولكن آن للدنيا أن تتعرف من جديد على رسالة الاسلام بما فيها من اصلاح ، ورحمة وعلم ، واكتشاف لنواميس الكون ، وتعمير الأرض ، وتوازن البيئة ، والمحافظة على موارد البيئة ، وعدم الاسراف ، والتعارف بين الشعوب .

وقال الوزير : اننا حين نعرض الاسلام هذا العرض اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فستعرف الدنيا كلها الاسلام على حقيقته .. وهذه هى رسالة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

ثم وضع الوزير المؤتمر أمام مسئولياته حين قال فى كلمته : ان أعداءنا لا يستريحون الا بالتفرقة بيننا ، واننا نستطيع أن نقلق راحتهم بتعاوننا حتى يرفعوا غيظهم وغلهم عنا ، وان كلمتنا اليوم فى بغداد من أجل الأخوة بعامة ، ومن أجل السلام ، وان عيونا كثيرة تتطلع الينا ، بعضها راض ، وبعضها ساخط ، ولكن لقاءنا تاريخى ، فدعوته عودة الغائب الى وطنه ، وليكن نداؤنا نداء حب وسلام بين بغداد وايران .

● الهدوء العالمى فرصة لتعريف العالم بالإسلام .

جانب من أعضاء المؤتمر من بينهم الدكتور عبد المنعم النمر والأستاذ ناصف طاحون .

طريق العمل :

وحين تحدث الشيخ عبدالوهاب عبدالواسع وزير الحج والأوقاف فى المملكة العربية السعودية فى جلسة الافتتاح باسم الوفود اتخذ أفقا فسيحا لكلماته وهو يعبر عن المعانى الاسلامية ، فهو ينظر الى العالم كله والى أقطاره الكبرى وهو يرسم للمسلمين طريق العمل ، فواجبهم أن يقوموا بحملة كبيرة للتعريف بالاسلام فى فرصة الهدوء العالمى بين الأقطاب ، فالاسلام ينتشر بالكلمة الطيبة والقدوة الصالحة ، وهو ليس دين قتال الا اذا كتب على أبنائه القتال ، كما أن من واجب المتحاربين فى الدول الاسلامية أن يلقوا السلاح وينبذوا الخلافات وأن يعودوا اخوة متحابين .

ثورة الحجارة .. وكفاح أفغانستان

كانت هذه الكلمات المضيئة توضح الطريق للمناقشات بعد الجلسة الافتتاحية ليؤدى المؤتمر أغراضه ولا يضل به الطريق وسط اتجاهات قد يوجهها هذا أو ذاك من خلال المناقشات .

ففى بداية المناقشات تحدث الدكتور مصطفى كمال حلمى النائب الأسبق لرئيس وزراء مصر ووزير التعليم فيها فقال : ان أول اجتماع للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية خارج مصر جاء فى بغداد ، وهذا يعتبر امتدادا لوحدة التاريخ والحضارة بين مصر والعراق .

ودعا الى سرعة تبادل الأسرى بين العراق وايران ، فهذا التبادل من شأنه أن يخفف بغضاء النفوس الذى ترسب فيها طوال ثمانى سنوات من الحرب .

كذلك قدم التهنئة للمجلس الوطنى الفلسطينى على مقرراته فى الجزائر والتى كان فى مقدمتها اعلان قيام الدولة الفلسطينية ، وحيا كفاح أطفال ثورة الحجارة ، كما حيا كفاح شعب أفغانستان .

● طريق السلام لفلسطين يمر عبر الحدود العراقية الإيرانية .

● حرب الخليج خلقت العداء بين الشيعة وأهل السنة .

السلام الناقص .. والأكذوبة الكبرى :

والشيخ الدكتور عبد العزيز الخياط وزير الأوقاف بالمملكة الأردنية الهاشمية رجل يستولى على المستمعين بحديثه الذى يرتبط دائما بالأمانى الكبيرة للأمة الاسلامية ، فهو يحب دائما أن تكون قضية فلسطين ذات مكان مرموق عندما يتحدث عن هموم المسلمين سواء كانوا فى القاهرة أو فى بغداد أو فى أية عاصمة أخرى ، فسلام المسلمين مرتبط بكل هذه الأماكن ، لكن السلام فى القدس يتقدمها جميعا ، هى أولى القبلتين وثالث الحرمين، وهى الثلاث التى لا تشد الرحال الا اليها ، فلو حقق المسلمون سلاما على الحدود العراقية الايرانية وبقيت القدس بلا سلام فقد أصبح سلام المسلمين ناقصا .

والسلام فى القدس باعتبارها قلب فلسطين يعنى أن يتوحد المسلمون لكسبه ، ولن يتوحدوا لكسبه الا اذا تآلفوا فى محبة ووئام ، ومن شأن هذا التآلف أن يلقوا السلاح بينهم وأن تحل الكلمة الطيبة فى محاوراتهم مكان الكلمة الخبيثة .

والشيخ الخياط لا ينسى أن يشير الى أن حائط المبكى الذى يدعى اليهود أنه من مقدساتهم ليس الا أكذوبة كبيرة ، فلقد كان اليهود ممنوعين من دخول القدس طبقا لشرط المسيحيين فى عهد عمر بن الخطاب لهم ، وظلوا ممنوعين حتى فتح صلاح الدين الأيوبى القدس وخلصها من أيدى الصليبيين ، وعندئذ توسلوا الى صلاح الدين أن يسمح لهم بالمرور فيها ، وكان مرورهم فى شارع يحد أحد جانبيه أحد حوائط المسجد الأقصى ، لقد بنى هذا الحائط مكان أن حط البراق وتوقف عن المسير بعد أن بلغت رحلة الاسراء نهايتها ، فهو حائط البراق ، وجاء اليهود وهم يمرون به ليبكون ، وسموه حائط المبكى وادعوا له قدسية .

الشيخ الخياط — وله حق فيما يقول — يؤكد أن سلام المسلمين لا يتجزأ فهو اذا كان على الحدود بين العراق وايران قضية جغرافية فهو فى فلسطين قضية عقيدة وتاريخ عريق وعظيم ، لكن طريق السلام فى فلسطين يمر من الحدود بين العراق وايران .

ويؤكد الشيخ الخياط أن المسلمين أمة واحدة : سنة وشيعة، وهما فى الاتجاه الصحيح، وأن الدعوة بالقومية تصبح هدامة اذا لم تكن الى الاسلام ، فاننا قوميون به ، ونؤمن بالعروبة جزءا من الاسلام، وأية دعوة الى قومية فى اللغة أو العرق أو الجنس البشرى هى ارتداد عن قومية الاسلام الكبرى .

ودعا فضيلة وزير الأوقاف المسلمين الى أن يكونوا أقوياء ، والقوة فى الحرب يجب أن تواكبها القوة فى السلم، فالتحديات التى يواجهها المسلمون لها علاقة بالسلم والحرب ، كما دعا الى ترشيد الصحوة الاسلامية بالحوار والمناقشة ، والا فالحزم ضرورى ، والشدة لازمة ، والقوة وسيلة.

● مواجهة الانحراف فى العقيدة مهمة أساسية للعلماء .

جانب من اعضاء المجلس الأعلى للشئون الاسلامية يتوسطهم الدكتور وزير الأوقاف

ضروريات السلام :

ومن منطلق الأخوة الاسلامية تحدث الأستاذ الدكتور أبو الوفا التفتازانى نائب رئيس جامعة القاهرة وشيخ مشايخ الطرق الصوفية .. قال: ان من قمم أمانينا أن ينطلق السلام فى كل أرض المسلمين ، وأن يكون السلام بين العراق وايران من منطق الأخوة الاسلامية . وأشاد بموقف العراق فى مد الأيدى بالسلام من موقع القوة ، ودعا ايران الى التجاوب مع العراق ، وفك الأسرى .

وأضاف : ان السلام ضرورى لحماية ديار المسلمين من غزو الأجانب العسكرى ، وهو ضرورى أيضا لمواجهة المذاهب الفكرية التى تهددنا ، فعصرنا عصر الصراع الفكرى ، ومن الأفكار الدخيلة ما غزا مجتمعنا ، ومن هذه الأفكار ما هو مادى بحت ، ومجتمعنا يعانى من الصراع النفسى نتيجة للقيم التى يؤمن بها مع الغزو الفكرى ضد هذه القيم . ولذلك فمن أول واجبات المسلمين أن يواجهوا الانحراف الذى يستهدف العقائد الاسلامية وهو يتستر وراء الاسلام ، ويواكب ذلك توجيه الشباب حتى لا يغالى فى الدين ويزداد بعدا عن عقلانية الاسلام . كذلك نبذ التعصب المذهبى والجدل ، واحلال الألفة والحب مكانهما ، والعناية بالتخلق الحسن والسلوك الحميد ، وتنمية المجتمع على هذه الأسس .

● أسباب اجتماعية لاختلال الوحدة المنهجية لحياة المسلمين .

اختلال الوحدة المنهجية .. لماذا ؟

وفى المدى الفسيح للسلام فى الاسلام تحدث الأستاذ الدكتور عبد الله التركى رئيس جامعة الامام محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية .

فى البداية قال : انه لا سلام بلا اسلام ، لأنهما قرينان لا يفترقان ، والمسلم الحق هو المسالم فى دعوته وخلقه وسلوكه ، وهو الملتزم فى كل شىء ، ومن هذا الفهم حمل المسلمون السلام الى العالم بالاسلام .

ثم تساءل الدكتور التركى قائلا : ما هو السبب فى اختلال الوحدة المنهجية للاسلام والسلام فى حياة المسلمين ؟

وأخذ يجيب عن هذا التساؤل بقوله :

من أسباب هذا الاختلال عدم قيام المسلمين بالفهم الصحيح للاسلام ، وبالتالى عدم تطبيقه ، فهم يباشرون ما يناقض الاسلام فى علاقاتهم وسلوكهم .

كذلك جعل الجنسيات والأعراق مجالا للتفاضل ، مع أن الأصل فى التفاضل هو التقوى .

ومن هذه الأسباب أيضا التنابز بالألقاب والسخرية والسباب ، وهذه كلها تتعارض مع الاسلام .

كذلك المفهوم الخاطىء للسلام ، فهو لا يتعارض مع الاسلام ولا ينقص حقا من حقوق المسلمين .

بعد هذه الاجابات وغيرها أسقط الدكتور التركى هذه الأسباب على الحرب التى وقعت بين العراق وايران . وقال : ان الفكر الذى أشعل هذه الحرب لم ينته بعد . واننا اذا كنا نطلب السلام فيجب ألا نطلبه على حساب العقيدة .

وفى كلمات قليلة رسم الدكتور التركى الطريق السوى لتجنب الأخطاء والحماية منها ، قال : ان من الضرورى اعادة النظر فى مناهج التعليم ليكون مصدرها تعاليم الاسلام مضمونا وأهدافا ، كذلك يجب أن يكون اعلامنا مطابقا لهذه التعاليم غير خارج عليها .

العداء المصطنع بين السنة والشيعة

وحين تحدث فضيلة الدكتور الشيخ عبد المنعم النمر الوزير الأسبق للأوقاف فى مصر دافع عن أهل السنة والشيعة معا ، فقال : انهما أخوان يعيشان معا فى حب ووئام منذ قديم ، وأن أهل السنة يحبون آل البيت حبا جما ويخصون الامام على بن أبى طالب بلقب الامامة من دون الخلفاء الراشدين الثلاثة قبله أبى بكر وعمر وعثمان ، فلما قامت الثورة الايرانية وجهها الفكر غير السوى الى عداء أهل السنة وحربهم ممثلين فى العراق ، لكننا نرى العراق السنى يمد يد السلام الى ايران الشيعى .

وفرق فضيلته بين شروط الامام عند أهل السنة والشيعة ، وانتصر لمذهب أهل السنة لأن الامام عندهم لا تعقيد فى اختياره فهو واحد من عامة المسلمين يختارونه بالشورى ويبايعونه على السمع والطاعة مادام مقيما لحدود الله مدافعا عن الاسلام مطبقا لأركانه ، لا تعيين له من قبل ولا عصمة .

وحــذر فضيلته من المذاهب الهدامة مثـل البهائية التى اخذت تظهر فى مجتمعات المسلمين ، ودعا الى تنوير الشباب فى زمن السلم عن هذه المذاهب وعن الأفكار التى تصطنع العـداء بين أهل السنة والشيعة .

الدكتور محمد على محجوب يصافح الدكتور عبد الكبير العلوى وزير الأوقاف بالمغرب وحولهما عدد من الاعضاء .

التخلف المادى .. والفكرى

علماء كثيرون تحدثوا فى المؤتمر :

المشير عبد الرحمن سوار الذهب الرئيس الأسبق للسـودان .. كان حديثه عن وحـدة المسلمين بعامة .

الدكتور صوفى ابو طالب الأستاذ بكليـة الحقوق بجامعة القاهرة والرئيس السابق لمجلس الشعب بمصر تحدث عن السـلام الاجتمـاعى للمسلمين وعن خدماتهم الجليـلة التى قدموها للبشرية ، وطالب بمراجعة كتب الفقه الاسلامى على اختلاف مذاهبه لاستخراج كفـالة عظيمـة لحقوق المجتمعات .

الدكتور عبد الكبير العلوى وزير الأوقاف المغربى ، اشاد بانعقاد المؤتمر فى العراق ، وقال اننا حين تبادلنا الآراء تبادلنا المشاعر ايضا ، ووصف قادة الأمة الاسلامية بانهم على مستوى المسئولية ، ودعا الى توجيه العنـاية لتربيـة الشباب على موجبات العقيدة الاسلامية .

الأستاذ الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف يصافح نائب رئيس مجلس الثورة العراقية

الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر الأسبق ، ورئيس المركز الدولى للسيرة والسنة بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية قال : ان ما بين ايران والعراق نزعة شيطان وقد آن لها آن تنتهى ، ووصف موقف علماء المسلمين فى المؤتمر بأنه موقف مودة يجب أن تكون هى السائدة فى علاقات أبناء هذه الأمة وشعوبها .

الدكتور عبد الصبور مرزوق المدير العام السابق لرابطة العالم الاسلامى ، وضع ولاة الأمور فى الدول الاسلامية عند مسئولياتهم عندما تحدث عن خسائر الحرب بين العراق وايران فقال انها ٢٥ ألفا و ٦٠٠ مليار دولار للسلاح فقط عدا تدمير حقول البترول ، وتدمير الانسان من الداخل، واشاعة الخلافات بين المسلمين ، وظهور التخلف الفكرى عند جماعات من الشباب .

وتحدث غير هؤلاء كثيرون ، وكانت أحاديثهم جميعا على مستوى المسئولية .

بدون فداء ولا شروط

ثم كان اللقاء مع الرئيس العراقى صدام حسين لأعضاء المؤتمر بدعوة منه . وكانت كلماته اليهم معبرة عن مرارة الحروب بين المسلمين فليس أشق على النفوس من الاخوة يتقاتلون ، لكن العراق حينما حقق النصر ، وقبلت ايران بوقف القتال قام مهنئا شعبى العراق وايران بالسلام لأن الجميع مسلمون .

وشرح الرئيس العراقى صدام حسين الخطوات التى اتخذها فى جميع مراحل الحرب لايقافها ووضع السلاح .

• قرارات وتوصيات مهمة .. واجتماع في شهر شعبان المقبل .

وتجاوب مع مشاعر أعضاء المؤتمر وهم يتحدثون عن الأسرى واطلاقهم فقال : اننا نحاول جهد الطاقة على مائدة المفاوضات لانهاء هذه المشكلة . وانني تكريما لأعضاء المؤتمر أقرر اطلاق سراح أسرى ايرانيين بعددهم بدون فداء ولا شروط .

وقبل أن تكون هذه المجلة « منبر الاسلام » بين أيدى قرائها يكون ١٥٢ أسيرا ايرانيا قد عادوا الى بلادهم قبل أسبوعين ، فقد اتخذت الاجراءات لذلك وتم التسليم .

البيان الختامى

وقد جاء البيان الختامى للمؤتمر وقراراته وتوصياته معبرة أصدق تعبير عن هذه المعانى كلها مؤكدا على صدق العزم على أن يكون السلام هو طريق الأمة الاسلامية فى مسيرتها القادمة . قال البيان :

ايمانا بمسيرة السلام والاخوة والتضامن بين شعوب العالم الاسلامى ، وتأكيدا لرسالة الاسلام دعوة للسلام ، ودعما للعلاقات الأخوية ، ومساندة للجهود المبذولة فى سبيل تقدم الأمة الاسلامية فى عصر لا مكان فيه للتخلف أو الضعف أو التفرق والانقسام .

وتمسكا بمبدأ السلام بين الدول الاسلامية ، وتوحيدا لصفوفها ، وحشدا لقواها فى سبيل اعلاء كلمة الله ، والتصدى للقوى المضادة التى تحاول تهديد الأمة الاسلامية ، وتدمير مصالحها وتفريق شملها .

وسعيا الى مساندة كل جهد يبذل فى سبيل نشر السلام ، وبث روح التضامن والاخوة الانسانية بين جميع الشعوب .

وتعبيرا عن علاقات الاخوة العربية والاسلامية التى تربط بين جمهورية مصر العربية والجمهورية العراقية شعبا وقيادة والتى تمثلت فى انعقاد مؤتمر المجلس الأول فى مدينة السلام ببغداد .

فان المؤتمر وهو يبارك النصر المظفر للعراق والذى يعبر عن انتصار ارادة السلام يسجل بكل التقدير دعوته الدائمة للسلام وسعيه اليه وحرصه على توفير أسبابه . ثم مضى البيان يشير الى أهدافه قائلا :

• يعلن المؤتمر العام للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية عن ترحيبه وتأييده لموقف الجمهورية العراقية المبدئى من دعوتها المستمرة للسلام وقبولها لجميع مبادرات السلام بينها وبين ايران تمهيدا لتحقيق السلام العادل والشامل والدائم بين الشعبين العراقى والايرانى .

ويعبر المؤتمر عن ارتياحه لقبول ايران للقرار رقم ٥٩٨ ويناشدها بان يتم تنفيذ هذا القرار بحسن النية التى تتطلبها الاخوة الاسلامية وحسن الجوار ويطالب المؤتمر باستمرار الجهود للتوصل الى السلام القائم على العدل وعلى احترام ارادة الشعوب وسيادة الدول على أراضيها وعدم التدخل فى الشئون الداخلية بين الدول الاسلامية .

● يدعو المؤتمر ، انطلاقا من أحكام الشريعة الاسلامية فى شأن أسرى الحرب ، وكذلك قواعد القانون الدولى ، الى المسارعة بانهاء عملية تبادل الأسرى بين البلدين المسلمين فى نطاق الحرص على حقوق الأسير التى تنظمها الشريعة الاسلامية وقواعد القانون الدولى واتفاقيات جنيف لسنة ١٩٤٩ والتى تقضى بالبدء فى تبادل الأسرى فور وقف الأعمال العدوانية بين البلدين والمتمثل فى وقف اطلاق النار وان يتم ذلك العمل بعيدا عن اية خلافات أو معوقات سياسية .

● ويسجل المؤتمر بالتقدير موقف العراق من حرصه على سرعة تبادل الأسرى وتعاونه الكامل مع الهيئات الدولية فى هذا المجال .

ويحيى المؤتمر ويبارك الموقف الاسلامى والانسانى النبيل المتمثل فى قرار السيد الرئيس صدام حسين باطلاق سراح عدد من الأسرى الايرانيين مساو لعدد أعضاء المؤتمر كمبادرة اسلامية انسانية فى سبيل دفع الجهود لسرعة تبادل الأسرى واظهارا لحسن النية واتباعا لحكم الشريعة الاسلامية .

وازاء هذا التكريم لعلماء الأمة الاسلامية بفك أسير ايرانى تقديرا لكل عضو شارك فى المؤتمر ، فانهم يشعرون بعبء المسئولية الملقاة على عاتقهم فى التوجيه اسلاميا وانسانيا فى المساجد والندوات والمؤتمرات ووسائل الاعلام ، ودوليا عن طريق الهيئات والمنظمات الاسلامية والدولية ، بضرورة تبادل الأسرى والضغط بكل الطرق حتى تستجيب ايران لهذه المبادرة الاسلامية الانسانية النبيلة وتسارع بتبادل الأسرى دون استغلال لهذه المسألة فى تحقيق مكاسب سياسية .

● ويرى المؤتمر أن سرعة تبادل الأسرى يعد تمهيدا اسلاميا لازما لتهيئة المناخ للوصول الى سلام عادل وشامل ودائم بين البلدين المسلمين . وان اعراض ايران عن الاستجابة لهذه المبادرة الاسلامية الكريمة يشكل تهديدا لفرص تحقيق السلام المستقبلية ، ويكشف المواقف التى تتعارض مع روح الاسلام ودعوته للسلام .

● يرحب المؤتمر بالخطوات الاسلامية الكبيرة التى حققها العراق على أرضه فى الدفاع عن عقيدة الاسلام وثقافته ، وبما أبدته القيادة العراقية من اعتزاز بالاسلام سواء فى مجال تحرير الأراضى العراقية أو الدعوة الى السلام بين الشعبين العراقى والايرانى ، وتأكيدا للهوية العربية الاسلامية الأصيلة فى بناء الانسان وتقدم المجتمع .

● ان المؤتمر يبارك ويحيى الانتفاضة الفلسطينية التى تعبر عن ارادة الشعب الفلسطينى فى رفضه للاحتلال الاسرائيلى . ويدعو المؤتمر الى استمرارها والاصرار عليها حتى تتحرر الأرض الفلسطينية من الاحتلال . ويناشد المؤتمر كافة الشعوب والحكومات العربية والاسلامية مساندة الشعب الفلسطينى فى نضاله المشروع لتحرير أرضه وصموده أمام الممارسات اللا انسانية الاسرائيلية فى الأرض المحتلة .

● يعلن المؤتمر تأييده المطلق واعترافه الكامل بقيام دولة فلسطين وعاصمتها القدس العربية طبقا للاعلان الصادر من المجلس الوطنى الفلسطينى بتاريخ ١٩٨٨/١١/١٥ ويدعو المؤتمر الشعوب والحكومات العربية والاسلامية لمساندة دولة فلسطين من أجل تحرير أرضها وتحقيق آمال الشعب الفلسطينى . والمؤتمر بكل أعضائه اذ يترحم على أرواح الشهداء الأبرار الأكرم منا جميعا الذين ارتفعت أرواحهم من ساحات الجهاد والشرف من أجل العروبة والاسلام ، يدعو الى استكمال الجهود لتحرير باقى الأراضى العربية المحتلة .

● يعلن المؤتمر العام تاييده ودعمه لكفاح شعب افغانستان المسلم وجهاده ضد الاحتلال الأجنبى لأراضيه ويحيى التضحيات الجسيمة التى قدمها للحفاظ على أرضه وتأكيد عقيدته الاسلامية، وتقديم الدعم والمساعدة للشعب الأفغانى فى نضاله المشروع ضد العدوان .

ويؤيد المؤتمر الجهود المبذولة من اجل تحقيق السلام وضمان الحقوق الكاملة لشعب افغانستان عن طريق المفاوضات بين الأطراف المعنية .

● يناشد المؤتمر الدول الاسلامية أن تعمل على بث روح السلام والاخوة والدعوة الى التعاون والتضامن والتكامل بين شعوبها فى جميع المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية وحل مشاكلها عن طريق الحوار والمفاوضات بعيدا عن العنف والتدخل فى الشئون الداخلية وتنمية العلاقات بين المؤسسات الحكومية والشعبية فى البلاد الاسلامية وتاكيد مسئولية أجهزة الاعلام والتعليم فى تحقيق ذلك الهدف .

● ان السلام فى الاسلام معنى شامل يوجب ان تعمل الحكومات الاسلامية على تاكيده فى المجتمعات الاسلامية بما يقتضيه ذلك من العمل على وضع الخطط والمناهج التى تضمن قيام السلام الاجتماعى بين المواطنين على أساس قيم الاسلام فى العدل والتكافل والتضامن بين الناس.

ويحيى المؤتمر ما تكفله التشريعات العراقية من منزلة رفيعة للشهداء ورعاية لذويهم ماديا ومعنويا وهو ما يتفق مع أصول الاسلام وقيمه .

● يدعو المؤتمر الحكومات والمنظمات وأجهزة الدعوة الاسلامية الى التعاون والتنسيق فيما بينها لتوثيق الصلة بينها وبين الأقليات والجاليات الاسلامية خارج العالم الاسلامى ومساندتها دينيا وثقافيا للحفاظ على عقيدتها وهويتها الاسلامية .

ويرحب المؤتمر بما يبديه الاتحاد السوفيتى وما أعلنه ممثل الصين الشعبية فى المؤتمر من اتخاذ خطوات فى اتجاه حرية ممارسة الشعائر الدينية الاسلامية .

● يدعو المؤتمر الى محاربة جميع الأفكار والتيارات الهدامة الدخيلة على الاسلام كالبابية والبهائية والقاديانية (الأحمدية) وولاية الفقيه (الخمينية) لتعارضها مع مسلمات العقيدة الاسلامية وما هو معلوم من الدين بالضرورة كتمام القرآن الكريم وختم النبوة وحجية السنة النبوية الشريفة فى الأحكام والشورى بين المسلمين وعدالة الصحابة رضى الله عنهم .

● وينبه المؤتمر الى خطورة المذاهب والأفكار السابقة على استقرار المجتمعات الاسلامية دينيا وفكريا وسياسيا . ويناشد وزارات الأوقاف والشئون الاسلامية والأزهر الشريف والجامعات الاسلامية وأجهزة الدعوة الرسمية والشعبية فى العالم الاسلامى ، الاتفاق على خطة عملية موحدة لمواجهة هذا الخطر عن طريق رسالة المسجد والمحاضرات العلمية والندوات الثقافية والمؤتمرات الدولية ، وتأليف الكتب واعداد الدراسات والأبحاث التى تكشف هذه الضلالات وتوضح المفاهيم الاسلامية السليمة القائمة على الكتاب والسنة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : (يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين) صدق رسول الله .

• ويعبر المؤتمر عن اعتزازه بالأزهر الشريف الجامعة الاسلامية الأم والجامعات الاسلامية فى الوطن العربى والعالم الاسلامى ودورها المسئول فى نشر الدعوة الى الله والحفاظ على العقيدة والشريعة ، ويبارك قرار الحكومة العراقية بالموافقة على انشاء جامعة صدام للعلوم الاسلامية .

• قرر المؤتمر تشكيل لجنة دائمة من بين اعضائه لمتابعة تنفيذ قرارات المؤتمر وتوصياته عن طريق الاتصال بالأجهزة والهيئات المعنية واعداد تقرير عما يتم تنفيذه لعرضه على المؤتمر العام القادم عند انعقاده وذلك على النحو الآتى :

(أ) السيد الدكتور محمد على محجوب رئيس المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .. رئيسا

(ب) السيد المشير عبد الرحمن سوار الذهب .. عضو هيئة رئاسة المؤتمر .

(ج) السيد الدكتور مصطفى كمال حلمى .. رئيس لجنة العلاقات الاسلامية بالمجلس .

(د) السيد الدكتور جمال الدين محمود .. أمين عام المجلس .

(هـ) السيد الدكتور بشار عواد معروف .. مقرر عام المؤتمر .

(و) السيد السفير مخلص جبة .. عضو لجنة العلاقات الاسلامية .

ويكون مقرها القاهرة وتجتمع بدعوة من رئيسها .

• ويؤكد المؤتمر التزامه بجميع قراراته التى اتخذها فى مؤتمره الأول المعقود فى القاهرة فى شهر رجب سنة ١٤٠٨هـ ــ مارس سنة ١٩٨٨م وعمله على استمرار فى تنفيذها ولاسيما فيما يتصل بالحرمين الشريفين وقدسيتهما ، وحق المملكة العربية السعودية شرعا وقانونا فى اتخاذ الاجراءات المناسبة لتنظيم الحج، وضرورة العناية بالشباب وايجاد البرامج الكفيلة بتوجيههم والاستفادة من طاقاتهم .

وقد كان لنجاح هذا المؤتمر نتيجة ايجابية اخرى هى قرار عقد اجتماع لوزراء الأوقاف فى شهر شعبان المقبل بمكة المكرمة لاستئناف بحث قضية استقرار السلام بين المسلمين بعامة وبين العراق وايران بخاصة ، كذلك دراسة تحركات المرحلة المقبلة من اجل السلام على ارض افغانستان وارض فلسطين .

والله ولى التوفيق .

الزواج بمصر .. فى صدر الإسلام

(من خلال أوراق البردى)

بقلم الدكتور رمضان عبد التواب
رئيس قسم اللغة العربية
بآداب عين شمس

لم تحتفظ لنا أوراق البردى والوثائق العربية القديمة الا بشىء قليل من نظم الأحوال الشخصية ، وبعض المعاملات المدنية ، من بين التشريعات الاسلامية المختلفة . ولا نقصد بذلك التأليف فى مثل هذه التشريعات ، فما أكثر ما كتبه فقهاء مصر ، وعلى رأسهم الامام الشافعى وشيوخه وتلاميذه ، من مؤلفات تشمل كل مسائل فقه الشرع الاسلامى الحنيف ، من الطهارة ، والعبادات ، والمعاملات ، والفرائض أو المواريث ، والأحوال الشخصية ، والجنايات ، والحدود ، والجهاد والجزية ، والصيد والذبائح والأضاحى ، والايمان والنذور ، والأقضية والشهادات ، والدعاوى والبينات ، والعتق والولاء ، وغير ذلك .

ولكننا نقصد بما قلناه من قبل ، نصوص العقود والصكوك فى هذه البرديات العربية ، التى نريد أن نعرف من خلالها شيئا عن كيفية تطبيق الشريعة الاسلامية فى مصر فى صدر الاسلام . وتمتد الفترة التى نعالجها هنا الى نهاية القرن الخامس الهجرى .

يد المرأة الأولى :

واول عقد يقابلنا من عقود الزواج ، مؤرخ فى شهر ربيع الأول سنة ٢٥٩هـ . ومنه نعرف أن العروس كانت أيما بالغا . والمرأة الأيم هى التى لا زوج لها ، بكرا كانت أو ثيبا (أنظر : الصحاح للجوهرى/ أيم ١٨٦٨/٥) ، كما نعرف أن الزوج كلمها فى أمر الخطبة ، ففوضت جدها ووكلته فى أمر زواجها ، وأن مهرها كان أربعة دنانير ، منها ديناران عاجلان ، وديناران مؤجلان لمدة خمس سنوات . ونعرف من هذا العقد أيضا أن الزوج يتعهد بحسن الصحبة والمعاشرة .

كما نرى فيه وفى عقود أخرى مماثلة ، شرطا غريبا ، وهو أن كل امرأة يتزوجها الرجل على

هذه المراة يعلق أمرها بيد امراته الأولى ، ان شاءت أبقتها ، وان شاءت طلقتها . ولم يبين فى هذا العقد أسماء الشهود ، ولعلهم كانوا مذكورين فى بردية أخرى ، لاننا نرى بعض البرديات التى ستقابلنا هنا مخصصة لهذا الغرض .

ونورد فيما يلى نص البردية (رقم ٣٨ جروهمان ٧٣/١ ــ ٧٤) نموذجا لمثل هــذا النــوع من العقود :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أصدق اسماعيل ، مولى أحمـد بن مروان القرشى ، بمدينة أشمون ، عائشة ابنة يوسف .. عندما خطبها الى نفســها ، وهى امرأة أيم بالغ ، بعد أن فوضت أمرها الى جدها يعقوب بن اسحاق ، وأشهدت له شهودا بتوكيلها اياه ، فقبل وكالتها ، وانفذ نكاحها ، وأصدقها اسماعيل مولى أحمد بن مروان القرشى أربعة دنانير .. يعجل لها اسماعيل دينارين نقدا حالا معجلا ، ويبقى لعائشة ابنة يوسف على زوجها اسماعيل ، مولى أحمد بن مروان ، ديناران مؤخران الى خمس سنين ، اولهم شــهر ربيع الأول ســنة تسع وخمسين ومائتين . وشرط اســماعيل ، مولى أحمـد بن مروان ، لامرأته عائشة تقوى الله العظيم بحسن الصحبة والمعاشرة ، كما أمر الله عز وجل وسنة محمد صلى الله عليه وسـلم ، على الامساك بالمعروف أو التسريح بالاحسان . وشرط اسماعيل مولى أحمـد أن كل امرأة يتزوجها على امرأته عائشة ابنة يوسف ، تقام تلك المرأة بيد عائشة ، تطلق كيف شاءت من الطــلاق . وولى عقدة هذا النكاح يعقوب ابن اسحاق ، فقبل الوكالة وأنفذ النكاح ، ورضى اســماعيل بالمهر المعجل والمؤخر ، والشروط المسماة فى هــذا الكتاب ، والزم ذلك نفسه فى صـحة عقله وبدنه .. فى شهر ربيع الأول سنة تسع وخمسين ومائتين . وشهد على ذلك .. » .

ولم يذكر اسماء الشهود فى هــذه البردية ، ويحتمل أن تكون هناك بردية أخرى تحمل هذه الأسماء ، كما نرى ذلك فى بعض البرديات التى وصلت الينا ، ولا تحمل الا أسماء الشهود ، كما فى البردية (رقم ٣٩ جروهمان ٧٩/١) التى شهد فيها ثلاثة عشر شاهدا ، على زواج عباسة ابنة سرى بن عبد الله الطحــان ، التى زوجها أبوها فى شوال سنة ٢٦٤هـ لمحمد بن راشد الجزار ، بمهر قدره عشرة دنانير . وفيها نقرأ العبــارات التالية : « شــهد على سرى بن عبد الله بانفاذه هــذا النكاح ، وعلى اقرار محمد بن راشد بن محمد بقبوله هــذا النكاح ، على ما سمى وفسر فى هــذا الكتاب .. بعد أن قرىء عليهم حرفا حرفا فأقروا بفهمه ومعرفة ما فيه فى صــحة عقولهم .. **وفى كتابنا هذا لحق** فى أول سطر وهو عبد الله .. » . ثم تأتى أسماء الشهود بعد ذلك فى هــذا اللحق ! (اختلاط الأسماء) .

وفى بعض هــذه البرديات التى تمثل عقود الزواج ، نجد أســماء الزوج والزوجة مما يسمى به المسيحيون ، ولــكننا نســتنبط من عبارات البردية أن الزوج والزوجة كانا من المسلمين ، رغم احتفاظهما بالأسماء الأصلية ، كما هو حادث فى البردية المؤرخة فى شعبان سنة ٢٧١هـ (رقم ٤٠ جروهمان ٨٥/١) ، فاسم الزوج فيها هو : « يحنس بن شنودة » من مدينة اشمون ، واسم الزوجة : « دروا أبنة شنودة » . والدليل على ذلك قول البردية فى آخرها : « وعليه تقوى الله وحده ، لا شريك له » .

وهذه بردية أخرى مؤرخة فى جمادى الآخرة سنة ٢٧٩هـ (رقم ٤١ جروهمــان ٨٩/١) ، لا تشترط الزوجة هنيدة ابنة اسحاق بن سرى أن يكون بيــدها أمــر الزوجات اللاتى يتزوجن بزوجها يعقوب بن اسحاق النساج فحسب ، بل تشترط مثل ذلك فى الجوارى اللاتى يملكهن زوجها أيضــا ، اذ تذكر البردية أن كل امراة يتزوجها يعقوب بن اسحاق النساج مسلمة كانت او « ذمية ، فأمرها بيد امراته هنيدة ابنة اسحاق، تطلقها عليه ما شاءت من الطلاق جائز عليه ولازم له . وكل جارية يتخذها عليها .. يكون بيعها بيد امراته هنيدة ، ان شاءت عتقت ، وان شاءت بيعت ، فعتقها وبيعها جائز عليه ولازم له » .

المهور ومواصفات العروس :

وتتراوح المهور فى عقود الزواج التى وصلت الينا فى البرديات العربية ما بين دينارين — كما فى البردية (رقم ٤٤جروهمان ٩٧/١) التى تزوج فيها صالح بن موسى الشعيرى ، من كريمة ابنة على بن رجاء الطحان سنة ٤١٩هـ ، فى جمادى الأولى ، على دينارين ، قبضت الزوجة منهما دينارا واحدا عند العقد عليها ، والدينار الثانى مؤخر لها الى انقضاء سنة — وثمانين دينارا ، كما فى العقد (رقم ١٣٩ جروهمان ٢٠٤/٢ — ٢٠٥) ، الذى يتضح منه أن الزوج دفع منها عشرة دنانير فى الحال ، وأما السبعون المتبقية ، فانها تدفع مؤجلة ومقسطة على عشر سنوات ، فى كل سنة سبعة دنانير .

وفى هـذا العقد الأخير شـهادة بمواصفات العروس ، وتسمية للولى وللزوج ، وأن هذا الزوج كفء للزوجة ، يقول العقد فى بدايته : « بسم الله الرحمن الرحيم . شـهد من أثبت شهادته آخره ، أنهم يعرفون فاطمة البكر البالغ ابنة أبى بكر بن على الردينى ، يشهدون أنها يومئذ بكر بالغ حـرة مسـلمة خالية من موانع النكاح ، ولم يعقد عليها عقد نكاح الى يوم تاريخه، وأن أخاها شقيقها مستحق ولاية تزويجها ، وأن الزوج الراغب فى عقد نكاحها عبد الملك بن شجاع ابن طرخان كفؤها » .

وفى أحد العقود (رقم ٤٨ جروهمان ١٠٦/١) اثبات لحق زوجة بحلول موعد صداق مؤخر لها ، بشهادة خمسة وعشرين شاهدا ، سموا واحدا واحدا ، وبينهم كاتب الصك ، يقول الصك : « بسم الله الرحمن الرحيم . ذكر حق يونة ابنة حليصى ، على زوجها يزيد بن قاسم الجرار ، عليه عشرة الدنانير وزن المثاقيل الجديد عينا ذهبا .. وهـذه العشرة الدنانير حالة ليونة ابنة حليصى ، على زوجها يزيد بن قاسم الجرار ، والعشرة الدنانير بقية صداقها . ومن قام بالذكر الحق اقتضاه . ومن أحالت عليه أقر لها بحقها . شـهد على ذلك اليسـع بن عيسى وهو كاتب الصك . وشهادته فى انسلاخ صفر سنة ثلاث وثلاثين ومائتين » .

وبعض عقود الزواج التى بين أيدينا ، عبارة عن عقد زواج للمرة الثانية على زوجة قديمة ، كذلك العقد (رقم ٤٥ جروهمان ١٠٠/١) المؤرخ فى العشر الأخير من شهر جمادى الآخرة سنة ٤٦١هـ ، فى بلدة الأشمونين . وهذا العقد نظير مهر قدره أربعة دنانير . ومن اللافت للنظر هنا أن الحال من هـذا المهر دينار واحـد . وأما الثلاثة المتبقية فانها مؤجلة الى ما بعد خمس ليال فقط من تاريخ العقد . وفيما يلى قراءة السطور الأولى منه : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أصدق حسن بن المكنى بأبى القدر ، الساكن يومئذ مدينة الأشمونين ،ضياء ابنة غنام الطراف، الساكنة يومئذ بهذه المدينة المذكورة ، وتزوجها به تزويجا مستأنفا ، اذ كانت زوجته .. ودخل بها وأصابها ، وطلقها طلقة واحدة ، واسترجعها بهذا الصداق ، أصدقها أربعة دنانير مستنصرية جياد العيون ، نقدها من ذلك دينارا واحدا قبضته منه لنفسها نقد فى يدها تاما وافيا ، وأبرأته منه ومن اليمين عليه ، براءة قبض واستيفاء ، وأخرت الثلاثة دنانير الباقى مهرها عليه الى انقضاء خمس ليال متواليات ، أولهن تاريخ هذا الكتاب » .

أما عقود الشركة ، فليس عندنا منها الا بردية واحدة (رقم ٥٢ جروهمان ١٢٣/١) ترجع الى سنة ٢٧٤هـ . وفيها تحديد الشركة فى حائط مشترك بين منزلين فى مدينة « أشمون » ، وبعد تحديد الحائط المشار اليه ، تم تحديد مدى استفادة الطرفين منه . غير أن الذى يلفت النظر فى ذلك أن ترميم الحائط يكون على أحد الشريكين ، ان احتاج هـذا الحائط الى ترميم . وقـد شهد على هـذا العقد أربعة شهود . ويبدأ هذا العقد بالعبارات التالية التى يتضح منها كل ما ذكرناه : « بسم الله الرحمن الرحيم . شـهد الشـهود المسمون فى هـذا الكتاب على اقرار الحسين بن صالح الزجاج ، وقامة ابنة ادريس ، الساكنى مدينة أشمون ، أن الحائط الذى بحرى منزل الحسين بن صـالح ، وقبلى منـزل قامه ابنة ادريس ، فيما بينهما بنصفين ، ليس لأحد منهما أن يمنع صاحبه من وضع خشبة أو جريدة على هذا الحائط .. ومتى أصاب هـذا الحائط عدم أو استرم ، فعلى الحسين بن صالح بناؤه وترميمه من ماله . وقـد شهد على ذلك سليمان بن داود المؤذن على اقرارهما جميعا بجميع ما فى هذا الكتاب . وكتب فى ذى الحجة سنة أربع وسبعين ومائتين .. » .. والله أعلم .

قيم إسلامية للحياة ..

تعالوا نتعاون !!

بقلم الأستاذ محمد ابرهيم الخطيب
بوزارة التعليم

حضارة الاسلام :

من الحقائق التى لا شك فيها أن الخير للجميع وأن الشر أيضا على الجميع ومن هنا وجب على الناس كل الناس أن يتعاونوا على البر والتقوى واصلاح حالهم وفتح كل الطرق الموصلة الى التقدم والحضارة والرخاء أمامهم .

وهذا التعاون عمل يباركه الله تعالى كل المباركة ولهذا دعا عباده اليه بقوله تعالى :

وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

سورة المائدة ـــ ٢

وقد بدأ رسولنا صلى الله عليه وسلم بالعمل على تطهير القلوب وتنظيفها لتكون مستعدة لدعوة الله تعالى الى التعاون ذلك لأن القلوب مثلها كمثل الأرض اذا كانت مليئة بالأعشاب الطفيلية لا يمكن بذرها .. وفى مجال تنظيف القلوب نسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **(اياكم والظن ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضا) ويقول : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله ولا يكذبه ، وكونوا عباد الله اخوانا) .**

ثم نراه صلى الله عليه وسلم بعد دعوته الى نظافة القلوب وتطهيرها يدعو الى التعاون والتضامن فى مثل قوله صلى الله عليه وسلم : **(المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا) .**

ولقد كان التعاون واضحا فى كل أعمال المؤمنين الصادقين ، ولا يستطيع أحد أن ينسى كيف قاسم الأنصار اخوانهم المهاجرين فى أموالهم وديارهم ، وكيف تعاونوا جميعا فى حفر الخندق حول المدينة وكان النبى نفسه واحدا منهم يحفر كما يحفرون ، ولقد أعجب صلى الله عليه

وسلم بالأشعريين قوم « أبى موسى الأشعرى » لتعاونهم فى السلم وفى الحرب ، وجعلهم قريبين منه فى أخلاقه وفى هديه استمعوا اليه وهو يقول عنهم : « **ان الأشعريين اذا أرملوا — أى فرغ زادهم أو قارب الفراغ — فى الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم فى اناء واحد بالسوية ، فهم منى وأنا منهم** » .

● وقد تعلمنا منذ الصغر أن قطرة المطر وحدها ضعيفة فاذا ما اجتمعت القطرات كونت سيلا تفيض به الأنهار وتروى الأقطار ، وأن الشعاعة الواحدة من الشمس لا يكاد المرء يشعر بها فاذا اجتمع الشعاع فى بلورة أحرق ما وجه اليه وأدار الآلات الضخمة .

● والتعاون المطلوب فى الاسلام تعاون عام شامل ، مطلوب أن يتعاون أفراد الأسرة فيما بينهم لأن الأسرة هى الصورة المصغرة للمجتمع ، ولست بحاجة الى أن أذكر بصورة التعاون بين الزوج وزوجته وبين الآباء والأبناء فان هذا أمر محفوظ ومعلوم للجميع ، ثم يأتى الأقارب بعد الوالدين فى وجوب التعاون :

« **وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل** » .

سورة الاسراء — ٢٦

ويقول تعالى أيضا :

يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

البقرة — ٢١٥

فالأقربون كما نرى مقدمون فى العون بعد الوالدين على سائر الناس .. يقول صلى الله عليه وسلم : (**الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم ثنتان : صدقة وصلة**) ونحن مطالبون بمعاونة الاقارب ولو قطعوا الصلة بنا ، قال صلى الله عليه وسلم : (**ليس الواصل بالمكافىء — أى الذى يجزى الصلة بمثلها — ولكن الواصل الذى قطعت رحمه وصلها**) .

والمعروف أن للمال دورا كبيرا فى حركة التعاون لما له من أثر كبير فى مجالات الحياة ، ولهذا جعل الله فيه حدا أدنى يجب على كل قادر مالك للنصاب أن يعاون به الفقير .. وهذا القدر المعين هو « الزكاة » المفروضة ، وقد حث الله تعالى على الصدقة التى تقوم على التطوع بعد اداء الفرض فى آيات كثيرة وهى لا حدود لها .. يقول تعالى : « **وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه** » ونسمع كذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : (**سبق درهم مائة ألف درهم : رجل له درهمان أخذ أحدهما فتصدق به ، ورجل له مال كثير فأخذ من عرضه مائة ألف فتصدق بها**) وقد نوع الله تعالى الصدقات حتى يشارك فيها المقلون والمحرومون (**تبسمك فى وجه أخيك لك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وارشادك الرجل فى أرض الضلال لك صدقة — يقصد ارشاد الحيران — وبصرك للرجل الردىء البصر لك صدقة ، واماطتك — أى ازالتك — الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة ، وافراغك من دلوك فى دلو أخيك لك صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة**) .

هذا والفرد فى الأمة ضعيف بمفرده مهما عظمت قوته واتسعت ثروته انه لا يستطيع أن ينهض وحده بالمشروعات الكبيرة والمنشآت الضخمة والمؤسسات الواسعة وغير ذلك من الأمور الضرورية للأمة لتحافظ على حياتها بين الأمم .

ومن أجل هذا نشعر بحاجتنا الشديدة والضرورية الى تعاون جميع أفراد الأمة ليبذل كل أقصى طاقته فى جميع جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والعلمية والخلقية والجسمية والحربية وغير ذلك مما لابد منه فى عصر لا يحترم الا القوة ولا يعترف الا بها .. وويل للأمم الضعيفة ان لم يتعاون أفرادها وجماعاتها على تقوية أنفسهم بكل وسيلة من الوسائل التى شرعها الله .

وإذا كانت الحرب التقليدية العسكرية الاستعمارية قد انتهى عصرها فان فى هذا العالم المعاصر المضطرب حربا من نوع آخر ، هناك حرب اقتصادية وهناك حصار اقتصادى هدفه أن يخنق الضعفاء خنقا ، وهناك أيضا حرب سياسية وحصار سياسى يتمثل فى الأحلاف والمعاهدات التى تطوق بها الأمم القوية الأمم الضعيفة . أو تعقدها الأمم القوية لتتقاسم بينها الأمم الضعيفة ، أو يعقدها الأقوياء مع الضعفاء ليجعلوا استعبادهم أمرا مشروعا ، وأذلالهم قانونا موضوعا .

وكم اهتم الاسلام بالتعاون الجماعى حيث جعل المؤمنين فى نظره جسدا واحدا أعضاؤه الأفراد .. يقول عليه الصلاة والسلام : **(مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)** وقد كلفنا الله تعالى أن نقوى أنفسنا فى جميع جوانب الحياة استعدادا لأى طامع معتد علينا يقول تبارك وتعالى :

وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم

مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ

وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ

مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾

سورة الأنفال ـــ ٦٠

وإذا تأملنا لفظ « قوة » الذى جاء نكرة فهمنا أن هذا التنكير للشمول والعموم وأن الله يريدها قوة فى كل مجال ، قوة تشمل جميع القوى بين جيوش برية وبحرية وهوائية ، ويدخل فى هذه القوة أيضا القوة التجارية والصناعية والزراعية ، والمصانع والمعامل التى تستلزمها هذه القوى المعتبرة بين سلاح هذا العصر الحديث .. وكل هذا وغيره فى حاجة الى تضافر وتعاون هائل عظيم .. ولهذا حث الله تعالى المؤمنين على بذل المال فى سبيله ووعدهم بالجزاء الحسن فى الدنيا والآخرة حيث قال فى آخر الآية :

وَمَا تُنفِقُواْ

مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾

سورة الأنفال ـــ ٦٠

وننتقل بعد هذا الى التعاون الانسانى الذى يدعو اليه الاسلام الذى جعله الله تعالى دينا عاما ، وجعل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا للناس جميعا ، وكان من الطبيعى أن تتجلى فيه الناحية العامة الشاملة للانسانية كلها .. الداعية الى النفع العام والتعاون العالمى ، وفى هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(الخلق كلهم عيال الله فأحبهم الى الله أنفعهم لعياله)** ، والعيال : كل من تتكفل بهم وتدبر شئونهم ، والله جل شأنه يقوم بكل ذلك لجميع العباد على اختلاف أديانهم وأجناسهم وألوانهم فأحب مخلوقاته اليه من يعمل عملا نافعا لسائر خلقه **« وخير الناس أنفعهم للناس »** كما جاء فى الحديث .

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفهمون أحاديثه على عمومها ويعملون بها كذلك ، فقد ذبح أهل عبد الله بن عمرو بن العاص شاة ، فقال لهم : أهديتم لجارنا اليهودى ؟ قالوا : لا ، قال : ابعثوا اليه منها ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **(مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)** .

وقد أوجب الله علينا العدل بيننا وبين أهل الذمة من اليهود والنصارى فجعل لهم مالنا من الحقوق ، وعليهم ما علينا من الواجبات ، وجعل حكم الذمى حكم المسلم فى حرمة القتل ووجوب القصاص وحرم ظلمهم ، وبذلك قدر المعانى الانسانية العامة ، ولم يجعل اختلاف العقائد سببا للحرمان من الحياة الانسانية القائمة على تبادل المنافع والتعاون على الخير أو سببا لايذاء أصحابها ، وفى هذا يقول تبارك وتعالى :

«فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين»

سورة المائدة ـــ ٤٢

وبعد فاذا كان التعاون ـــ كما سبق ـــ سبيل تقوية الفرد والأمةوسبيل سعادة العالم الانسانى لأنه يربط بين القلوب ويؤاخى بين الأفراد والطوائف والأمم أقول : اذا كان التعاون يجلب كل هذا الخير فتعالوا نتعاون والله من وراء القصد يهدى ويعين .

بركات حياة محمد
فى حياة الدكتور هيكل

بقلم الأستاذ حافظ محمود

كانت البعوث التعليمية من مصر للخارج الى بدايات القرن الميلادى العشرين بعثات مختصة ببعض جوانب التربية والتعليم وبعض جوانب العلوم التجريبية التى كانت تحتاجها الدولة مثل الطب والهندسة .. وظل الحال هكذا الى أن انشئت الجامعة المصرية الأهلية فى ديسمبر سنة ١٩٠٨ . وكان حتما أن تهيىء المجال للمصريين من أجل التدريس بها ، فأوفدت فى السنة الأولى لنشأتها ثلاثة مبعوثين الى الخارج لدراسة الأدب والفلسفة هم : منصور فهمى ومحمود عزمى وعبد الحميد سعيد . ثم أتبعتهم فى البعثة الثانية سنة ١٩١٤ بطه حسين وأحمد ضيف .

وعند الاعلام عن البعثة الأولى واختيار الثلاثة الأوائل لها ، نشأت فكرة الدراسة بالخارج فى أذهان بعض الشباب المتفوقين ، وكان فى مقدمتهم محمد حسين هيكل وعبد الحميد بدوى من خريجى مدرسة الحقوق سنة ١٩٠٩ فسافرا الى باريس لدراسة القانون دراسة عليا ، ولحق بهما — لكن الى لندن — الطالب محمد توفيق دياب فى طلب العلم أيضا .

ولقد حصل الحقوقيان على درجة الدكتوراه من جامعة باريس، وكان أسبقهما الدكتور محمد حسين هيكل الذى أعتبر اول شاب مصرى حصل على درجة الدكتوراه فى القانون وربما فى العلوم الأخرى وذلك فى سنة ١٩١٢ .

وتوالت البعثات التعليمية سواء من جانب جهات الاختصاص أو من جانب الذين أوفدهم أهلهم ، ومن بينهم العشرة الذين استشهدوا بالمانيا فى سبيل العلم سنة ١٩١٩ .

* * *

وليس شك فى أن أولئك الشباب العائدين من الخارج بفكر جديد كانوا متأثرين الى حد ما بالتيارات الحضارية الغربية يودون لو كانت بلادهم كذلك ، وساعد على هذا ما قام به أتاتورك فى تركيا حين خلع عنها ثوب الخلافة وسار بها فى الحركة العلمانية فى معاركها التى بدأها سنة ١٩٢٢ .

كان لهذا كله أثره المتفاوت الدرجات على تفكير شباب مصر العائدين من الخارج بالثقافة الغربية، فكانت لهم آراء لا تعجب المحافظين ولا الشيوخ . وقد ظهر هذا واضحا عند ظهور كتاب « الخلافة واصول الحكم » لعلى عبد الرازق ، وكتاب « الشعر الجاهلى » لطه حسين ، وكتاب « ثورة الأدب » لهيكل .. وكان أكثر هذه الكتب اعتدالا نسبيا كتاب الدكتور هيكل .. ولهذا لم يكن غريبا أن يكون هيكل هو أول من رفع علم العود الأحمد الى التراث النقى .. وذلك بتأليف كتابه الشهير « حياة محمد » .

* * *

لقد كان لتأليف كتاب « حياة محمد » قصة أوجزها فيما يلى :

كان الدكتور هيكل يقرأ كتابا فرنسيا عنوانه « حياة محمد » لأحد الفلاسفة الفرنسيين ، وقد أعجب ببدايات هذا الكتاب ، فأخذ ينشر ملخصات منه على صفحات جريدة السياسة الأسبوعية التى كان يرأس تحريرها . وفجأة توقف عن الترجمة والنشر .

لقد اكتشف هيكل ان الكاتب الأجنبى لم يدرك مدارك التراث الاسلامى ، فأخذت رؤيته تنحرف عن هذه المدارك .. فعاد الدكتور هيكل الى كتب التراث يستخرج بعض كنوزها ويأخذ فى صياغة معانيها صياغة علمية معاصرة لا تحيد قيد شعرة عن اصالتها .

وأحس الدكتور هيكل وهو يبحث فى هذا التراث ان فريقا من شباب الفكر فى مصر والعالم العربى قد ظلموا أنفسهم لتقيد بعضهم بالفكر الأوروبى ، وبدأ يحاور أقرانه من الذين استقوا المعارف الأوروبية حتى لا ينسوا مع الفكر المعاصر ضرورة الموازنة بين القديم والجديد كأبناء للأمة التى أراد الله لها أن تكون أمة وسطا .

وما أن أتم هيكل تأليف كتابه الأول فى سلسلة كتبه الاسلامية حتى أقبلت عليه الدنيا ، فطلبت دار الكتب طبعه ونشره . كما طلب اليه الزعيم الاقتصادى طلعت حرب أن يطبعه وينشره عن طريق شركة مطبعة مصر .

ولم يقف الاقبال عند هذا الحد . بل ان الامام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى قد تطوع — وهو شيخ للأزهر — أن يكتب مقدمة هذا الكتاب .. كتاب « حياة محمد » بعد أن اطلع على فصول الكتاب .. ولعل فى هذه اللمحة المراغية الرد الكافى على الذين طافت برءوسهم الظنون بأن هيكلا تأثر ببعض أساليب بعض المستشرقين ، خاصة وقد كان الامام المراغى يجيد اللغة الانجليزية وكان كثير الاطلاع فيها .

وليس هذا فقط .. بل لقد أقيمت حفلة بفندق الكونتنتال سنة ١٩٣٥ لتكريم الدكتور هيكل بمناسبة ظهور كتابه ، وكان راعى هذه الحفلة هو الامام المراغى ، فضلا عما قيل فيها على السنة الخطباء والشعراء أصحاب الثقافة الأزهرية وغيرهم .

* * *

لقد صدق حدس الامام المراغى حين قال لبعض خلصائه : ان ظهور كتاب كهذا لمؤلف كهذا من غير الأزهريين سيفتح الطريق لنهضة فكرية

شابة ذات طابع اسلامى تجتمع فيهـا الأصالة والمعاصرة .. وقد كان .. فما ان ظهر كتاب « حياة محمد » لهيكل حتى بادر الدكتور طه حسين باصدار كتابه « على هامش السيرة » ، وعقب عليهما العقاد بكتبه فى العبقريات الاسلامية .

وهكذا لم يعد الزى الفكرى الحديث بعد ظهور كتاب « حياة محمد » لهيكل هو زى الاغراق فى فكر الغرب ، بل صار هو الاحياء للتراث المحكم السليم . ثم هكذا ظهرت موجة جديدة من التآليف التى أخـذت هـذا الاتجـاه حتى أثبتت جميع احصـائيات النشر أن أروج الكتب ابتـداء من الأربعينات الى الثمانينات هى الكتب ذات الصلة بالتراث الاسلامى وما فى حكمها بعد أن كان السبق فى عالم الكتب للقصص المترجمة أو المقتبسـة وما فى حكمها .

ولم يقف الدكتور هيكل عبر هذه النهضة فى منتصف الطريق ، بل اتبع كتاب « حياة محمد » بكتبه عن أبى بكر وعمر ، وعثمـان ، وكتاب « فى منزل الوحى » .. وكذلك صنع رفاقه .. وظلت هذه الموجة المباركة تسرى حتى الآن ، وآية ذلك ما أصدره الزميل الراحل عبد الرحمن الشرقاوى فى سلسلة كتبه الاسلامية التى تشبه سلسلة هيكل بنص جديد .

* * *

وكما ان كتاب « حياة محمد » لهيكل كان خيرا وبركة على مؤلفه عند ظهوره أول مرة ، فقـد ظلت هذه البركة تصاحبه دائما باذن الله ، فاذا بهذا الكتاب الضخم هو أول كتاب عربى يطبـع ست عشرة طبعة فى كل طبعة عشرات الآلاف من النسخ سواء بالعربية أو باللغات الأخـرى .. وتلك كانت أرقاما قياسية فى عالم المطبوعات التى من هذا النوع .

وامتدت بركة الله على هيكل فى كتابه « فى منزل الوحى » ، فـاذا به يبنى بدخله منزله بالدقى بالقاهرة .

ولما كانت « البركة » ليست العطايا الربانية التى يجود الله بها على عباده فحسب فاننا نذكر أن هيكلا ، بعد اصدار كتابه الاسلامى الأول « حياة محمد » عين عضوا بمجلس الشيوخ ، ثم وزيرا ، ثم رئيسا لمجلس الشيوخ ، ثم رئيسـا لمؤتمر الاتحاد البرلمانى الدولى ، ثم رئيسا لحزب الأحرار الدستوريين .. ومع هذا كله ظـل هيكل على تواضعه القديم حتى لقد اعتذر عن رياسة بعض المنظمات الاسلامية قائلا : ان لها من هو أحق منى .. وليس هذا غريبا على طبـاع هيـكل الموروثة وهـو حفيـد قطب الدقهليـة الشيخ عبد السلام هيكل .

هذا كله يفسر لنا لماذا كان هيكل باشا هو رئيس الحزب الوحيد من أحزاب ما قبـل يوليو سنة ١٩٥٢ الذى لم تسائله الثورة فى شىء ، بل على العكس اشترك فى بعض طلائع ثورة يوليو فى تأبينه يوم توفى فى الثامن من ديسمبر سنة ١٩٥٦، عليه رحمة الله وبركاته .

أهم معارك الدفاع عن الإسلام فى القرن الماضى

تصدى الصحافة الإسلامية لتيار الانحلال الأخلاقى الغربى

الدكتور سامى عبد العزيز الكومى

محاولات الغزو الفكرى لديار المسلمين قديمة ومتجددة ، ولها تاريخها الطويل ، ففى يوم ١٢ يوليو سنة ١٨٩٨ نشر الشيخ محمد رشيد رضا فى مجلة ((المنار)) التى كانت تصدر فى القاهرة مقالا بعنوان : ((الجيوش المعنوية الغربية فى الفتوحات الشرقية)) قال فيه ان الأوربيين قد ((ساقوا على الشرق خمسة فيالق وهى : الخمر والميسر والربا والبغاء والتجارة ، فنسفوا بذلك ثروته ، وقتلوا غيرته ، وأضعفوا همته ، وأفسدوا ما كان له من بقايا أدب ودين)) .

وهذا المقال يعبر عن اتجاه عام فى الصحافة ذات الاتجاه الاسلامى ظهر فيها قبل هذا التاريخ بما يقرب من عشر سنوات ، وتصدى هذا الاتجاه لتلك الجيوش المعنوية التى أرسلها الغرب لغزو أخلاق المسلمين .

فقد صاحب التغلغل الأجنبى فى الحياة المصرية فى القرن الماضى عادات شرب الخمر ، ولعب الميسر ، والتحلل الجنسى ، والسفه فى الانفاق تقليدا لحياة الأوربيين . وحينما كان المصرى الذى يقع فى براثن هذه العادات يحتاج الى المال وجد المرابى الأوربى دائما فى انتظاره يقرضه ما يريد ، فاذا عجز عن سداد ديونه التى حصل عليها بالربا الفاحش استولى المرابى على عقاراته وممتلكاته .

وحينما أوقع الأوربيون المصريين فى هذه الدائرة الشيطانية ، استطاعوا أن يسيطروا على الاقتصاد المصرى ، وأن ينشئوا فئة من المصريين الذين يدعون التمدن ، ساقطة الهمة ، مقبلة على اللذات الرخيصة ، محطمة النفس لا تعرف الى الجهاد سبيلا .

لم تكن الخمر من الآفات الاجتماعية المعروفة فى مصر قبل الاحتلال الانجليزى لها سنة ١٨٨٢ ، بل انتشرت بينهم بعد الاحتلال ووفود الأجانب باعداد كبيرة الى مصر ، يظهر ذلك من حملات الاصلاح الأخلاقى التى قامت بها الصحف التى اتخذت المنهج الاسلامى قبل الاحتلال وبعده .

فاذا قرأنا مجلة (التنكيت والتبكيت) التى

اصدرها عبد الله النديم قبيل الاحتلال (١٨٨١م) لم نكد نعثر على خبر او مقال واحد يتعلق بالخمر وشاربيها ، مع أن هـذه المجلة كان همها الأول الاصلاح الاجتماعى والأخلاقى ، واذا قرأنا مجلة (الأستاذ) التى أصدرها النديم بعد الاحتلال (١٩٨٢م) فلا نكاد نجد أى عدد منها يخلو من مقال أو أكثر عن الخمر وأضرارها .

واذا كانت جريدة (الوقائع المصرية) ابان تولى الشيخ محمد عبده رئاسة تحريرها (١٨٨٠م) وكذلك مجلة (المنار) (١٨٩٨م) تعبران عن منهج الشيخ محمد عبده فى الاصلاح قبل الاحتلال وبعده ، فاننا نلاحظ الملاحظة نفسها ، فمقالات الشيخ محمد عبده الاصلاحية فى (الوقائع المصرية) ليس فيهـا اشارة الى الخمر ، أما فى (المنار) فنجد مقالات تقاوم بشدة هذه الآفة المنتشرة . فيقول الشيخ رشيد رضا فى مقالته التى ذكرناها « تجول فى شوارع القاهرة وأسواقها ، فلا يغيب عن نظرك مرأى الحانات دقيقة واحدة . حتى يخيل للجائل أن هـذه الحانات تزيد على حاجة السكان حتى ولو كانوا كلهم من السكارى » .

وكان انتشار هـذه الآفة الاجتماعية يتم تحت رعاية الاحتلال وحمايته ، وصارت محلات المسكرات تفتح فى كل مكان ففتكت بعدد من الأهالى ، وأفسدت على بعضهم صحتهم وأخلاقهم ودينهم ، وأنقصت مقدرتهم على العمل والانتاج ، وساعدت على زيادة حوادث الاجرام والاخلال بالأمن العام(١) . ومما يؤكد ذلك ما ذكره المؤلف الانجليزى (بلنت) عن « فضل الانجليز على أصحاب الحانات من اليونانيين الذين انتشروا فى القرى ، فالفلاح الـذى يشرب الخمر لن يلبث أن يمد يـده للدين ويسقط اكثر واكثر فى مهاوى المنكرات ، وقد حاولت اثارة الموضوع مرارا مع يارنج (لورد كرومر فيما بعد) ووعد باتخاذ الاجراءات اللازمة ، وكانت النتيجة التى وجدتها بعد فترة هى الزيادة فى عدد الحانات(٢) » .

كذلك اقترن انتشار القمار بالتدخل الأوربى فى شئون مصر ، واستشرى انتشاره مع الاحتلال الانجليزى لها . يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة فى كتابه (مستقبل الصحافة فى مصر) فى معرض حديثه عن دور الصحافة فى الاصلاح الاجتماعى فى تلك الفترة : « زاد عـدد دور القمار زيادة كبيرة فى عهد الاحتلال الانجليزى ، ففى ثمانى سنوات زاد الى ٧٤٧٥ دار للعب ، وكانت قبل ذلك ٣١٦ دار فقط ، أى ان الزيادة بلغت ٧١٥٩ دارا فى القاهرة وحدها .

وبقدر سرعة انتشار هـذه المفسدة كانت الشدة والعنف التى تصدت بهـا الصحافة ذات المنهج الاسلامى لها ، ومن أوائل هـذه الصحف مجلة (الآداب) التى أصدرها الشيخ على يوسف وتولى رئاسة تحريرها ، وقبل أن يتركها لزميله محمد مسعود الى جريدة (المؤيد) . فقد كشفت المجلة أخطار هـذه الآفـة الفتاكة ، ووصفت المغامرين من الأجانب بأنهم ، « تسوروا بلادنا ونصبوا لنا شباكا ليستنزفوا ماء الثروة ، ويمتصوا عروق الحياة(٣) » ومن هـذه الصحف كذلك صحيفتا (الأستاذ) لعبد الله النديم و (المنار) لمحمد رشيد رضا الذى يشرح آثار القمار المخربة التى استشرت بانتقال عدواه من الرجال الى النسـاء اللاتى يقلدنهم فى كل ما يفعلونه ، « فكيف بالأنبياء الذين يتولدون من هذه البيئة الخبيثة ، كيف يستطيع مثل هؤلاء النساء ، أن يقمن بادارة المنزل وتربية الأنباء وهن اللاتى شببن عن الطوق ، وتشبثن بأذيال من التمدن الأوربى مسحوبة على أرض قذرة(٤) » .

ويقول الكاتب الفرنسى فريد ولان فى كتابه (جون بول على أرض النيل) : ان البغاء من المفاسد التى زادت زيادة كبيرة ين عهد الاحتلال الانجليزى لمصر ، وكثرت المحلات المخصصة له ، وخاصة فى القاهرة والأسكندرية ، فكنت أينما ذهبت وجدت دور الدعارة الأوربية التى عمل الانجليز على تشجيع وجودها وانتشارها(١) » .

ويربط عبد الله النديم فى مجلة (الأستاذ) بين هذه المفسدة وغيرها من الآفات الاجتماعية التى يلخصها فى اهمال الحكومة لشئون البلاد ، واهمال اللغة العربية ، والتفرنج ، والاستهتار

(١) عبد الرحمن الرافعى : مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال — القاهرة ١٩٤٨ ص ١٨٦

(1) Blunt, W. S,: My Diaries, part 1 (1888—1900) London 1919 P. 41—44.

(٢) د. عبد اللطب حمزة — مستقبل الصحافة فى مصر جـ ١ ص ١٤٢ و ١٤٣ ، القاهرة سنة ١٩٦١

(٣) مجلة الآداب فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٨٨٧ م

(٤) مجلة المنار ١٢ يوليو سنة ١٨٩٨ مقال : « الجيوش الغربية المعنوية فى الفتوحات الشرقية »

(1) Fredolin, Jon Bull sur Le Nil, Croquis de L'occupation anglaise, paris, 1886. p. 121, 124—168—169.

بالدين والجنسية وانتشار الخمور والدعارة(٢) .

ويرى الشيخ رشيد رضا فى مجلة (المنار) سنة ١٨٩٨م ان البغاء هو : « أحد الجيوش المعنوية التى جردها الغرب لهزيمة الشرق ، وأن لهذه المصيبة من الضرر المالى فى بلادنا ما ليس فى بلاد أوروبا ، لان معظم المسافحات وذوات الأخدان فى بلادنا ما ليس فى بلاد من الافرنج اللواتى يغاص عليهن المال جزافا بلا عد ولا كيل » .

وكان السفه والاسراف تقليدا لنمط الحياة الأوربيه ودون اعتبار لحالة البلاد الاقتصادية من الادواء التى انتشرت فى عهد الاحتلال الانجليزى لمصر وكان موقف الصحافة الاسلامية من هذا الداعة ذا ثلاثة جوانب : الأول كشفه وبيان أضراره ، والثانى بيان أن الترف ايستهلاكى لدى الأوربيين يعمل على ازدهار صناعتهم ، فالمال هناك يدور داخل بلادهم ولا يخرج عنها ، والثالث بيان منهج التوسط والاعتدال وتحريم الاسراف الذى دعا اليه الاسلام . والمقالات التى تتناول هذه الجوانب الثلاثة كثيرة جدا ، يقول الشيخ محمد رشيد رضا فى مقال « الجيوش المعنوية الغربية » الذى سبقت الاشارة اليه : « ان الغرب قد اندفع على الشرق بخميس من الأزياء ، وكتائب من الحلى ، وجحافل من الماعون النفيس ، وفيالق من اللذائذ ، فلم تجد هذه الجنود المجندة من الشرق أقل مقاومة ، ولا أدنى مدافعة ، فطفقت تفتك بالنفوس بعوامل الترف ، وفى الأموال بعوامل السرف ، ومازال القوم يعدون هذه العوامل من علائم الشرف ، حتى وقفت بهم على شفا جرف ، وأكبتهم على مناخرهم فى مهاوى التلف » .

وفى جريدة (الوقائع المصرية) ينتقد الشيخ محمد عبده الذين يتخيلون أن نقل أفكار الغرب وعاداته الى بلادهم سيصل بها بعد زمن وجيز الى درجة من المدنية تماثل مدنية الغرب ، وهؤلاء يخطئون خطأ كبيرا ، فهم يبدأون بما هو فى الحقيقة نهاية تطور طويل المدى .. فان تاريخ الدول الأوربية العظيمة يظهرنا على أنها لم تصل الى درجتها الحالية من المدنية الا بعد أن عانت عناء شديدا وضحت تضحيات عظيمة(١) .

وحين صدرت صحيفة (العروة الوثقى) من باريس فى ١٣ مارس سنة ١٨٨٤م تضمن أول مقال فيها وهو « منهج الجريدة » أنه « لا ملجىء للشرق فى بدايته أن يقف موقف الغربى فى نهايته ، بل ليس له أن يطلب ذلك ، ومن طلبه فقد أوتر نفسه وامته وقرا ، واعجزها وأعوزها » .

و مقال « الجيوش المعنوية الغربية » .. أيضا يقول الشيخ رشيد رضا : ان تمادى الأوربيين فى الترف يزيد فى احياء صنائعهم ونموها وكمالها ، ولا تتحول به أثباج ثروتهم ومجاريها الى غير بلادهم ، بل تبقى دائرة فيها . ومع ذلك فهم لا ينغمسون فى الترف .. انغماسا ينتهى بالغرق » .

وجاء الربا ليحكم هذه الدائرة الشيطانية التى جعل الغرب المجتمع المصرى يدور فيها فى ذلك العهد ، فان الذى يدمن الخمر ، وينحرف الى البغاء أو الميسر ، وينفق فى سرف وسفه على الملذات والمظاهر لابد أن يمد يده ليستدين، وكما يقول المؤرخ المصرى عبد الرحمن الجبرتى فى كتابه « مصر والسودان فى بداية عصر الاحتلال » : « وجد المرابون فى هذا الضعف، ومن النظم والقوانين ورعاية المحاكم المختلطة ما جعلهم يتغلغلون فى مختلف الأوساط فى العواصم والبنادر والقرى ، فكبلوا الأهالى بالديون مما أفضى الى ضياع ثروات الكثيرين منهم ، وانتشار الفقر والبؤس فى الطبقات الفقيرة والمتوسطة والكبيرة(٢) » .

واخيرا ، ما أشبه الليلة بالبارحة ، وكما حدث فى الماضى ومع اختلاف الوسائل ، فان حربا تشن الآن على البلاد الاسلامية جيوشها الخمور والمخدرات ، وأشرطة الفيديو الممنوعة المليئة بالجنس والعنف ، ومن وسائلها كذلك الاسراف والانغماس فى الترف والملذات المادية ، وانتشار الملاهى الليلية وغيرها ، واذا كان رشيد رضا قد حذر على صفحات « المنار » منذ قرن من الزمان من هذه الجيوش التى غزا بها الغرب بلاد الشرق ، فالتحذير مايزال قائما ، وان تغيرت الوسائل بتغير الزمان ، ونحن نخطىء اذا فصلنا هذه الغزوة التى ترمى الى القضاء على الأخلاق الاسلامية ، واحلال أخلاق دخيلة محلها ... نخطىء اذا فصلناها عن الغزوات العسكرية والسياسية والاقتصادية التى تبغى بها قوى السيطرة العالمية أن نظل خاضعين لها .

(٢) مجلة الاستاذ فى ٢٣ اغسطس سنة ١٨٩٢

(١) جريدة الوقائع المصرية فى ١٧ ابريل سنة ١٨٨١ — المقال الثانى من سلسلة مقالات « خطأ العقلاء »

(٢) عبد الرحمن الرافعى : مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال » مرجع سابق ص ١٨٦

الإسلام دين عالمي بالموعظة الحسنة

الدكتور محمد أحمد سلامة
عميد كلية اللغة العربية
بالزقازيق

كتب الكاتبون وعلق المعلقون على ما كتبوا حول عروبة الاسلام وأنه دين العرب، وأكتب اليوم فى هذا الموضوع لعل ما أكتبه يريح نفوسا ، ويطمئن قلوبا ، فيهدأ الثائرون ، ويعود الى ربهم الشاكون والمستريبون :

أولا : كان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم عربيا ، يفهم لغات العرب ، ويعبر بلهجاتهم وقد قال له على كرم الله وجهه : يا رسول الله ، نحن بنو أب واحد، ونراك تكلم الناس بما لا نفهم أكثر ، فقال « أدبنى ربى فأحسن تأديبى ، وربيت فى بنى سعد » .

ونزلت رسالته قرآنا عربيا لا عوج فيه قال تعالى :

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ فصلت — ٤٤

ويؤيد هذا قوله تعالى :

لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ التوبة — ١٢٨

وقال جعفر بن ابى طالب رضى الله عنه للنجاشى (وقال المغيرة بن شعبة مثله لرسول كسرى) : ان الله بعث فينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصفته ، ومدخله ومخرجه ، وصدق أمانته . وفى معنى (من انفسكم) لم يصبه شىء من ولادة الجاهلية ، ويعز على الرسول الشىء الذى يعنت أمته ويشق عليها ، لانه بعث بالحنيفية السمحة .

(تفسير ابن كثير) .

ويؤيده كذلك قوله تعالى :

« وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » .

ابراهيم — ٤

قال العلامة ابن كثير : هذا من لطفه تعالى بخلقه ، أنه يرسل اليهم رسلا منهم بلغاتهم ليفهموا عنهم ما يريدون ، وما أرسلوا به اليهم. كما رواه أحمد عن ابى ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم يبعث الله عز وجل نبيا الا بلغة قومه .

وكان من سمع الدعوة من المشركين يتأثر بها أيما تأثر ، لأنه يفهم بلاغة القرآن ، ويروعه أسلوبه بقوة تأثيره ، وطريقة نظمه ، وربما كان يتقدم خطوات الى الاسلام ، كالوليد بن المغيرة الذى وصف القرآن الكريم ابلغ وصف ، ولما ضيق عليه المشركون قال : « ان هذا الا سحر يؤثر » وما موقف عمر وقصة اسلامه عنا ببعيد. وسماع القرآن جعله يوافق على الاسلام بعد مخالفة ، وينضوى تحت لوائه بعد عناد .

ثانيا : وفى القرآن فى بعض السور الطوال والمفصل والقصار آيات مدنية تبين عموم الرسالة المحمدية وتخاطب من يتأتى خطابه من الناس وهى قوله تعالى :

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾

التوبة — ٣٣

والمراد بالدين كله سائر الأديان ، ويؤكد هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الله زوى لى الأرض مشارقها ومغاربها » وعن تميم الدارى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليبلغن هذا الأمر (الاسلام) ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا ادخله هذا الدين ، يعز عزيزا ويذل ذليلا ، عزا يعز الله به الاسلام ، وذلا يذل به الكفر » .

فكان تميم الدارى يقول : قد عرفت ذلك فى أهل بيتى ، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز ، ولقد أصاب من كان كافرا منهم الذل والصغار والجزية وآية سورة الفتح :

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

الفتح — ٢٨

ومعنى الهدى ودين الحق : العلم النافع والعمل الصالح ، (ليظهره على الدين كله) أى على أهل جميع الأديان من سائر أهل الأرض من عرب وعجم ومسلمين ومشركين . (وكفى بالله شهيدا) أى أنه رسول وهو ناصره ، والله سبحانه وتعالى أعلم (ابن كثير) والآية الثالثة فى سورة الصف :

« وهو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

الصف — ٨

وقبلها الآية :

« يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » .

الصف — ٧

وهى تأكيد لما ذكر فى سورتى التوبة والفتح : وهناك الآية :

« قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض » .

الأعراف — ١٥٨

فالخطاب هنا عام للناس ، ويقول الامام ابن كثير : وهذا من شرفه وعظمه صلى الله عليه وسلم انه خاتم النبيين ، وانه مبعوث الى الناس كافة ، كما قال الله تعالى :

«واوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ».

وقال تعالى :

« ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده » .

وقال تعالى :

« وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ » .

وفى الحديث عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أعطيت خمسا لم يعطهن نبى قبلى « ولا أقوله فخرا » بعثت الى الناس كافة الأحمر والأسود ، ونصرت بالرعب مسيرة شهر ، وأحلت لى الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلى ، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا وأعطيت الشفاعة فأخرتها لأمتى يوم القيامة فهى لمن لا يشرك بالله شيئا .

وفى سيرة ابن هشام : وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبى بعثه قبله بالايمان به والتصديق له ، والنصر له على من خالفه ، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك الى كل من آمن بهم وصدقهم ، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه ، يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم :

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾

آل عمران — ٨١

فاخذ الله ميثاق النبيين جميعا بالتصديق له والنصر له ممن خالفه وأدوا ذلك الى من آمن بهم وصدقهم من أهل هذين الكتابين .

ثالثا : ومادام الأمر عاما لجميع الناس عربهم وعجمهم ، أسودهم وأحمرهم نجد أن الرسول صلى اللهعليه وسلمارسل رسله بكتبه الى ملوك الفرس والروم وعظماء من يجاورونه فقد أرسل الى هرقل وكسرى والنجاشى ، وعلى بن هوذة الحنفى والمقوقس ، وابنى الجلندى ، ولو كان الاسلام خاصا بالعرب لما أرسل كتبه الى هؤلاء وغيرهم ، ولما شغل نفسه أو أحدا من أصحابه بالذهاب الى هؤلاء يدعوهم الى الاسلام ، وان تولوا كان على هؤلاء الملوك والرؤساء آثام أقوامهم .

كتابه الى هرقل : وقد أورده البخارى :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فانى أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فان عليك اثم الاريسيين (الفلاحين) و « يأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » وثبت أن هرقل جمع عظماء الروم وقال لهم : هل لكم فى الفلاح والرشد ، وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبى؟ ولكنهم حاصوا حيصة حمر الوحش الى الأبواب فوجدوها قد غلقت ووجد نفسه فى مأزق مع هؤلاء الأساقفة فقال : ردوهم على وأراد أن يرضيهم فقال : انى قلت مقالتى آنفا أختبر بها شدتكم على دينكم ، فقد رأيت ، فسجدوا له ورضوا عنه . فكان ذلك آخر شأن هرقل .

ومما كتبه الى على بن هوذة الحنفى : « واعلم أن دينى سيظهر الى منتهى الخف والحافر » . وقال لابنى الجلندى : « وتظهر نبوتى على ملككما » .

رابعا : وارسل رسله ممن اتبعوا دعوته الى الدول المجاورة فقد أرسل معاذ بن جبل الى اليمن وقال له بم تحكم ؟ قال : بكتاب الله . قال: فان لم تجد ؟ قال : فبسنة رسول الله . قال فان لم تجد ؟ قال أجتهد برأيى وأوامر جلسائى (أى أشاورهم) فكان صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه طريقة الحكم ، والعبادات ، والمعاملات الاسلامية ويبث فى نفوسهم تعاليمه ويدعوهم الى عبادة اله واحد لا شريك له .

خامسا : شهادة أهل الكتاب والمشركين له من الملوك والعظماء .

(أ) روى أن عبد الله بن عباس أخبره أبو سفيان بن حرب أن هرقل أرسل اليه فى ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام فى المدة التى عاد فيها أبو سفيان وكفار قريش (صلح الحديبية) فأتوه وهم بايلياء فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم (فسأل هرقل وفد العرب التجارى

بقيادة أبى سفيان مع ملاحظة أن أبا سفيان كان على الشرك وأن هرقل رئيس النصارى وملكهم وعالمهم الدينى بالشام) فقال هرقل (عن طريق ترجمانه) : أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبى ؟ فقال أبو سفيان : أنا أقربهم نسبا (ثم أدناه منه وجعل أصحابه خلفه من المشركين صفا وقال لترجمانه : قل لهم انى سائل هذا الرجل ، فان كذبنى فكذبوه ، ويقول أبو سفيان ما معناه : فوالله لولا الحياء من أن يأثروا (ينقلوا) عنى كذبا لكذبت عنه ، ثم وجه هرقل هذه الأسئلة :

كيف نسبه فيكم ؟

أبو سفيان : هو فينا ذو نسب .

هل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟

أبو سفيان : لا .

فهل كان من آبائه من ملك ؟

أبو سفيان : لا .

فاشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟

أبو سفيان : بل ضعفاؤهم .

ايزيدون أم ينقصون ؟

أبو سفيان : بل يزيدن .

فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟

أبو سفيان : لا .

فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

أبو سفيان : لا

فهل يغـــدر ؟

أبو سفيان : لا ، ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها .

فهل قاتلتموه ؟

أبو سفيان : نعـم .

فكيف كان قتالكم اياه ؟

أبو سفيان : الحرب بيننا سجال ، وينال منا وننال منه .

ماذا كان يأمركم ؟

أبو سفيان : اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة .

ثم علق هرقل على هذه الاجابات بما يؤكد دعوة الرسول ثم قال : فان كان ما تقول حقـــا فسيملك موضع قدمى هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ، لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أنى أعلم أنى أخلص اليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه .

وأراد هرقل بهذه الأسئلة أن يستشـف العلامات التى كان يراها مصاحبة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله : « قد كنت أعلم أنه خارج ، لم أكن أظن أنه منكم فلو أنى أعلم أنى أخلص اليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه » وفى رواية ابن اسحاق عن بعض أهل العلم أن هرقل قال : ويحك : والله انى لأعلم أنه نبى مرسل ، ولكنى أخاف الروم على نفسى ولولا ذلك لا تبعته .

فالتمسك بالدنيا وحب الرياسة والأموال حال بينه وبين الاسلام .

(ب) أبو سفيان بن حرب ــ وقد كان مشركـا ــ خاف على نفسه أصحابه أن يكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكنه كان يريد أن يغمز ويشكك ، فحين قال لهرقل : « ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها ؟ قال : ولم يمكنى كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة أى التشكيك فى قوله : « لا ندرى ماهو فاعل فيها » وقال حين علم أن العرب يختتنون : هذا ملك هذه الأمة قد ظهر وكان أبو سفيان عند هرقل حين حاص الأساقفة غير مواقعين هرقل وأخرج هو وأصحابه حينئذ قال : « لقد أمر (عظم) أمر ابن أبى كبشة ، انه يخافه ملك بنى الأصفر (الروم) فمازلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله على الاسلام .

وهذه شهادة من مشرك يعظم امر النبى صلى الله عليه وسلم ويشهد أن ملك الروم يحسب حسابه ويخافه على ملكه .

واضيف الى ذلك أن أبا طالب عثر على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ابنه وهما يصليان

فى شعاب مكة فقال لمحمد : يا ابن أخى ، ما هذا الدين الذى أراك تدين به ؟ قال : أى عم هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا ابراهيم (أو كما قال صلى الله عليه وسلم) بعثنى الله به رسولا الى العباد ، وأنت أى عم أحق من بذلت له النصيحة ، ودعوته الى الهدى، وأحق من أجابنى اليه وأعاننى عليه .

وانظر الى التعبير : بعثنى الله به رسولا الى العباد ولم يقل اليك أو الى العرب وصدق الله تعالى :

« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

(ج) ويروى ابن هشام فى سيرته أن المسلمين حين اضطهدوا بمكة من قريش ، ورأى النبى ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية لمكانه من الله ، ومن عمه أبى طالب وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم : « لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه فهاجر المسلمون وذهبوا الى الحبشة ، وأرسلت قريش من خلفهم عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص وقالا للنجاشى : « أيها الملك ، انه قد لحق الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا اليك أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم عليهم .. ولكن بطارقة النجاشى وهم حوله (وقد أخذوا هدايا قريش) صدقوا كلامهما ، ولكن النجاشى غضب ثم قال : لا ها الله ، اذا لا أسلمهم اليهما حتى أدعوهم فاسألهم وان كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاورونى . ثم أرسل الى المسلمين (وقد دعا النجاشى أساقفته) ، فسألهم عن الدين ودعوتهم الى الاسلام وماأمرهم به وما نهاهم عنه .

ورد عليه جعفر بن أبى طالب أبلغ رد ، ثم طلب منه النجاشى أن يقرأ عليه شيئا مما جاءهم به محمد بن عبد الله ، فقرأ عليهم أول سورة (كهيعص) أى سورة مريم فبكى النجاشى حتى أخضلت لحيته وبكى أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ثم قال النجاشى : ان هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة (طاقة نور واحدة ، ثم قال لرسولى قريش : انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم اليكما) .

وفى بعض الروايات أن النجاشى أسلم بدليل أنه لما مات وبلغ خبر موته النبى صلى الله عليه وسلم صلى عليه واستغفر له .

وفى هذا اعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم كان من الرسول تكريم لمن كرم المسلمين .

سادسا : ولم يقف الأمر بالدعوة الى الاسلام عند حياة النبى صلى الله عليه وسلم وانما انطلقت الدعوة الى الآفاق على يد صحابته فى الفتوحات الاسلامية وهم كما قال النبى صلى الله عليه وسلم **« أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم »**

فكانت فتوحات الفرس والروم ومصر وبرقة وغيرها ودان أهل هذه البلاد أو أغلبهم للاسلام ودانوا للغته يتعلمونها لتساعدهم فى فهم هذا الدين وأوامره ونواهيه وعباداته وأنواع السلوك الانسانى السليم .

ووصل الاسلام فى أقل من قرن من الزمان ما يقرب من نصف العالم القديم والسند على يد محمد بن قاسم والأندلس على يد موسى بن نصير وطارق بن زياد ومن هنا نصل الى أن الاسلام دين عالمى لا عربى فقط وكل يوم يدخل فيه الناس أفواجا ، والمراكز الاسلامية فى العالم الاسلامى يفد اليها كثير من أبناء الدول أوروبية وأمريكية سعيا لاعتناقه والعمل بمبادئه، ولاشك أنه كان للترجمة والمترجمين اثر كبير فى الدعوة الى الله ووضح هذا فى ترجمان هرقل مع أبى سفيان وترجمان النجاشى مع العرب مسلمين ومشركين.

ميراث البنات .. مناقشة وبيان

بقلم دكتور عبد الرحمن العدوى
الأستاذ بكلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر

فى الوقت الذى يطالب الناس فيه بالغاء الضريبة على التركات ويكاد يجمع الكاتبون والمثقفون وعلماء الاقتصاد على ضرورة التخلص من هذه الضريبة التى آذت الناس وأضرت الاقتصاد القومى بأضعاف ما تجمعه من أموال اليتامى والأرامل وغيرهم من الوارثين — فى هذا الوقت بالذات فتح الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين بابا آخر قال انه يتصل بموضوع التركات وأدلى باقتراح أن تكون البنت كالابن فى الميراث وحجب الآخرين من الأقارب .. الخ وساق لذلك مبررات يراها عقلية ومؤيدة لاقتراحه ، وقد رد على هذا الاقتراح — الذى ليس جديدا — عدد من العلماء والمفكرين وبينوا وجه الخطأ فيه وفى المبررات التى ساقها لتاييده — ولكن الأمر مع ذلك يحتاج الى ايضاح أكثر ودراسة لموضوع الاقتراح تجلى حقائق المواريث ومكانتها فى التشريع الاسلامى وتضع الأمور فى موضعها فلا يتهجم عليها أحد بغير علم .

فقد كان الميراث فى الجاهلية قبل الاسلام يقصر توزيع التركات على الذكور الكبار الذين يحملون السيف ويحمون العشيرة وينكأون العدو ، ويحرم البنات والنساء والصغار من الذكور لأنهم يعالون ولا يعولون .

وجاء الاسلام بعدالته قاضيا على هذا العمل الجائر فى توزيع التركات وكان لابد — ازاء ما استقر فى نفوس أهل الجاهلية لأزمان طويلة — أن يعمل التشريع الاسلامى على تغيير الوضع بالتدريج ليقتلع ما اعتادته النفوس فى حكمة وأناة كفيلين بتحقيق الاستجابة والالتزام بما شرع الله .

ففى صدر الاسلام كان التوارث مبنيا على الهجرة والمؤاخاة . اما الهجرة فقد كان المهاجر يرث أخاه المهاجر الذى يخالطه ويعايشه ويناصره ويختصه بمزيد من الاخلاص له والتعاون معه . وأما المؤاخاة فقد كان المتآخيان اللذان يؤاخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار يرث كل منهما أخاه فيرث المهاجر أخاه الأنصارى ، ويرث الأنصارى أخاه المهاجر .

وقد كانت هذه المرحلة فى نظام المواريث ترمى الى تكوين الأمة الاسلامية القوية التى يرتبط أعضاؤها بعضهم ببعض بحيث تكون متميزة فى التناصر والتآخى تحت راية الاسلام وتفضيل التناصر به على سائر القرابات النسبية. وقد جاء بيان هذه المرحلة فى عدد من آيات القرآن الكريم فى آخر سورة الأنفال .

ثم جاءت المرحلة التالية بابطال التوارث بالهجرة والمؤاخاة بقول الله تعالى :

وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

الانفال ٧٥

وقوله تعالى :

وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

الاحزاب ٦

وبذلك أصبح التوارث بين الأقارب ذكورا واناثا كبارا وصغارا ، ولم تحدد الأنصباء فى هذه المرحلة ولا مستحقات كل وارث أو ترتيب الورثة فى الميراث ، وترك ذلك لرأى صاحب المال يرضى بقسمته قبل موته ويخص من شاء من الوالدين والأقربين من غير تحديد لدرجة القرابة بل حسب ما يراه من المصلحة فى تفضيل من هم أكثر محبة له ونصرة وتعاونا معه فى حياته . وقد جاء فى ذلك قول الله تعالى :

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾

البقرة — ١٨٠

وقد شرع الله ضمانا للعدل فى هذه المرحلة التى وكل فيها أمر توزيع التركات الى أصحابها بأن جعل القضاء مشرفا على الوصية لاصلاح ما قد يحدث من جنف الموصى أو ظلمه ، وذلك قول الله تعالى :

فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾

البقرة ١٨٢

البيان الشافى :

ثم لما انتشر الاسلام وامتلأت بحبه القلوب واستعدت النفوس للاستجابة التامة لتعاليمه اقتضت الحكمة الالهية حينئذ الا يوكل أمر التركة وتقسيمها الى أربابها ولا الى القضاة من بعدهم فكانت المرحلة الأخيرة المستقرة لنظام المواريث فى الاسلام ، وهى المرحلة التى تولى الله فيها تقسيم التركات ، وتحديد نصيب كل وارث ، وبيان درجات الوارثين بما يحقق العدل الالهى الذى ليس بعده ولا قبله عدل سواه ، فهو العليم الخبير الذى يعلم من أمر الخلق ما لا يعلمه الا هو ، ويعلم ما يصلحهم وما يحقق مصالحهم ، ويقضى على التنازع والبغضاء وشح النفوس وحب الاستزادة من المال ولو بغير حق ، فجاءت وصية الله وفريضته وحدوده فى المواريث مفصلة واضحة مبينة لحقوق الوارثين ، وتولى الله فى آيات القرآن الكريم بيان نصيب كل وارث عناية بهذا الأمر وايذانا بخطورة مجاوزة أمر الله فيه ، وشدد المولى وأكد وحث على ضرورة الاذعان التام والالتزام بما فرضه فى شأن الميراث وحدده .

فصدر آية المواريث بقوله عز سلطانه **« يوصيكم الله »** فهى وصية الله لعباده وليست وصية أحد غيره من نبى مرسل ولا ملك مقرب ، ووصية الله أشد وجوبا ولزوما من وصايا العباد .

ثم بين سبحانه أن ما تولوه من تقسيم التركات جاء على مقتضى الحكمة الالهية وعلم الله المحيط بكل شىء وتحقيق النفع العام الذى يعلمه سبحانه ولا يدرى به أحد سواه فقال : **« آباؤكم وابناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا »** ثم ختم الآية بقوله: **« فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما »** ، وفى ختام الآية التالية لهذه الآية من آيات المواريث فى سورة النساء أعاد المولى وصيته بقوله :

« وصية من الله والله عليم حكيم » ، وفى تحذير شديد من مجاوزة حدود الله فى المواريث وغيرها اتبع الآيتين السابقتين بقوله تعالى :

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

النساء ١٣ — ١٤

اننا لا نكاد نجد تشريعا فى الاسلام حظى بمثل هذا الالزام والتأكيد والوصية والفرضية والاسناد الى العلم والحكمة الالهيين والكشف عن عجز البشر عن الدراية بما غاب عنهم من دخائل النفوس ، كل ذلك من دواعى الاستجابة والتسليم المطلق لله فيما شرعه وحدده فى شأن المواريث . ثم يأتى بيان ثواب الطائعين الملتزمين حدود الله وشرعه والتحذير الشديد من العذاب المهين الذى أعده للمخالفين الذين يتعدون حدوده .

كل ذلك ليفطن أولوا الألباب الى خطورة محاولة التغيير والتبديل فى المواريث أو استحداث أنصباء فيها عن لا ميراث ولا وصية له فيكونون بذلك من الذين تعدوا حدود الله .

احاديث مردودة :

وقد جاء قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعله فى التوريث مبينا ومفصلا ومحددا لأسلوب العمل بما شرعه الله فى شان المواريث . وبيان رسول الله موحى به من الله تعالى « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى » وطاعة رسول الله طاعة لله ومعصية رسول الله معصية لله نجد ذلك فى قول الله تعالى : « من يطع الرسول فقد اطاع الله » وفى اقتران طاعة الله ورسوله فى الجزاء الحسن واقتران معصية الله ورسوله فى العقاب والوعيد فى قول الله تعالى :

وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

النساء ١٣ — ١٤

وكل ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب قبوله والعمل بمقتضاه « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

وقد اعتمد أهل السنة الأحاديث الصحيحة التى رواها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن خيرة هؤلاء الرواة الثقات صحابة المصطفى صلى الله عليه وسلم وفى مقدمتهم الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلى . فاذا انحرف قوم يتشيعون لعلى كرم الله وجهه فى موقف سياسى يتصل بالخلافة ومن هو الأحق بها ويؤدى بهم هذا التشيع والمغالاة فيه الى تكفير الشيخين الجليلين أبى بكر وعمر لاغتصابهما الخلافة من على كما يدعون — ووصفهما لذلك بأسوأ ما يمكن أن يوصف به انسان كما ينالون بالأذى واللعن ابنتيهما السيدتين عائشة وحفصة وهما من أمهات المؤمنين بنص القرآن الكريم هما وغيرهما من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم — وقد ترتب على هذه المغالاة الجامحة التى امتد شؤمها الى أمور الدين أن لم يقبلوا الأحاديث النبوية التى يرويها الخلفاء الراشدون الثلاثة قبل الامام علي كرم الله وجهه والتى ترويها السيدة عائشة أو السيدة حفصة ، وقد أدى ذلك الى خطأ الفقه الشيعى فى أحكام كثيرة رفض الشيعة الغلاة فيها الأحاديث الصحيحة المروية عن أفضل الرواة الثقات بين المسلمين ، ولذلك وقع هذا الفقه فى اخطاء خطيرة أجمع المسلمون على خلافهما ، وذلك كقول الشيعة فى فقههم بجواز نكاح المتعة ، وقولهم ان فرض الرجلين فى الوضوء المسح وليس الغسل ، وغير ذلك مما ينكره ائمة المسلمين فى كل الأعصار والأمصار ويرون أصحاب هذه الأقوال خارجين على الاجماع لرفضهم الأحاديث الصحيحة بناء على مسلكهم الذى ذكرناه ، فليس خطؤهم فيها خطأ مجتهد مأجور أصاب أو اخطأ .

والفقه الشيعى رغم ما فيه من الأخطاء والانحرافات لا يخلو من الصواب فى بعض الأحكام التى ارتضى الشيعة الأحاديث المروية فيها وارتضاها أهل السنة كذلك . فالقول بأن الفقه الشيعى معترف بقيمته أو غير معترف بها قول فيه تعميم غير مقبول ، فليس الفقه الشيعى مقبولا باطلاق ولا مرفوضا باطلاق ، وكل حكم فى شرع الله لابد له من دليل يستند اليه ، وليس المجتهدون سلطة تشريعية يقررون الأحكام وينشئونها كما يفهم البعض مما لا علم عنده بهذه الدراسات ، ولكنهم يجتهدون للكشف عن الحكم المستكن فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

فاذا جاء الكاتب الكبير الأستاذ أحمد بهاء الدين يدعو الى الأخذ بما جاء فى الفقه الشيعى من جعل البنت كالذكر فى حجب بعض أقارب المتوفى لكى تظل التركة فى الحدود نفسها المرسومة كحالة وجود الابن الذكر ، ويقول انه الوضع الذى أرى أنه أقرب الى العدل والى العصر ، ويعلل رأيه بأنه ما عادت البنت « حريما » وحالة مفروضة على غيرها ، وقد صارت الابنة تواجه من امتحانات الحياة ما لا يقل عما يواجهه الولد (هكذا) على الاطلاق .

أخطاء وتصويبات

نقول للكاتب الكبير ليس كل ما جاء فى الفقه الشيعى مقبولا لما ذكرنا من الأسباب واذا كان الأمر كذلك فان مسألة مساواة البنت للذكر فى الميراث والحجب التى يرى أنها أقرب للعدل وللعصر تحتاج الى ايضاح خفى عليه ، وهو معذور فى عدم معرفته بأحكام الميراث وأدلتها فليس هو من أهل الدراية بذلك .

وفى سبيل الايضاح نذكر ما يلى :

أولا : مسألة الميراث التى ذكرها الكاتب الكبير فى يومياته وقال فيها انه اذا كان للمورث ابن ذكر بقيت التركة فى أبنائه وزوجته وأمه وأبيه ، أما اذا كان المورث ليس له ابن ذكر وله « دستة » من البنات فان البنت لا تحجب أى لا تبقى التركة فى هذه الحدود وانما تتوزع على أنواع عديدة من فروع المورث البعيدة عنه .

هذا القول أخطأ فيه ــ سيادته ــ فان الوضع فى المسألة التى ذكرها لا يختلف بين أن يكون للمورث ابن ذكر مع الزوجة والأم والأب ، أو أن يكون له بنت واحدة مع هؤلاء ــ ولا حاجة الى دستة بنات ــ فان توزيع التركة فى كلتا الحالتين لا يخرج عن هؤلاء الأقارب من الدرجة الأولى ولا يدخل مع هؤلاء أى نوع من فروع الميت البعيدة عنه أى من غير بنيه وبناته وزوجه وأمه وأبيه .

فلو مات عن ابن وزوجة وأم وأب فللزوجة الثمن وللأم السدس وللأب السدس وذلك لوجود الفرع الوارث وما بقى بعد ذلك يكون للابن لأنه عصبه .

ولو مات عن بنت وزوجة وأم وأب فان التركة لا تخرج عن هؤلاء فللبنت النصف بنص القرآن الكريم « وان كانت واحدة فلها النصف » وللزوجة الثمن وللأم السدس وللأب الباقى فرضا وتعصيبا ولا يدخل فى الميراث مع هؤلاء أخ ولا أخت سواء أكانوا أشقاء أم لأب أم لأم ولا يدخل معهم عم ولا أولاد عم ولا عمة ولا خالة ولا أحد من ذوى الأرحام كما يظن الكاتب الكبير أن التركة تتوزع فى حالة وجود البنت على فروع بعيدة عن الميت وهو ظن خاطىء .

ويلاحظ أن نصيب الابن فى هذه المسألة لا يزيد كثيرا عن نصيب البنت اذا حلت محله فيها ، كما يلاحظ أن البنت حجبت الزوجة من الربع الى الثمن وحجبت الأم من الثلث الى السدس كالابن تماما ولا فرق بينهما فى هذا الحجب وذلك بنص القرآن الكريم فى قول الله تعالى : فى ميراث الزوجات :

« ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين » .

والولد يطلق على الذكر والأنثى وليس مختصا بالذكر كما فهم الكاتب الكبير ووقع فى هذا الخطأ مرتين . وفى ميراث الأب والأم يقول الله تعالى :

« ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث » .

فالأب والأم لكل واحد منهما السدس من تركة الميت عند وجود ولد للميت ذكرا كان أو أنثى . وبذلك يظهر خطأ ما فهمه الكاتب الكبير فى المسألة التى جاء بها ، وبالتالى ينهار كل ما بناه على هذا الخطأ من احتيال الآباء واعتبار البنت حريما الى غير ذلك مما جاء فى عباراته .

ميراث محدد :

ثانيا : تحديد ميراث البنات جاء فى قول الله تعالى :

« يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف » .

وهذا النص القرآنى لا يجوز الاجتهاد معه لأنه قاطع الدلالة لا يحتمل الا معنى واحدا فليس لمسلم أن يقول أمام هذا النص انى أرى أو ان رأيى كذا وكذا مما يخالف النص القرآنى ثم يدعى أن رأيه أقرب الى العدل أو الى العصر **« ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن »** .

ومن شأن المسلم التسليم والاذعان لما يقوله الله تعالى وما يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الموقف الايمانى الذى لا محيد عنه للمؤمنين يبينه الله تعالى فى قوله :

إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥١ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٥٢

النور ٥١ ، ٥٢

فوجوب السمع والطاعة لله ورسوله ليس موضع مناقشة أو اجتهاد ولا يخضع لرأى أحد ولا يتحقق الايمان بغير تحكيم الله ورسوله فيما شجر بين العباد ؛ فاذا جاء حكم الله كان التسليم المطلق والرضاء النفسى والاطمئنان الى عدالة ما حكم الله ورسوله به قال تعالى :

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٦٥

النساء ٦٥

وآيات المواريث كما قدمنا قطعية الدلالة لأنها نصوص محكمة ، فليس لمؤمن أن يرى رأيا مخالفا لما نصت عليه وبخاصة بعد ما ذكره الله مقارنا لها من التأكيد والترغيب والوعيد .

« تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » .

هذا من ناحية نصوص القرآن وهى كفيلة بالاجهاز على كل رأى مخالف لها .

أنصباء .. وتبعات

ومن ناحية أخرى فان الميراث له صلة بما يجب على الرجال من النفقات . فالرجل يجب عليه صداق المرأة من ماله « أن تبتغوا باموالكم

محصنين غير مسافحين» «وآتوا النساء صدقاتهن نحله » ، ويجب على الرجل الانفاق على زوجه وأولاده وتشمل النفقة المسكن والمطعم والملبس والخادم اذا كان مما يحتاج اليه ، واختصاص الرجل بالانفاق ولو كانت الزوجة موسرة جعل له قوامة الأسرة وتوجيهها ورعايتها وحمايتها مما يضرها ، قال الله تعالى :

« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » .

وقال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة » .

وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم هند امرأة أبى سفيان أن تأخذ من مال زوجها ما يكفيها وولدها بالمعروف ولم يسألها عن مالها وما تملكه وهل هى قادرة على الانفاق أم لا ؟

ويجب على الرجل كذلك — دون المرأة — الانفاق على أقاربه المحتاجين غير القادرين على الكسب فاذا كان القريب ذكرا أو أنثى — تجب نفقته على قريبه الرجل عند الاحتياج فمن العدل أن يكون لهذا الملتزم بالانفاق عند الحاجة نصيب فى التركة اذا لم يوجد من هو أقرب منه ، ومن هنا كان ترتيب العصبات فى الميراث كترتيب العصبات فى وجوب الانفاق .

قال الامام النووى : والرجال تلحقهم المؤن كالقيام بالعيال والضيفان وارفاد القاصدين ومواساة السائلين وتحمل الغرامات وغير ذلك .

تكامل المواريث

وفى سبيل بيان التكامل فى المواريث نجد أن المرأة قد تكون عصبة تأخذ ما بقى بعد أصحاب الفروض اذا لم يوجد عاصب ، فاذا مات عن بنت وأخت شقيقة أو لأب فان البنت تأخذ النصف فرضا بنص القرآن الكريم وتأخذ الأخت النصف الباقى لأنها عصبة مع البنت لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « اجعلوا الأخوات مع البنات عصبة » ، وبهذا يتبين أن الذكور لاينفردون وحدهم بأخذ ما بقى بعد أصحاب الفروض بل قد تأخذ المرأة ما بقى كالحالة التى معنا .

ثم ان البنت اذا انفردت وحدها ولم يترك الميت وارثا سواها فانها تأخذ جميع التركة ، والنصف فرضا ، والثانى ردا عليها لعدم وجود وارث سواها .

واقتراح حرمان العصبات من الميراث ظلم تنزه الله فى شرعه عنه ، فان الميت اذا مات وليس له تركة وخلف وراءه بنتا وأخا له فان هذا الأخ وهو عم البنت يجب عليه الانفاق على هذه البنت المحتاجة الى انفاقه . فالعدل كل العدل أن يكون الغنم بالغرم لا أن يحرم عند الرخاء ويطالب بالانفاق وقت الشدة .

ثالثا : نؤكد أخيرا أن أحكام الشريعة الثابتة بالنصوص القطعية ليست موضعا للاجتهاد فانه لا اجتهاد مع النص فهى لاتتغير بتغير الأزمنة والعصور ، ولا عدل ولا مصلحة الا فيما جاءت به ، ومن رام غير ذلك فهو متعد حدود الله وهو أمر لا يحتمل مسلم أن ينسب اليه .

وبعد . ففى كلمة أخيرة حاسمة يأتى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا ان لكل ملك حمى ألا وان حمى الله محارمه » ونختم بقول الله تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾

الأنفال ٢٤

الحقوق المزعومة ..

بقلم الدكتور السيد الجميلي
طبيب ومدير عام

لم يستوقفنى شعار ولا مبدأ مثل الذى نادى به دعاة الحرية النسائية المطالبون بحقوق المرأة ، وحتمية وضرورة مساواتها بالرجل ، فان ذلك يشير لأول وهلة الى أن المرأة المخلوق الضعيف قد جار عليها الزمان ، فاهدر حقوقها ، واغتصب منها حقوقا جوهرية يجب ان تسترجعها مرة أخرى .

ثم ان الدعوة الى مساواتها بالرجل فى الحقوق والواجبات وأن يكون لها مثل ما للرجل ، وعليها مثل ما عليه — انما هى دعوة فاشلة خاسرة ، محكوم عليها بالتأخر ومعارضة الواقع والحقيقة المنشودة ، بيد أن الحاملين لواءها لايزالون متعالين ومكابرين برأيهم المرجوح ، ودعوتهم المزعومة بدافع من التطور والتحضر المزعوم الذى تعارضه وتدحضه الأصول والقواعد العلمية الصحيحة .

ومن الخطأ الجسيم ، والفساد البائن ، بل من التأخر الشائن أن يتساوى كل الرجال ، وكل النساء فى جميع الاعتبارات ، وليس عدلا ان يتساوى قطبا الرحى فى كل الظروف ، وتباين الأحوال مع التفاوت الشديد ، والبون البعيد بين كل منهما فى أهم الخصال ، والخصائص المنوط بها هذه الحقوق وتلك الواجبات .

ان قوة الرجل وشدته وجدة حيويته على النقيض تماما من انوثة المرأة ، والتى تقتضى شعورا بالسعادة الفطرية من جانبها لمجرد الاحساس التلقائى بالأنوثة المشمولة بالرقة واللين والعطف .

بل ان مجرد نقل الخصال والخصائص من طرف لآخر ، يثير قلقا وفزعا ملحوظا فلو ان الرجل أخذ خصال المرأة من الانوثة ، وكذا أخذت المرأة طبيعة الرجل من الذكورة لكان ذلك أمرا شديد القبح ، كثير الفساد ، عظيم الاستهجان ، لأنه يعارض الفطرة ، ويتمرد على الناموس ، ويخرقه من غير استحقاق .

من أين يأتى مبدأ المساواة اذن ؟ ؟

والمستقصي قليلا يجد أن حرارة الرجل وقوة بنائه الغريزية اذا ما خالطت رقة الطرف الآخر ومازجت لطافته ، أعطت مزاجا معتدلا مقبولا مستقيما ، وخير دليل على ذلك عندما يتزوج الرجل العصبى الشرير امرأة سمحة الخلق ، صابرة صبر الأثافى على النار .

هذا يختلف عن الرجل الشديد الضيق الذى يخالط امرأة شريرة عنيفة صارمة .

وتمج الفطرة تشابه القطبين ، لأن فى هذا التوافق تقوية وتمكينا للخصال السيئة ، والقبائح المرذولة .

ونحن نرى أن عبث الشهوة الجسدية ان لم يكن للضرورة النوعية كفاية مأمولة ، فانه يكون مصدرا للضيق والعنت والمضض والمشقة .

ويقرر القرآن الكريم حقيقة هذه المساواة بين الرجل والمرأة لتمام السعادة الدنيوية والاخروية معا فيقول تعالى :

وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ

البقرة : ٢٢٨

(ولهن) أى على الأزواج (مثل الذى عليهن) أى للأزواج **(وللرجال عليهن)** أى فى الحق **(درجة) أى فضيلة ، لكن الامام الطبرى — شيخ المفسرين — وافق ابن عباس رضى الله عنهما فى أن الدرجة هى الصفح عن بعض الواجب عليها ، ثم اغضاؤه لها عنه ، وأداء كل الواجب لها عليه .**

راجع تفسير الطبرى (٥٣٥/٤) بتصرف .

وجزاء العمل الصالح من كلا الطرفين محفوظ مقطوع به غير مجحود وغير منكور ، قال تعالى :

« انى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى » .

آل عمران : ١٩٥

* * *

ثم ينضوى تحت هذه الأدلة أيضا موضوع الاعتداد ، والاحتجاج بالشهادة ، فان شهادة الرجل تعدل شهادة امرأتين لقوله تعالى :

وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ

البقرة : ٢٨٢

راجع الجامع لأحكام القرآن (٣٨٨/٣) وجامع البيان للطبرى ، ومعانى القرآن للفراء ص ١٨٤ الجزء الأول .

والواضح فى الآية الشريفة أن اللجوء لشهادة المرأة ، اذا لم يوجد الرجلان ، ففى حالة وجود الرجلين لا حاجة لشهادة النساء .

والشهادة أمر حيوى له خطورته يتجرد فيه الشاهد من العاطفة فقد تكون واقعة الشهادة لمصلحة خصم الشاهد ، أو ربما كان فيها نفع له على وجه من الوجوه ، من ثم لابد وأن يكون الورع وتقوى الله حائلا دون الضلوع والميل فى أدائها للانتقام والنكاية .

والمؤمنون مأمورون أن يكونوا شهداء بالقسط اذ أن العدل هو الأقرب للتقوى :

قال تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ

النساء : ١٣٥

وقال تعالى « اعدلوا هو أقرب للتقوى » .

المائدة : ٨

وقد جعل الله سبحانه وتعالى العدل أساسا للملك ، وندب عباده بالأمر الواضح الصريح للعدل وجعله أقرب للتقوى ، وتقوى الله تعالى هى أقوى مجن ، وأوقى ظهير .

ان أغيار الزمن ، واختلاف البيئات ، والعصور لا يخرج المرأة عن طبيعتها ، ولا عن فطرتها ، وكل ما يخرجها عن هذا السنن ، أو يحيد بها عنه انما هو أمر فارط لا تقبله الفطر المستقيمة بحال .

* * *

ثم ان تعدد الزوجات لا نرى امراة تقبله ، وان كانت الشرائع القديمة قد ندبت اليه ، وحثت عليه . الا ان الاسلام لم يوجبه ، كذا لم يحرمه ، ولم يجعله ايضا مندوبا ولا مكروها بل سكت عنه .

وما كان شأنه السكوت عنـه من القضايا ، والأحكام كان على الاباحة الأصلية ، لأنه أمر غير مقيد .

وتتوهم المرأة أن التعدد يحجر على حريتها ، بل تراه يشين شخصيتها ، وليس هو كذلك فى الواقع ، بل ان هذا الرأى خطأ فادح يجب أن تتنزه عنه ، وتربأ بنفسها عن الخوض فيه ، لكن ربما كان لها حق ــ فى بعض الأحيان ــ للاعتراض عليه متى كان من غير ضرورة ملحة فى ذلك .

وقد اشـترط القرآن الكريم للتعدد (العدل) قال تعالى :

فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً

النساء : ٣

ثم وعظ الرجال بصعوبة العدل فى مثل هذه الأحوال .

قال تعالى :

« ولن تسـتطيعوا أن تعدلوا بين النسـاء ولو حرصتم » .

النساء : ١٢٩

وقال عز من قائل : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » والصدقات أريد بها المهور ، والنحلة : عن طيب نفس . راجع تفسير الطبرى (٧/٥٥٤).

ننتهى الى أن دعوى المساواة بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات أمر غير طبيعى لأنه مخالف ومعارض لسنن الحق والصواب ، لأن التسوية بين طرفين مختلفين فى التكوين الغريزى، وفى الدوافع والميول ــ وفى كل شىء ينضـوى تحتها ــ أمر مستحيل .

وقد اقترح « ماسلو » تعبيرا عن نظرية التطور التتابعى للدوافع ، وزعم أن هذه الرغبات تنمو من الرغبات الأدنى الى الأعلى واهم هذه الرغبات:

١ ــ الفسيولوجية كالجوع والعطش للحفاظ على الحياة .

٢ ــ الحسية والجنسية لاستبقاء النوع .

٣ ــ الرغبة فى الانتماء والمحبة .

٤ ــ الرغبة فى الاحترام .

٥ ــ الرغبة فى تحقيق الذات .

كما يرى « ماسلو » وأكثر الباحثين فى هـذا المضمار ان الرغبات العليا يتم اشباعها بعد أن تتحقق كل الرغبات الدنيا .

وتتطـور الذات تدريجيـا نتيجة التفاعل الاجتماعى وقد أكدت الباحثة « ميد » أن الذات تنشأ سلوكيا عندما يصبح الفرد هدفا اجتماعيا فى خبرته مع نفسه .

فاذا ما جعلنا تطور الذات وقفا على المخالطة المباشرة للمجتمع فان الفرصة للرجل أكثر وأعمق منها للمرأة فى تحقيق هذه الخاصـية ، فـاذا ما تشبثت المرأة باعطائها فرصـة مماثلة للرجل كهذه كان الاختلاط والفساد هو النتيجة المحتومة التى يشق ويصعب الافلات من عواقبها الوخيمة .

ان الخير كل الخير بل السعادة كل السعادة أن تعود المرأة الى بيتها وتمارس عملها الحقيقى فى ميدان البيت والأسرة ولتعـود الى قواعـدها الأولى لتمارس أعمالها المنوطة بها والتى ألزمها به الشرع والدين فانها باصرارها على خوض معركة العمل خسرت خسرانا باهظا ، وأتعبت نفسها ، وحافت على حقوق بعلها وابنائها فأصبح الاشراف غير الدقيق ، والتربية غير المباشرة للأبناء حافزا للانحراف والتحلل واتباع سـبيل غير المؤمنين ، فسمعنا عن جرائم يقترفها احداث واغرار لم تكن معروفة من قبل .

رسالة علمية

بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية

تؤكد :

- فشلت الشيوعية والليبرالية فى التنمية .
- آلية الصراع الدولى لتطوير السلاح الفتاك .
- التقدم الآلى فى ظل المادية لا هدف له .
- نظريات الواقع الأوروبى لا تصلح للمجتمع الاسلامى .
- العالم الاسلامى تورط فى تقليد الغرب .
- العثمانيون ظلمتهم الافتراءات الأوروبية .
- لا بديل عن الاسلام لتوازن الحضارة .
- شمول الشريعة لا يترك فراغا فى تطوير الحياة .

عرض وتقديم / مجاهد خلف

تصوير : جودة شعبان

الباحث يقدم عرضا لرسالته والباحث يستمع الى ملاحظات لجنة الحكم على الرسالة يتوسطها الدكتور أحمد عبد القادر ، على يمينه الدكتور رؤوف شلبى يناقش الباحث ، وعلى اليسار الدكتور كمال المتوفى

ماذا بعد فشل نظريات التنمية السياسية الغربية فى تحقيق أهدافها التنموية ؟ وماذا كانت النتيجة بعد تخلى معظم الدول الاسلامية عن انتهاج سياسة نابعة من الدين الاسلامى الحنيف والسير فى ركب النظريات الغربية بعد أن زينت لها الدول الأوربية طريق الهلاك بالورود ؟ !!

سؤالان مهمان طرحتهما وأجابت عنهما أخيرا رسالة علمية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة تحت عنوان : « نظريات التنمية السياسية المعاصرة » دراسة مقارنة من منظور اسلامى .

وفى اطار الاجابة عن هذين السؤالين تطرح الرسالة بديلا اسلاميا يعتمد على مفهوم الاستخلاف والعمران البشرى ، ويعد مخرجا مثاليا لدول العالم المختلفة لتنفض عن نفسها ماران عليها من أفكار ونظم بالية .

وليس غريبا أن يأتى طرح هذا الأصيل الاسلامى فى الوقت الذى تفكر فيه الدول الغربية بصورة جدية فى اعادة مقولات نظرياتها لتصحيح مسارها .. وفى الوقت ذاته تتجه معظم الدراسات الدولية الى الاسلام للبحث فى أصوله وتجارب الأمة الاسلامية لايجاد معادل موضوعى تتخذه منهاجا لها لينقذها مما تورطت فيه نتيجة الاعتقاد الخاطىء فى الاتجاهين المتضادين والمتصارعين اللذين حاولا فرض السيطرة على دول العالم لتحقيق الأمن والأمان لها ماركسيا أو ليبراليا .

الرسالة قدمها « نصر محمد أحمد عارف » المعيد بقسم العلوم السياسية ، وناقشها الدكتور الشيخ رؤوف شلبى وكيل الأزهر ، والدكتور كمال المنوفى الأستاذ بالكلية وأشرف عليها الدكتور على أحمد عبد القادر وكيل الكلية .

ما هى الحضارة الأوروبية ؟

وكشفت الرسالة عن مدى استغراق الكتابات العربية فى التنمية السياسية وتبعيتها للنظريات الأوربية الماركسية والليبرالية . حتى أصبح تقليد هذه النظريات والنقل عنها من الأمور المسلمة بحجة مسايرة التطور العلمى وتحقيق التواصل مع التيارات العالمية .. وذلك فى الوقت الذى يقدم فيه النموذج المعرفى الأوربى بدائل متتالية لنظرياته بما يحقق لها نوعا من التجدد الدائم والسعى نحو التطور فى محاولة للتغلب

الباحث يقدم عرضا لرسالته

على الأخطاء السابقة .. وهذا من شأنه أن يجعل غير الأوربى فى ملاحقة مستمرة لما يقدمه العلم الأوربى من بدائل .

ويكشف الباحث النقاب عن زيف الادعاء الأوربى الذى يروج لمقولة أن الانعزال عن التيار الحضارى الأوربى أثناء فترة الحكم العثمانى أدى الى الانقطاع عن التواصل الحضارى مع أوربا مما أدى الى تخلف المجتمعات العربية . !!

ويتساءل الباحث عن ماهية الحضارة الأوربية التى انقطع عنها العالم العربى أثناء الحكم العثمانى ؟ وهل كان هناك فعلا حضارة أوربية ؟ وهل كان هناك تواصل حضارى قبل العثمانيين ؟ واذا كان كذلك فما هى أسباب تخلف الدول التى لم تخضع للحكم العثمانى أمثال المغرب والدول الافريقية غير العربية أو الدول الآسيوية ؟ !!

النموذج الأوربى مقياس خاطىء

وتلقى الرسالة الضوء على مجموعة الملابسات التى تحيط بنظريات التنمية السياسية الغربية والتى تضع العديد من القيود على صلاحيتها للدول غير الأوربية بالاضافة الى ضرورة مراجعتها لاثبات مدى صلاحيتها للدول الأوربية نفسها .. من أهمها :

أن هذه النظريات تمثل فى جوهرها رؤية العالم الأوربى للحركة البشرية المستمدة من خبرته وتجاربه وسباقه التاريخى ، وبالرغم من ذلك تحاول الدول الأوربية اخراجها الى نطاق العالمية ونشرها فى دول العالم المختلفة ، مع أنها تنظر للدول الأخرى برؤيتها هى .. وهى رؤية عليها الكثير من المحاذير العقائدية ، والعنصرية ، والمصلحية ، فضلا عن أنها لا تعبر عن واقع هذه الدول .

كما أن هذه النظريات تتخذ من النمط الأوربى مقياسا للحركة البشرية وترى أنه هو النمط الأمثل والأرقى لحركة المجتمعات ، مع أنه ليس هناك من مبرر أو سند لاتخاذ النمط الأوربى نمطا مثاليا .

ويضيف الباحث : أنها تغفل البعد التاريخى الذى اكتنف نهضة أوروبا والملابسات التى ساهمت وحفزت التطور الأوربى حيث كان المجتمع مفتوحا أمامها واستطاعت استغلاله واستخدامه لدفع عجلة التطور وحل المشاكل الداخلية ، عن طريق استنزاف ثروات وخبرات الدول غير الأوربية لمدة تزيد على القرنين .

كما تغفل هذه النظريات امكانية وجود مسارات للحركة السياسية غير المسار الأوربى أو أنها تعتبرها فى مستوى أدنى منه وترى ضرورة أن تسلك المجتمعات خطا متصاعدا فى التنمية تمثل أوروبا قمته ، وتأتى المجتمعات الأخرى بعد ذلك بحسب قربها وابتعادها عن النموذج الأوربى .

قواعد اللعبة والشرعية المصطنعة

وأوضح الباحث أن النظريات الأوربية على الرغم من قيامها على خلاصة التجربة الأوربية وتعميمها كنسق عالمى يصلح لجميع المجتمعات الا أن غاياتها لم تشهد تطبيقا فعليا فى المجتمعات الأوربية حيث أن : تحقق الديمقراطية السياسية والمشاركة الكاملة وخضوع السلطة السياسية لارادة المجتمع مازالت أملا تنشده كل الدول الأوربية ، فقواعد اللعبة مازالت فى أيدى قلة هى التى تتحكم عن طريق مجموعة من الوسائل التى تحقق لها شرعية مصطنعة ورضاء مزيفا .

كما أن التقدم التكنولوجى المطرد يضعف قدرات المجتمع فى مواجهة الدولة ويضخم من قدرات الاحتكارات الراسمالية ، والذى يملك التكنولوجيا هو النظام السياسى والشركات الكبرى .. بالاضافة الى أن هذا التقدم يعضد من آلية الصراع الدولى وخاصة فى مجال السلاح .

ومن ناحية أخرى لم تصل أى من المجتمعات الأوربية الى مجتمع الوفرة أو الاستهلاك الجماهيرى الوفير ، ولم تصل الماركسية الى مرحلة الشيوعية العلمية ، ومازال الدول الاوربية تشهد ارتفاعا فى معدل البطالة ومازال الاتحاد السوفيتى يستورد القمح ، ولاتزال الطوابير تمتد فى الدول الاشتراكية لاستلام المواد الغذائية !! .

عودة للصواب

الى جانب هذا القصور فى هذه المناهج وفساد الأسس الفلسفية ووجود قضايا مطروحة على الساحة لم يتم احتواؤها أو التعامل معها .. فان الساحة الفكرية العالمية مهيأة فى الوقت الحالى لتقبل وتفهم البديل الاسلامى اذا ما طرح بصورة جادة وذلك فى الاطار الذى يسود العالم الآن باعادة الاهتمام بالدراسات الاسلامية فى مختلف مناحى المعرفة الانسانية .

بالاضافة الى الاتجاه العام لاعادة النظر فى كثير من المقولات والنظريات والنظم سواء فى الشطر الراسمالى فى الفكر الأوربى أو فى الشطر الماركسى .. وفى ظل هذه الحالة من عدم الثبات أو الرسوخ على النسق الأوربى فقد قامت مدرسة التبعية بطرح كثير من مقولات النظريات الأوروبية فى التنمية السياسية .

كما يؤكد الباحث على أن الشريعة الاسلامية بطبيعتها تفرض مجموعة من الدواعى تستلزم ضرورة صياغة منظور اسلامى لحركة الانسان فى الكون .

ويقول : **ان طبيعة الشريعة الاسلامية وشمولها يجعل منها أنموذجا يصبغ الحياة البشرية ويحدد أبعادها ومقاصدها فى كل زمان ومكان** بالاضافة الى أنها منزهة عن كل نقص لأنها موحاة من الله سبحانه وتعالى ، حيث أنها تقدم لكل واقعة حكما صريحا تفصيليا فى الأمور المتصلة بالفطرة الانسانية والتى لا تخضع لتأثير الزمان أو المكان ، وتقدم حكما عاما يضع القواعد والأسس وتترك للعقل البشرى وضع المسالك والتفصيلات فى الأمور ذات الطبيعة المتغيرة .

فضيلة الدكتور رؤوف شلبى يناقش الباحث فى أحد جوانب الرسالة

كما أن الشريعة الاسلامية ترفض اتخاذ أى مصدر لتحديد أبعاد حركة الانسان والمجتمع وضبطها على خلاف ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية .

البديل المرتقب

وقبل أن يطرح الباحث الأسس التى يرتكز عليها المنظور الاسلامى يشير الى الخطأ الذى وقعت فيه النظريات الغربية فى تفسيرها لحركة الانسان والمجتمعات .. وعلى الرغم من أنها جعلت هذه الحركة على حلقات منفصلة تمثل مراحل مختلفة الا أنها لم تحدثنا عما يحدث بعد المرحلة الأخيرة التى تصل اليها المجتمعات ؟ وهل هى آخر مرحلة فى حياة البشر ؟ أم هى مرحلة أبدية ؟ ولماذا ؟ ثم ماذا بعد تحقق الشيوعية ؟ فاذا كانت الطبقة ستزول فى تلك المرحلة من حياة المجتمع فسوف ينقطع عنه المد التطورى وتنطفىء شعلة الحركة الأبدية وتحصل المعجزة التى تشل « الديالكتيك » عن العمل ؟ ! بالاضافة الى أنه ستثور أسئلة عديدة : هل ستتوقف أدوات الانتاج عن التطور ؟ أم ان تطورها لن يترك أثرا على البناء القومى ؟ أم أنه لن يكون هناك بناء فوقى ؟ أو ماذا بعد تحقق التنمية والحداثة ؟ هل ستتوقف حركة المجتمع ؟ أم سيصاب بالركود ؟ !

وازاء هذه التساؤلات وتصور النظريات الغربية فى ايجاد اجابات عنها ، فان المنظور الاسلامى يبين الأسس التى وضعها القرآن الكريم لحركة المجتمعات البشرية ، وهى حركة ليست دائرية وفى نفس الوقت ليست خطية ، وانما هى حركة ذات وجهة معينة مشروطة بالالتزام بمنهج الله وتحقيق عهد الاستخلاف الذى أخذه على الانسان .

وتؤكد هذه النظرة أن تاريخ البشرية وتطورها يسير فى طريق أوله « الله سبحانه وتعالى » الخالق ، وآخره « الله سبحانه وتعالى » المميت ومالك يوم الدين ، وفيما بين هاتين النقطتين هناك خطوات عديدة تمر بها الحضارة الانسانية أو المجتمع المنظم المنتج المستعمر فى الأرض .

المنظور الاسلامى :

يقول الباحث : ان المنظور الاسلامى يقوم على تكامل مصادر التنظير والجمع بين الثابت منها والمتغير .. فى حين تقوم المناهج الغربية على أسس وضعية تنطلق من الواقع لتدرس الواقع وتتحكم فيه وتفتقد عنصر الثبات ، بينما يقوم المنظور الاسلامى على تحقيق التكامل فى التنظير بالربط بين الوحى والواقع .

بالاضافة الى النظرة الشاملة للظاهرة السياسية ، كوحدة معقدة متعددة الأبعاد ، لا تقبل التفتيت أو التجزئة ، وذلك فى سياقها الطبيعى دون اهمال لأحد عناصرها .

وينطلق المنظور الاسلامى من افتراض أن التاريخ وسننه مستبطنة فى ذاكرة الأمة ..

ولا يمكن الحديث عن انفصال بين ماضى الأمة وحاضرها .

كما أنه يعتبر العالم الاسلامى منطقة جغرافية واحدة تسودها الأخوة العالمية المنبثقة من مفهوم الأمة التى تجمعها عقيدة التوحيد . وثروات دوله ليست ملكا لدولة بعينها تحدها بحدود صنعها

البغى الأوربى ، وانما هى ملك لعامة المسلمين فى جميع أطراف الأرض ، فهى ملك لبيت مال المسلمين يستفيد منها جميع المسلمين .

مفاهيم جديدة :

ويطرح الباحث فى مواجهة المفاهيم التى تقدمها وتعتمد عليها نظريات التنمية السياسية الغربية مثل : التحديث والتغريب ، والتقدم ، والأزمة كمفاهيم اطارية لها تحدد مضمون وأبعاد العملية السياسية التى يجب أن تسلكها الدول غير الأوربية للوصول الى مستوى المعيشة الاجتماعية والاقتصادية الذى وصلت اليه الدول الأوربية .

يقول الباحث **ان الاسلام يطرح فى مقابل ذلك مفاهيم اطارية ثلاثة وهى :**

الاستخلاف : ويقوم مفهوم الاستخلاف على عدة مضامين أهمها ملكية الله المطلقة للكون ، وعبودية الانسان المطلقة لله ، ولزومية وجود منهج وضوابط لتحقيق الاستخلاف ، ووجود يوم للمحاسبة والمراجعة ثم الثواب والعقاب .

الاستعمار : وهو طلب العمارة فى الأرض ، وهو جوهر حقيقة الاستخلاف لأن مقصد الشريعة اصلاح وعمارة الأرض .

الابتلاء : فى مقابل مفهوم الأزمة الذى يعبر عن وضع غير مرغوب فيه يسعى النظام السياسى الى تخطيه .

والابتلاء لا يكون وضعا سيئا حيث ينصرف دائما الى الخير والشر وكلاهما من الله ، والابتلاء سنة ملازمة لاستخلاف الانسان فى الأرض . ويتضمن مفهوم الابتلاء بعدا تحذيريا حيث يتوقف على وقوع الفعل البشرى ابتلاء يليه الابتلاء كعقاب الهى . وهو مفهوم عام يحتوى الأزمة ويتجاوزها دون أن يلغيها ويشمل حركة الانسانية . أما الأزمة فهى تعبر عن حالة جزئية مؤقتة تطرأ نتيجة أسباب معينة ينبغى على النظام أن يتخلص منها .

غايات مجتمع الاستخلاف

ويؤكد الباحث على أن غايات مجتمع الاستخلاف تختلف عن غايات النظريات الغربية حيث أنها تستند الى معيار مستقل عن البشر متجاوز لاطار الزمان والمكان ويجعلها تتصف بالكمال والشمول لأنها صادرة عن الله سبحانه وتعالى ، وهى لا تقف بالانسان عند اشباع حاجاته المادية فقط أو الدنيوية ، بل أنها تهدف الى الغاية الكبرى وهى الفوز فى الحياة الآخرة وهى الحياة الحقيقية .

فالغاية الأساسية لمجتمع الاستخلاف هى تحقيق العبودية لله وحده وتحقيق الحياة الطيبة فى الدنيا والفوز بالجنة فى الآخرة .

بالاضافة الى أن هذه الغايات منضبطة منهجيا وواقعيا ولا يثور الخلاف حولها ، كما أنها لا تثير خلافا حولها ولا يمكن الانتهاء منها أو الوصول اليها فى الحياة الدنيا وبالتالى فلا تثير السؤال : وماذا بعد ؟ فهى غايات متجددة دائمة ويراها كل جيل على أنها خاصة به .

هذا علاوة على أنها تنصرف الى تعمير الكون بتحقيق مثاليات واقعية شهدها الواقع التاريخى وليست مثاليات خيالية ، وتقوم على العدل الذى يحقق التوازن البيئى . وتتعامل مع الفرد والأمة دون أن تذيب الفرد فى اطار المجموع .

مؤسسات الدولة :

وليحقق هذا المجتمع غاياته يرى الباحث ضرورة وجود مؤسسات للحفاظ عليها ومن أهمها :

مؤسسة الحسبة : لتحقيق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر باعتباره آلية ضابطة لحركة وايقاع المجتمع الاسلامى من الداخل ووسيلة تنظيمية للحفاظ على استمرارية المنهج الاسلامى مطبقا فى المجتمع ورد كل شاردة اليه ، حتى لا يركن الانسان الى الدنيا أو يبتعد بأى صورة عن طريق عبادة الله .

مؤسسة الوقف : وهى بمثابة مصدر الحيوية والفاعلية للمجتمع الاسلامى ، وكان لها دور كبير فى الحفاظ على كثير من الوظائف بعيدة عن تأثير السلطان .

مؤسسة الجهاد : وذلك للحفاظ على غايات المجتمع الاسلامى وتقويم النفس والمال من أجل الحفاظ على العقيدة ونشرها .

ويؤكد الباحث على ضرورة أن تكون الوسائل التنظيمية والمؤسسات لمجتمع الاستخلاف نابعة

من طبيعته ومستقلة تماما عن نمط التطور الأوربى سواء كانت هذه المؤسسات سياسية أو اقتصادية أو ثقافية ، أو تكنولوجية .

ويشير الباحث الى أن هذا يشكل صعوبة ما أمام مجتمع الاستخلاف اذ أن تطور المجتمع الأوربى تم فى ظل بيئة دولية لا ينافسه فيها أحد ولا يؤثر على مجتمعه مؤثر خارجي .

أما الآن فان الوضع الدولى المعاصر يلقى بظلاله على ادق الشئون الداخلية للدول غير الأوربية مما يؤدى الى طرح كثير من التساؤلات حول نقطة البداية هل نبدأ من حيث انتهت أوربا ؟ هل الوسائل التى طرحتها غير مناسبة بالمرة ؟ هل نستطيع تطوير وسائلنا بصورة مستقلة ؟ **وما حجم التأثير الدولى على مجتمعنا ؟ وما مساحة التفاعل الحضارى ؟ وهل نستطيع النقل دون التأثير على معتقداتنا ومسلماتنا وغاياتنا ؟ وهل يجوز النقل شرعا عن غير المسلمين ؟ ! !**

وبعد مناقشة استمرت أكثر من ثلاث ساعات قررت اللجنة منح الباحث درجة الماجستير فى العلوم السياسية بتقدير ممتاز .

● من مناقشة وكيل الأزهر

● الدكتور رؤوف شلبى أشار بدقة الباحث عند عرضه لوجهة نظر الاسلام حيث لم يتأثر بآراء أى فرقة من الفرق : الشيعة ، أو الخوارج ، أو الأشاعرة ، أو المعتزلة .. ولم يتبن مفهوما واحدا لأى منها .

● كما أشار بأمانته فى عرضه للنظرية الماركسية وبيان سلبياتها وايجابياتها .. بحيث لم تشوه عاطفته الاسلامية .

● تعمد د. رؤوف شلبى تتبع المراجع والمصادر التى اعتمد عليها الباحث للتأكد من أنه استخدمها استخداما حقيقيا . حيث زاد عددها على ٤٥٠ مرجعا .. مع أن حجم الرسالة لم يتجاوز ٣٥٠ صفحة ، ولم يجد بدا من أن يوجه الى الباحث التحية على دقته فى استخدام المراجع بصورة صحيحة .

● أنهى الدكتور رؤوف شلبى مناقشته للباحث بقوله :

هذه الرسالة فيها اخلاص كبير ، ورؤية اسلامية صحيحة . وهذا الباحث اهنىء به الكلية والأستاذ المشرف .

● جورباتشوف أثبت

فشل النظرية الماركسية

أوضح الدكتور رؤوف شلبى أن ما فعله جورباتشوف الزعيم السوفيتى فى البريستوريكا مؤخرا هو أكبر دليل على فشل النظرية الماركسية .

لأن النظرية لها اطار لا يصح الخروج عليه واذا ما تم الخروج فسدت النظرية ، وما فعله جورباتشوف هو خروج على النظرية .

● مفهوم اسلامى جديد للحضارة

طرح الباحث فى رسالته مفهوما جديدا لمعنى كلمة الحضارة وقدم لها تفسيرا يتفق والمنظور الاسلامى لهذه الكلمة ويختلف تماما عن المفهوم الشائع للحضارة فى الاسم والذى ينصرف الى دراسة الخبرة التاريخية التى مرت بها الأمة الاسلامية وانجازاتها المادية والثقافية والذى يسير وفق المفهوم الأوربى لها .

نص التعريف يقول : الحضارة مشتقة من كلمة « حضر » بمعنى الحضور ، وهى نقيض المغيب والغيبة ، وحضر يحضر حضورا وحضارة (بفتح الحاء وكسرها) وتعنى الحضور الدائم والمتجدد .

ويرد هذا اللفظ مرادفا للفظ « شهد » فى القرآن الكريم لقوله تعالى :

« فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .

أى حضر مجىء الشهر وشاهده .

ويؤدى لفظ الشهادة فى القرآن دلالات اربع تتكامل فيما بينها وتتحدد لتؤدى معنى الحضارة أو الشهادة فى الفهم الاسلامى ، وهذه المعانى لا يمكن تجزئتها والا فقدت مضمونها ومعناها ، وأى واحد منها يمثل جزءا من البناء المفهوم للحضارة ، ومن ثم لا يمكن القول بأن توافر بعضها دون الآخر يؤدى نفس مضمون الحضارة بل لابد من توافرها جميعا فى منظومة أو نسق واحد حتى تعطى المفهوم بكل معانيه :

١ ـ فالشهادة : بمعنى التوحيد والاقرار بالعبودية لله والاعتراف بتفرده بالألوهية والربوبية .

٢ ــ والشهادة : قول الحق وسلوك طريق العدل .

٣ ــ والشهادة : بمعنى التضحية والفداء (ومجالها : الجهاد) .

٤ ــ والشهادة : كوظيفة لهذه الأمة .

وطبقا لهذا فان الحضارة هى الحضور والشهادة بجميع معانيها .

علق الدكتور كمال المنوفى على هذا التعريف أثناء المناقشة قائلا : ان هذا اجتهاد يستحق وحده الثناء والتقدير !! .

• انه ولد جاهز •

مباراة قوية اتسمت بالقوة والندية دارت بين الباحث والدكتور كمال المنوفى أثناء محاولة الأخير اثبات بعض الهفوات رآها فى البحث ، وبخاصة عند التعليق على رفض المنظور الاسلامى لبعض الوسائل فى النظريات الغربية .

الا أنه فوجىء برد حاسم وقاطع من الباحث عليها .

وأمامها لم يستطع الا أن يضحك .

ويعلق الدكتور رؤوف شلبى قائلا لزميله المناقش : لا تحاول معه ، انه ولد جاهز !!

• ردود مقنعة •

كانت اجابات الباحث قوية وشديدة الوضوح على استدراكات لجنة المناقشة ، وكان الباحث مقنعا فى رده على تساؤلات اللجنة .. ولم يترك لها مجالا لتعقيب سوى القول : الله يفتح عليك يا ابنى !!

• علاقة الحق بالمصلحة •

فى ظل غياب استخدام المعيار الالهى تخضع الأمور للنسبية المطلقة ، ويرى كل انسان وكل مجتمع الحق قياسا على مصلحته ويضيع معنى المصلحة المقرونة بالحق .

فالتخريب والبغى واستنزاف موارد الشعوب سمى عند مفكرى أوربا استعماراً بما يعنيه اللفظ من دلالات التعمير ومعانى تقديم الخير لهذه الشعوب وكذلك سميت المذابح التى ارتكبها الأوربى كشوفا جغرافية ، واكتشافا للعالم الجديد !! .

هكذا قال الباحث فى رسالته .

• تعدد .. وتعدد •

ان التعدد الذى يطرحه الأصيل الاسلامى البديل محكوم بقواعد كلية وتجمع بينه روابط معينة ، بحيث لا يصل هذا التعدد الى التناقض أو يفضى الى الفوضى كما هو الحال فى النظريات الغربية ، وانما هو محكوم بأصول ومبررات تستوجبه فى ضوء مصلحة العباد .

هذه العبارة من صفحات الرسالة .

• سجدة شكر •
بعد اعلان الحكم

بمجرد أن أعلن الدكتور على عبد القادر الحكم على الرسالة بالامتياز .. خر الباحث على الأرض ساجدا لله سجدة شكر .. على توفيقه وتحقيق أمنيته .

• العكس هو الصحيح •

الدكتور على عبد القادر المشرف على الرسالة وجه عتابا للباحث بصفة خاصة وللباحثين بصفة عامة لأنهم عند الحديث عن الاسلام يضعونه موضع الاتهام ثم يبدأون الدفاع عنه .. مع أن العكس هو الصحيح .

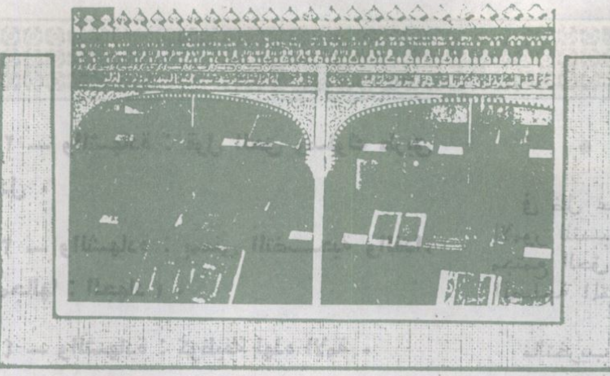

من المكتبة الاسلامية

الإسراء والمعراج والعلم الحديث

تأليف محمد أمين جبر
عرض وتقديم نزار قنديل

ليس لمناسبة شهر الاسراء والمعراج نحتفى بهذا الكتاب ، فهو يستخدم منهجا جديدا فى الدفاع عن المعجزة التى كان لها دور التسرية عن النبى ﷺ وسط أزمات شديدة أحاطت به وبرسالته ، حتى شكا إلى ربه شكاة ستظل مصباحا لمن تحيط بهم المشكلات ويلتمسون الطريق للخروج منها . . وقد تكون هذه المقدمة مفيدة ونحن نعرض الكتاب ، ولكن الفائدة ستكون أكثر حينما نعيش مع الكتاب ذاته . .

إن القرآن العظيم وإن لم يكن كتابا للنظريات العلمية إلا أن الوحدة للحق التى يعبر عنها بيانا وخَلْقا هى من أخص خصائصه الاعجازية : **(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) ٥٣ فصلت** .

وبهذه السمة للقرآن يكون النتاج الفكرى للانسان تابعا بالضرورة للحق الكامل المكتمل فيه ، بحيث يكون هذا النتاج عاملا مفسرا للحقائق القرآنية ولكن ليس حكما عليها ، لأن النتاج الفكرى دائم التغير ، حتى ولو كان فى زيادة مترقية ، ولعل هذا هو المعنى الذى قصد إليه القرآن الكريم فى تقريره : **(وفوق كل ذى علم عليم)** .

ويزيد المؤلف فى التأكيد على أن الحديث فى الاسراء والمعراج ليس حديثا سهلا ، إذ لابد من الاستناد إلى تقدير واع بمحدودية المعرفة والفهم الحق لقدر الألوهية .

ويؤكد على أن فهم آيات الاسراء والمعراج أمر غير عسير فيقول : إن الآيات تتجلى ويمكن رؤيتها فى الكون الخارجى والكون الداخلى الذى يشمل النفس والعقل كما يقرر القرآن ، فإذا كانت هذه الآيات متاحا رؤيتها للانسان نتيجة ترقيه العلمى المستمر فإنه لا يكون غريبا أن يستطيع المختار ـ من دون النوع الانسانى كله ـ رؤية نفس الآيات ، بل إن رؤية هذا الانسان المختار يمكن أن تتجاوز هذه الآيات التى يمكن أن يراها الانسان العادى إلى آيات أكبر فى القدر لأنه اختير من دون الناس أجمعين للتبليغ عن الله بالقرآن ، كما اختير للتحقيق بالشهود فيما رأى فى الاسراء والمعراج من آيات ربه الكبرى ، وبما تحتمله هذه الرؤية من معنيين كليهما من خصوصيات ذلك الاختيار :

فهو أولا : رأى العديد من آيات الله الكبرى

وثانيا : رأى أكبر الآيات على الاطلاق . .

الفيزياء والمعراج

ويستنتج المؤلف من ذلك أن هذه الآيات تقودنا إلى القول بعدم انطباق أو سريان القوانين الفيزيائية المعروفة للانسان المعاصر على واقعة المعراج . .

ويستمر من خلال أول فصول الكتاب فى التأكيد على أن قدرة الله غير محدودة ، وأن علمنا بهذه القدرة هو المحدود ، وأن مطلع سورة الاسراء يوحى بذلك ، فهو ينزه الذى أسرى بعبده عن كل نقص ، وهو الأمر الذى يضفى على الواقعة طابعا من الاعجاز فى الحادثة والتقدير للعبد الذى أسرى به وهو النبى محمد ﷺ .

تتضح قدرة المؤلف وتمكنه من الموضوع فى حديثه عن سر الكلمة الإلهية ، ويتأكد للقارىء إلمام المؤلف بشىء كثير من علوم المنطق والفلسفة ، والفيزياء إلى جانب سلاحه الأساسى وهو الإلمام الكبير بتفسير آيات القرآن الكريم ، فيقول : إن الكلمة الكونية المخلوقة لا تفنى ولا تستحدث كما نعلم من قانون بقاء الطاقة ، وذلك بعد إيجادها الأول من العدم بفعل واجب الوجود لذاته ، ولكنها تتجدد وتتغير صورها بمفهوم « الخلق الجديد » الذى أشار إليه القرآن فى تقديره (**بل هم فى لبس من خلق جديد**) ق ـ ١٥ .

ويمضى فى تفسير ذلك فيذكر أن الكلمة القرآنية صفة قديمة من صفات الذات الإلهية ، وهى لا تتجدد فى ذاتها وإنما يمكن أن تتجدد فى معناها وتأويلها إلى المستوى الذى يدركه الراسخون فى العلم ، وكما يتجدد الخلق الموجود فإن الشئون تتجدد هى الأخرى ، والمعرفة تتجدد وتتغير ، والكون يتجدد ويتغير ؛ ولكن ليس إلى الدرجة التى تماثل إحاطة العلم الإلهى اللانهائى ، لأن عملية الخلق والايجاد والتصوير مستمرة بقدرة الله سبحانه وتعالى ولا تنتهى ، وهو المعنى المقصود للنصين القرآنيين : (**قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا**) : **الكهف ـ ١٠٩** و (**ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله**) **لقمان** ٢٧ .

القرآن والذرة

يتناول المؤلف جانبا آخر من العلوم الكونية الحديثة التى نستطيع أن نقول إنها من العوامل المفسرة للحقائق القرآنية وهو : جانب العلوم الذرية الذى تناوله القرآن فى آياته وذلك فى قوله سبحانه : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) الزلزله ٧ ـ ٨ .

وواضح من السياق القرآنى أنه يستعمل فكرة « الوزن الذرى » وهى فكرة لم تتجدد بتفصيل دقيق إلا فى القرن العشرين .

بل إن السياق القرآنى يشير إلى حقيقة مهمة تتصل بالتركيب الذرى ذاته ؛ فالذرة على الرغم من استعمالها كمقياس للوزن توزن فى إطاره الأعمال الانسانية يوم القيامة ـ ليست أصغر الموجودات على الاطلاق ، لكن لها مكونات داخلها أصغر منها ، وهى الحقيقة التى أشار إليها القرآن فى قوله سبحانه وتعالى : (**لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين**) .

الزمان . . وأهل الكهف

يخصص المؤلف الفصل الثانى من الكتاب فى الزمان ؛ ذلك لأن فهمه ـ فى رأى ـ يسهل كثيرا فى استيعاب هذا الحدث الخارق ويقربه أكثر إلى الأذهان والعقول ، ويقرر أن حادثة الاسراء والمعراج لم تستغرق إلا لحظات من الزمان لا يمكن مع ذلك تحديدها بالضبط بأى أسلوب من أساليب القياس الزمنى المعروفة ؛ لأن الحادثة انفرد بها الرسول ﷺ ، وهى شخصية بحتة تتصل به عليه الصلاة والسلام .

ويستخدم المؤلف قصة أهل الكهف كما وردت فى القرآن الكريم حيث ورد بها إشارات إلى حقائق تتصل أساسا بفكرة الزمان ومفهومه فى الصلة بالمكان ويقسم هذه الاشارات إلى ثمانية هى :

أولا : المكان (الكهف) ويتمثل فى العزلة الكاملة بكل المقاييس المكانية والزمانية .

ثانيا : الزمان ويتمثل فى عدد السنين التى لبثها الفتية فى الكهف .

ثالثا : العلاقة بين الزمان والمكان وإمكانية اختلاف المقاييس الزمانية (**ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا**) .

سورة الكهف ٢٥

رابعا : الحالة وتتمثل فى شكل الفتية وصورتهم قبل وأثناء وبعد البعث .

خامسا : الحركة ، وتتمثل فى تقلب الفتية أثناء الرقود .

سادسا : الحركة بالنسبة إلى مراقب يقيس من مكان معين فى صلة بعدد السنين والحساب فى العلاقة بالمجموعة الشمسية (**وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال**) .

سورة الكهف ١٧

سابعا : حساب التوقيت بعدد مرات طلوع الشمس وغروبها والاختلاف الزمنى فى الحساب من خلال الرصد لعدد مرات هذا الطلوع والغروب .

ثامنا : تعطل الحواس تماما (**فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا**) .

سورة الكهف ١١

ويوضح أن الاحساس بالزمان يتأثر بالحالة النفسية للانسان ، فالزمان وقياسه متصل بالحواس التى يمكنها بالعقل أن تقيس وتعد وتحصى وتتصور فى إطار الماضى والحاضر والمستقبل ،

ومن هنا فإن العقل العامل فى وعيه خارج الحواس ، وهو الوعى النابع من قدرات الروح - يمكنه أن يتخطى حجاب وحدود الزمان .

ولما كان الاحساس فى اليقظة غيره فى النوم ، وغيره فى الموت ، فإن حساب أو قياس الزمان والشعور بالمكان يختلفان بحسب هذه الحالات الثلاث ، وكما تتغير مقاييس الزمان بين المادة والطاقة فى العالم الطبيعى المحسوس ، فإن هذه المقاييس تختلف أيضا بين الجسد والروح .

ومسألة الاسراء والمعراج تتصل بمسألة الزمان ومعضلته لأن فيه عروجا إلى حضرة الألوهية ، والله سبحانه وتعالى منزه عن الزمان والمكان ، واتصال الروح بالجسد الانسانى فى اليقظة ، وبما يتولد عن العقل يجعل للانسان إحساسا معينا بالزمان فى الماضى والحاضر والمستقبل ، ولكن حساب الزمان بالنسبة للانسان فى اتصال روحه بجسده أثناء النوم يتخذ أبعادا أخرى غير أبعاد اليقظة .

وقد أحال المؤلف القراء إلى ما ذكره العالم الجليل فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى الذى يعتبره - ونحن نؤيده تماما - خير من تحدث فى هذه النقطة .

الثقب الأسود

أطلق علماء الفيزياء الفلكية اسم « الثقب الأسود » على ظاهرة كونية فريدة ، وانصب اهتمامهم بصفة خاصة على دراسة ما يحدث داخل « الثقب الأسود » فيما أسموه بظاهرة « المفردة » وهى عبارة عن اختفاء نجم من الكون الطبيعى وتحوله إلى « لا شىء » ، ويقول العلماء إنه يبدو أن هذه الظاهرة هى منتهى ما يمكن أن نصل إليه من معلومات ، وهى منتهى الفضاء والزمان ؛ أما ما هو موجود بعد ذلك فإننا لا نعلم عنه شيئا .

وبعد أن يعرض المؤلف لهذه الظاهرة يخلص إلى ستة حقائق مهمة هى :

أولا : إن قوانين الفيزياء عاجزة عن تفسير العديد من الظواهر الكونية ، وبالتالى فمنظورها ليس مطلقا أو نهائيا .

ثانيا : الزمان والمكان فى الكون الطبيعى نسبيان ، ومن ثم يمكن تصور حالة من الوجود الواعى تتجاوز قياساتنا لهما من خلال منظورنا الطبيعى البحت .

ثالثا : هذه الحالة يمكن أن تعيشها الروح الانسانية السامية وهى ما يطلق عليه المؤلف تعبير « الزمان الروحى » .

رابعا : المعراج حدث روحى ، ومن ثم يخضع للقوانين التى تحكم عالم الروح ، وتكون الرؤية فيها مختلفة عن الرؤية العادية .

خامسا : الطاقة الروحية تعلو على الطاقة الكونية المعروفة لنا ، وبالتالى يمكن أن ترى مالا نرى وتفهم مالا نفهم وتعلم مالا نعلم . .

سادسا : إمكان خلق « شىء » من « لا شىء » ، وإمكان تحول « شىء » إلى « لا شىء » .

الروح . . من أمر ربى

وقد ظل الخلاف فى معجزة الاسراء والمعراج محصورا فى كونها حدثت بالجسد والروح معا أم بالجسد فقط ، ولذلك فلابد من بيان شىء عن الروح مما تيسر علمه عنها ، أما الجسد فقد عرف الشىء الكثير عنه .

وعلى ذلك فقد خصص المؤلف الفصل الثالث من الكتاب للروح التى سيظل علمها عند ربى سبحانه وتعالى ، وذكر أن الامام ابن قيم الجوزية فسرها على عدة أوجه منها : أنها الوحى ، ومنها : القوة والثبات التى يؤيد بها الله من يشاء من عباده ، ومنها : روح القدس .

ويقول إن ابن قيم من الذين يقولون بخلق الروح وليس بقدمها ، ويشير إلى من يريد التوسع فى مناقشة هذه الأمور يستطيع أن يرجع إلى كتابه الذى أسماه « الروح » .

وينتقل إلى الحديث عن الروح الأمين أو روح القدس أو جبريل وهو الواسطة الواحد الدائم بين الله تبارك وتعالى وبين رسله . .

ويقول المؤلف : إن جبريل قد بلغ مقاما من العروج أى الارتقاء فى القوة والطاقة مقدارا هو بمستوى الأفق المبين ، أو الأفق الأعلى ، أو سدرة المنتهى ، ويكون الرسول ﷺ فى معراجه قد تحقق بهذا المقام بلوغا حيث تروى كتب الحديث أنه رأى الروح الأمين - جبريل - على صورته الحقيقية . .

ويستدل المؤلف على إمكانية تحول الطاقة الروحية إلى جسد بما أكده علم الفيزياء من إمكانية تحول المادة إلى طاقة والعكس . .

ويضيف : إن « ويلدر بنفيلد » وهو من أعظم علماء جراحة المخ بأمريكا يقول : إن الاتصالات المباشرة تتحقق أحيانا بين عقول بعض الأفراد وبعضهم بما يمكن أن نطلق عليه العقل الإلهى ، ومن الواضح إذن أن مصدرا للطاقة من الخارج يمكن أن يصل إلى عقل إنسان معين ، وفى هذه الحالة فإنه يكون من المعقول جدا له أن يأمل أنه بعد الموت يمكن للعقل أن يصحو ويتصل بمصدر آخر للطاقة . .

يقول المؤلف تعقيبا على ما قاله العالم الأمريكى :

إنه مما لا يمكن إثبات عكسه أن

هناك نوعا من الطاقة غير معروف للانسان حاليا فى حدود علمه المعاصر ، تمد العقل للقيام بوظيفته ، ويكون المخ هو الجهاز الوسيط فى البشر لأداء العقل لهذه المهمة ، وعندما يموت الجسد ويتحلل الجهاز الوسيط فإن العقل يبقى فى صورة ما يمكن أن نسميه « روح » كما فى حياة البرزخ التى أشار إليها القرآن الكريم فى قوله : « ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون » .

بعد حديث المؤلف فى الفصول الثلاثة الأولى من الكتاب عن الله والكون ، والزمان ، والروح ، يتحدث عن الاسراء والمعراج .

ويستعين بما ذكره المرحوم الأستاذ سيد قطب فى تفسيره « فى ظلال القرآن » من أن رؤية الرسول ﷺ للروح الأمين جبريل كان على صورته النورية ، وهى صورته الشمولية الحقيقية ، وأن الموقف كله كان غيبا من غيب الله ، اطلع عليه عبده المصطفى ولم يرد إلينا عنه إلا هذا ، وكله أمر فوق طاقتنا أن ندرك كيفيته ، فلا يدركها الانسان إلا بمشيئة من خالقه وخالق الملائكة ، والعليم بخصائص الانسان والملائكة .

رؤية عينية

ويؤكد المؤلف على أن رؤية الاسراء والمعراج رؤية عينية فى صحو ووعى كامل وتؤكدها تقريرات القرآن التالية :

أولا : « ولقد رآه نزلة أخرى » .

ثانيا : « ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى » .

ثالثا : « ولقد رآه فى الأفق المبين وما هو على الغيب بضنين » .

رابعا : « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » وهى رؤية لجبريل فى المرات الثلاث الأولى ، ورؤية لكبرى آيات الله فى المرة الرابعة .

وتكون مشاهدة الرسول للأنبياء والرسل فى السماوات السبع كما جاء فى الأحاديث المروية عن النبى ﷺ مقصود به اتصال روحه بأرواح هؤلاء الأنبياء والرسل فى مقاماتهم المتباينة ، أى سماواتهم المتباينة . .

ويختلف الاسراء والمعراج فى أمرين :

الأول : أن الاسراء فيه تحديد للمكان أو للمسافة وفيه تحديد للزمان إذا اعتبرنا الليل فترة زمنية .

والثانى : أن المعراج ليس فيه تحديد لا للمكان ولا للزمان ، وإنما هو وصف لحالة ، فيه تجاوز لحدود الزمان والمكان بمقاييسها الفيزيقية إلى المقاييس الروحية .

ويناقش المؤلف بعد ذلك الآراء المختلفة حول حدوث المعجزة بالجسد والروح معا أم بالجسد فقط ويعرض للرأيين وحجج المؤيدين لكل منهما ، ثم يدلى برأيه فى الموضوع :

ومهما يكن نصيب المؤلف فى اجتهاداته حول قضية الروح والجسد فى الاسراء والمعراج ، فإننا لا نقف معه فى قوله إن الاسراء كان بالروح والجسد معا ، لكن المعراج بالروح فقط ، لا نستطيع أن نؤيده فيه لأن المسألة من بدايتها إلى نهايتها معجزة ، والمعجزة تتخطى كل شىء مألوف لدى الناس إلى غير المألوف ، وما دام قد اعترف فى كتابه بأنه ليس على قدرة الله مستحيل ، ولا نلتمس له العذر فى رأيه حين يقرر بأن الله سبحانه وتعالى منزه عن الزمان والمكان ، والاتصال هنا فى المعراج يجعل للانسان إحساسا بالزمان والمكان فى الماضى والحاضر والمستقبل ، لأن الموضوع كما قلنا معجزة والمعجزة أمر خارق للعادة ، ولقد اصطفى الله رسوله لهذه المعجزة الفريدة فى نوعها ، فهو يخرق له كل نواميس الاتصال من زمان ومكان .

* * *

لكن هذا الخلاف لا يؤثر فى القيمة العلمية الكبيرة لهذا الكتاب الجليل الذى يجدر بكل مسلم يتأمل هذه المعجزة أن يقرأه بعناية كاملة وأن يضعه فى مكان بارز من رفوف مكتبته . .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((ما من مسلم يرجو الله ويخافه الا أعطاه ما يرجوه ، وأمنه مما يخافه)) .

صدق رسول الله

رفع الإصر عن قضاة مصر ..

لشيخ الإسلام احمد بن على بن حجر العسقلانى

يعرضه الدكتور حامد عبد المجيد
عضو لجنة إحياء التراث الاسلامى بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية

رفع الاصر عن قضاة مصر أحد مصنفات كثيرة بلغت مائة وخمسين كتابا هى آثار العالم الجليل أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، ولا تزال رغبة الآمل ، ومنهل الباحث فى الدراسات الاسلامية .

وكان هذا الامام العظيم رأس العلماء فى عصره ، ومن أظهر من يفخر بهم تاريخ مصر ، وقد وهبه الله خير ما يوهب فى الحياة ، بسطة فى العلم وسعة فى الرزق، وسلامة فى البدن ، وطولا فى العمر ، وتفقها فى الدين وعلوا فى المكانة . فقد عاش ثمانين عاما قضاها فى طلب العلم وتحصيله وتنوعت مباركة محمودة بين التاليف والتدريس والافتاء ورئاسة القضاء .

ولى هذا الامام العظيم منصب القضاء فى المحرم من سنة ٨٢٧هـ اى عندما بلغ الخامسة والخمسين من عمره ، وطالما سعى منصب القضاء اليه ، وعرضه السلطان عليه ، فكان يمتنع دائما عن قبوله ويصر على الامتناع .

ولقد كان حقا على هذا القاضى الكبير ، بل كان أهلا وجديرا وهو العالم بالتاريخ وأخبار الرجال أن يكون لرجال القضاء بين تآليفه مصنف ، فقد وقع نظره على رجز فى ذكر من ولى القضاء بالديار المصرية من نظم الأديب شمس الدين ابن دانيال ، كان قد نظمه لقاضى القضاة ابن جماعة ، ثم سئل ابن حجر أن يترجم لمن تضمنه هذا الرجز ، فكان عند رجاء سائله . فأجابه الى ما طلب ، وكتب له ما رغب ، فترجم لقضاة مصر وأرخ لهم واحدا اثر واحد ، وفق تعاقبهم فى ولاية القضاء وصرفهم عنها ، مراعيا فى ذلك التسلسل الزمنى والترابط التاريخى .

غير أن الذى حدث ــ ولعل ذلك فى أخريات

حياته — أن أحد تلاميذه وهو العز الحنبلى — وكان شيخ هذا المذهب — قد استعار « رفع الاصر » وكان لا يزال مسودة مرتبا على السنين ، فكتبه وبيضه ورتبه ترتيبا آخر على الحروف على نحو ما يعمل فى الموسوعات وكتب التراجم . واتفق نظر المؤلف للكتاب على هذا النحو من الترتيب ، فلم يبد عليه اعتراضا ، وكان هـذا سببا فى جعله على الحروف .

وقد اعتمد المؤلف « ابن حجر » على مصادر شتى ، منها فتوح البلدان لابن عبد الحكم ، والقضاة للكندى ، وتاريخ ابن زولاق ، وتاريخ ابن ميسر . وأخبار مصر للقطب الحلبى ، وما كتبه صديقه المقريزى عن بعض العلماء .

وترجع أهمية رفع الاصر عن قضاة مصر الى امور كثيرة منها :

أولا : أن مؤلفه من أظهر من أنجبتهم مصر من العلماء ، وخير من مثل رياسة القضاء ، وهو الى جانب تبحـره فى الحديث والفقه والدراسات الاسلامية ، مؤرخ نابه ، له عناية بالتاريخ ومعرفة الرجال . وحسبه فى ذلك كتابه الاصابة فى تمييز الصحابة ، وتهذيب التهذيب ، والدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، وحسبه ايضا كتابه الانباء الذى جعله تاريخا لأبناء عمره وأحوال عصره .

فاذا أرخ هذا العالم الجليل للقضاء فى مصر ، فانما هو تاريخ العالم العارف والقاضى العادل . وليس عجيبا أن يجىء الكتاب صفحات واضحات عن العصـور التاريخية للقضاء فى مصر من جهة ، وصورا لمن يتحدث عنهم من القضاة من جهة ثانية . انهـا صفحات واضـحات المعالم ، بينة الجوانب ، دبجتها يد قاضى نزيه أمين ، يصدر فيما يكتب عمـا يمليه عليه الضمير ، ويقتضيه الحق والعدل وأمانة التاريخ .

ثانيا : واذا قيس هـذا الكتاب بغيره من الكتب التى عنيت بتراجم القضاة ، عد أوفاها وأشملها ، وأطولها زمنا ، باعتبار مكانة **مؤلفه** ومرتبته فى العلم ، وباعتبار تأخر عصره **عما** سبقه من العصور .

ذلك أن تتبع هؤلاء القضاة منذ نشأة القضاء فى مصر بعد الفتح الاسلامى ، ومضى يؤرخ لهم طوال العصور الى سنة ٨٥٢هـ وهى السنة التى صمت فيها قلمه عن الكتابة .

واذا كان المؤلف قد اعتمد على مصادر شتى فى تاريخه ، فالذى لا شك فيه أن هناك حقبة طويلة تبلغ ثمانين عاما هى حياته وهى عصره الذى عاش فيه . وقد أرخ لقضاة هذا العصر بنفسه فى تفصيل واسهاب .

ثالثا : والكتاب بما يحفل به من الموضوعات والمسائل ، وما يتضـمنه من الآراء والقضايا الفقهية والأحكام يعد سـجلا هاما فى تاريخنا القومى بوجه عام ، وتاريخ القضاء بوجه خاص . تظهر فيه أعمال هؤلاء القضاة واحكامهم وسيرهم وآثارهم فى النظام القضائى ، وتطور هذا النظام على مـدى الأجيال ومر الحقب .

حسب القارىء أن يتصـفح الكتاب ، وهو واجد فى كل صـفحة مادة خصـبة ممتعة .

فالقاضى سليم بن عتر — كما يقول — أول قاض دون الأحكام بمصر ، وأول قاض نظر فى الخراج .

والقاضى ابن أبى العوام أول من نقل دواوين الحكم الى الجامع ، وكانت تودع عند القاضى . فاذا عزل أعطيت للذى يليه . فاتخذ هو مقرها فى بيت المال بالجامع .

والقاضى توبة بن نمر كان يقضى بالشاهد واليمين فى الشىء اليسير . وهو أول من وضع للأحباس (الأوقاف) ديوانا عظيما . وانما كانت الأوقاف فى أيدى أهلها وأوصيائهم .

ومما يمتاز به كتاب رفع الاصر أيضا اثراء المادة ، وتنوع الأوصاف ودقتها . ومن أجمل الصور وأكثرها اشراقا ، أوصافه للقضاة المصلحين البارزين .

من ذلك ما يصف به القاضى برهان الدين السعدى فيقول عنه (كان مهيبا صارما ، نزها عفيفا ، نافذ الكلمة ، عظيم الحرمة ، مصمما على انفاذ الحكم لا يقبل رسالة ولا شفاعة . بل يصدع بالحق ، ولا يقضى على باطل أصلا ، ولا يولى الا مستحقا .

والقاضى ابن الاسكندرانى المالكى : (أقام دهرا طاهر اللسان ، لم ينل أحدا بمكروه . وكانت أيامه كالعافية ، الى أن يقول : وفى الجملة كان هو والقاضى ابن خير من محاسن الوجود .

والقاضى برهان الدين بن جماعة (كان خطيبا بليغا ، حسن الصوت ، عفيفا جليلا ، جميل المحيا ، زائد الوقار ، كثير الافضال عالى الهمة، جوادا ممدحا . وقد كان مفخرا تتجمل به الدولة ، وتتبرك به الملوك .

رابعا : والكتاب بعد هذا كله يلقى ضياء على الحياة الاجتماعية فى مصر طوال هذه القرون ، ويصور جوانب مختلفة من حياتها العامة ، وذلك بما يذكر من الوقائع التاريخية ، وما يوضح من الحقائق ، وما يسرد من الأخبار النادرة التى تتصل اتصالا وثيقا بالتاريخ الاسلامى ، بحيث يحس القارىء وكأنه ساير هذه العصور الطويلة، وعاش فى تلك الحقب كلها ، وشاهد ما كان فيها جميعا . والله الموفق

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« رجب شهر الله ، وشعبان شهرى ورمضان شهر أمتى »

صدق رسول الله

وسيلة الإسلام بالنبى

(عليه الصلاة والسلام)

لابن قنفذ القسنطيني المتوفى سنة ٨١٠هـ

عرض : صلاح أحمد الطُنوبى
بوزارة التربية والتعليم

● التَّعريفُ بالمؤلِّفِ :

أبو العباس أحمد بن الخطيب الشَّهير بابن قنفذ القسنطينى المتوفى سنة ٨١٠هـ ، هو العالم المؤرّخ الأديب ، مفخرة الجزائر . . ولد سنة ٧٤١هـ . بمدينة قسنطينة فى وَسَطِ عائلةٍ اشْتُهرت بالعلمِ والتّدين . . فجدُّ والده حسن بن على بن ميمون بن قنفذ المتوفى سنة ٦٦٤هـ كان مِنْ أكبر المحّدثين ، دَرَسَ الحديثَ الشَّريفَ ـ فى مدينة قسنطينة . . ووالده المتوفى سنة ٧٥٠هـ مِنَ العلماءِ الأجلاّء الذّين قامُوا بأداء الأمانة العلمّية ـ عَلَى أكمل وجه ـ بالتّدريس والتّأليف ، وله كتاب مهم سَمّاهُ : المسنون فى أحكام الطاعون ، عالج فيه أعقد قضيّةٍ حارت فيها العقولُ ـ فى عهده ـ وهى مسألة انتشار الوباء والعدوى . .

وجَدُّه من جهة أمه الشيخ يوسُف ابن يعقوب كان رجلاً عالماً متصوفاً . .

سافرا ابنُ قنفذ إِلى المغرب سنة ٧٥٩هـ ، وكانت سِنُّهُ ثمانية عَشَرَ عاماً ، وحَصَّلَ علوماً كثيرةً ، واعتنى بلقاء الصَّالحين ، وجال بلادها ولقى فيها أبا القاسم السبتى وأخذ عَنْهُ . .

وبفضل كدّ ابن قنفذ واجتهاده وعصاميته ، اسْتَطَاعَ أَنْ يدرس العلوم عَلَى نخبة ممتازة مِنْ أشهر علماء زمانه فى مختلف العلوم والفنون بالمغرب العربى . . أخذ العلم عن القاضى الشَّهير أبى على حسن بن باديس ، وأبى عبد الله التلمسانى ، وأبى زيد اللجائى ، والامام النحوى ابن حياتى ، والامام ابن عرفه ، والعلاّمة المؤرّخ لسان الدين بن الخطيب الغرناطى . . .

وَمِنْ أهمّ تآليف العلاّمة ابن قنفذ :

« فى العلومِ الفقهية » : تقريب الدّلاله فى شَرْحِ الرّسالة ، معاونة الرائض فى مبادىء الفرائض ـ أنوار السعادة فى أصولِ العبادة ـ بغية الفارض مِن الحساب والفرائض ، وتفهيم الطَّالب لمسائل أصول ابن الحاجب وشرح الأرجوزة التلمسانية فى الفرائض . .

وفى « العلوم العربيّة » ألَّف : « هداية السَّالك فى بيانِ ألفية ابن مالك » ، والابراهيمية فى مبادىء العربيَّة . .

وفى « علم المنطق » لَهُ : « إيضاح المعانى فى بيان المبانى » وتلخيص العمل فى شرح الجمل فى المنطق . .

وفى « العلوم الرياضية » مِنْ فَلَكِ وَحَساب ألف : تيسير الطَّالب فى تعديل الكواكب وتحصيل المطالب وتكميل المآرب ، وسراج الثقات فى علم الأوقات . .

وفى « العلوم التَّاريخية » ألَّف ابنُ قُنفذ : شرف الطَّالب فى أسنى المطالب ، الفارسيّة فى مبادى الدولة الحفصيّة ، وطبقات علماء قسنطينة . . وكتاب وسيلة الاسلام بالنبى (عَلَيْه الصَّلاة والسَّلامُ) وَهُو مِنْ أجلّ الموضوعات فى السّير لاختصاره وكتاب « إدريسة النّسب فى الأمْصار والقرى وفى العرب . .

● التعريف بكتاب « وسيلة الاسلام بالنبى (عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلام) » :

هذا الكتاب الذى ألفه العلامةُ ابن قنفذ القسنطينى فى السّيرة النبويّة هو كتاب نفيس له قيمة كبيرة ، استطاع المؤلفُ أَنْ يوضّح فيه أشياء فى السّيرة بأسلوب مختصر جذَّاب يَدُلُّ عَلَى مقدرةٍ فى التَّأليف وإحاطة شاملة ودقيقة بالسّيرة النبويّة الكريمة مِنْ جميع جوانبها . . ويقع الكتاب فى أربعين ومائة صفحة ، وصدرت طبعته الأولى سنة ١٤٠٤هـ ، ونشرته دار الغربِ الاسلامى ـ لبنان . . قَدَّم الكتاب وعلّق عليه الأستاذ سليمان الصّيد المحامى . .

وَقَدْ رتَّبَ المؤلّفُ الكتابَ عَلَى خمسة أبواب :

● **الباب الأول** : فى نَسَب (النبى عَلَيْه الصَّلاة والسَّلامُ) وفى أسمائِه وفى تاريخ ولادته ، وَمَنْ قَامَ بحضانته (ﷺ) .

قَالَ رَسُولُ الله (ﷺ) : « **إن الله اصطفى مِنْ ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى مِنْ ولدِ إسماعيل كنانة ، واصطفى مِنْ بنى كنانة قريشاً ، واصطفى مِنْ قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم** » .

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . .

قَالَ رَسُولُ الله (ﷺ) : لى خمسة أسماء : أنا محمدُ وَأَنَا أحمد وأنا الماحى الذى يمحى الله به الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب .

وللنبى (ﷺ) أسماء أخرى جليلة المعانى ، صحيحة المبانى مذكورة فى المصنَّفات . وَمِنْ أهمّ المصنَّفات كتاب مفيد ونفيس للعلامة أبى عبد الله محمد بن قاسم الأنصارى « تذكرة المحبّين فى أسماء سيّد المرسلين » « ﷺ » .

ولا خلاف بَيْنَ العلماء أَنّ النبى (ﷺ) ولد عام الفيل بعد قدومه مكّة . . والفيل ساقه جند الحبشة إلى مكّة فى جَيْشهم يغزون بِهِ البَيْتَ الذى يريدون هَدْمَه وزواله ، فردَّهم الله تعالى وَأَرْسَلَ عَلَهْم طيراً أبابيل ترميهم ، فأهلكتهم بحجارة صغيرةٍ مِنْ سجيل ، تأتى بها فى أفواهها فتدخل بنقرها فى رأسِ الرجل منهم وتخرج مِنْ دبره فيموت . . وكان مولدُ النبى (ﷺ) إلى مبعثه أربعين سنةً وقدم الرسولُ (ﷺ) المدينة يوم الاثنين الثامن مِنْ شهر ربيع الأول فى السَّنَةِ الأولى مِن الهجرة ، وأوَّلُ منْ وَضَعَ التاريخ العربى عمر بن الخطّاب رضى الله عنه وتوفى رَسُولُ الله (ﷺ) فى شهر ربيع الأول من سنة إحدى عشرة من الهجرة . . وأقام رَسُولُ الله (ﷺ) بَعْدَ مبعثه بمكة ثلاث عشرة سنةً ، وبالمدينة عشر سنين . . وتوفى (ﷺ) وَهُو ابن ثلاث وستين سنةً . .

وأمُّ النبى (ﷺ) هى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة . . لم يتزوج عبد الله غيرها ، ولم يولد لعبد الله غيره فَلَا أخ له ولا أخت . . وتوفى عبدالله قبل ولادته بيسير وَدُفِنَ بالمدينة عِنْدَ أخواله بنى النجار . . ولما ولد تولّته مولاة أبى لهب ثوبية . . ثم أرضعته حليمة السعدية ، ولما ردّته إلى أمّه بعد رضاعه حضنته أُمّ أيمن (بركة بنت ثعلبة أم أسامه بن زيد رضى الله عنهما) . . **وتوفيت أمّه آمنة وهو ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ ابن ست سنين ، وكفله بعدها جدّه عبد المطلب ، وتوفى جده وهو ابن ثمان سنين ، وأوصى به عمه أبا طالب** . .

● **البابُ الثانى** : فى أزواجِهِ عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ وأولاده وقرابته ومواليه وخدمه وخواصّه « ﷺ » .

وأوَّلُ أزواج النبى (ﷺ) خديجة بنت خويلد ، ولم يتزوج عليها أحدا حتّى توفيت وتزوَّجها بَعْدَ خَمْس وعشرين سنةً مِنْ عمره ، وسنّها يومئذٍ أربعون سنةً . . أوَّل من آمنت به . . وقَالَ النبىّ (ﷺ) : خَيْرُ نساء العالمين أربعة : خديجة بنت خويلد ، ومريم ابنة عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وفاطمة الزهراء ، وتوفيت خديجة رضى الله عنها قبل الهجرة وسنها أربع وستون سنة . . وأقامت مَعَ النبى (ﷺ) أربعا وعشرين سنة . . رضى الله عنها .

وتزوّج رَسُولُ الله (ﷺ) بَعْد خديجة سودة بنت زمعة رضى الله عنها ، وتوفيت فى آخر زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وتزوَّجَ رَسُولُ الله (ﷺ) عَائِشَةَ رضِى الله عَنْها . . **وكانت أَعْلَمَ الناسِ بالفقهِ والطّب والحسابِ والفرائض والشعـر** . . **توفيت سنـة سبع وخمسين مِن الهجْرة**

وتزوَّج رَسُولُ الله (ﷺ) حفصة بنت عمر بن الخطّاب رضى الله عنهما . . وتوفيت سنة خمس وأربعين مِنَ الهجرة .

وتزوَّجَ رَسُولُ الله (ﷺ) زَيْنب بنت خُزيمة الهلالية ، وكانت تُدْعَى فى الجاهلية « أم المساكين » لخدمتها إيّاهم ، كانت تحت عبد الله بن جحش ، قُتلَ عَنْها يوم أُحد ، وَدُفن مَعَ حمزة ، وتوفيت فى حياة النبى (ﷺ) سنة خمس مِنَ الهجْرةِ . .

وتزوَّجَ رَسُولُ الله (ﷺ) أُمُّ حبيبة بنت أبى سفيان ، وتوفيت سنة أربع وأربعين من الهجرة . . وَرَدَ عليها أَبُوها أبو سُفْيان فى المدينة قَبْلَ إسلامه فلمّا دَخَلَ عَلَيْها طَوت فِراشَ النبى (ﷺ) فَقَالَ لَهَا ماهذا ؟ فقالت: إنَّك مُشْرك ، والمشركون نجس .

وتزوَّج رَسُولُ الله (ﷺ) زينب بنت جحش . . توفيت سنة عشرين فى خلافة الفاروق رضى الله عنه . .

وتزوَّجَ رَسُولُ الله (ﷺ) جويرية المصطلقية ، توفيت سنة خمس وستين من الهجرة .

وتزوَّجَ رَسُولُ الله (ﷺ) صفية بنت حيىّ بن أخطب . . توفيت سنة خمسين مِنَ الهجرة . .

وتزوَّجَ رسُولُ الله (ﷺ) ميمونة بنت الحارث الهلالية . . وهى التى وهبت نَفْسَها للنبى (عَلَيْه الصَّلاة والسَّلام) وقد عمّرت بعد رَسُولِ الله خمسين عاماً . .

وتزوَّجَ رَسُولُ الله (ﷺ) أم سلمة . . توفيت سنة تسع وخمسين من الهجرة

ولم يَكن لرسولِ الله (ﷺ) ولد إلا مِنْ خديجة رضى الله عنها سوى ولده إبراهيم ، فإنه ولد مارية القبطية التى أهداها له المقوقس ملك الاسكندرية فى هدية بعثها إليه . . وولدت خديجة : القاسم ثم الطيب ثم الطاهر ثم زينب ، ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة . . ومات ذكور أولاده عليه الصَّلاة والسَّلام مِنْ خديجة صغاراً . .

● **البابُ الثَّالثُ** : فى مَبْعثِهِ (ﷺ) وَبُعوثه وَغزواته ووفاته .بُعثَ (ﷺ) وهو ابن أربعين سنةً . .

وأول من آمن بالله تعالى خديجة وأبو بكر وعلى بن أبى طالب وزيد بن حارثة وسعد بن أبى وقاص . . وأسلم عمر رُضى الله عنه بَعْدَ تسعة وثلاثين رجلا ، وأعزَّ الله الاسلامَ به .

وأسرى بالنبى (ﷺ) قبل الهجرة بسنتين . .

وهاجر الرسولُ (ﷺ) بعد ثلاثةٍ وخمسين سنةً من عمره فى شهر ربيع الأول . .

وغزا رسولُ الله (ﷺ) سبعا وعشرين غزوةً ، وكانت بعوثُه ثمانية وثلاثين بَيْنَ بعثٍ وسريّة . . وأول غزواته (ﷺ) غزوة ودّان ، ويقالُ لَهَا غزوة الأبواء فى صفر السنة الثانية من الهجرة . . وغزوة ذات الرقاع . . وغزوة بدر . . وغزور أحد . . وغزوة الخندق . . وغزوة دومة الجندل . . وغزوة بنى قريظة . . وغزوة خيبر . . وغزوة مؤتة . . وغزوة الفتح الأكبر . . وغزوة تبوك . . وغزوة حُنَيْن . .

وحجَّ رَسُولُ الله (ﷺ) حجة الوداع فى السنة العاشرة من الهجرة ومات عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلام فى ربيع الأول فى السنة الحادية عشرة من الهجرة . .

وَرَسُول الله (ﷺ) ما ترك عند موته ديناراً ولادرهما ولاعبدا ولاأمة ولاشيئا إلا بغلته البيضاء ، وسلاحه وارضا جعلها صدقةً . .

وكان لرسولِ الله (ﷺ) من الخيل عشرة ، منهم فرس يُقَال لها السّكب قاتل عَلَيْها يَوْمَ أحد وكان غراً محجلا ، وفرس يقال لها المرتجز والمذرار والنجيب وكان له (ﷺ) مِنَ البغال ثلاثة : الدلدل بغلة شهباء أهداهالَهُ المقوقس مَعَ حمار يُقَالُ له عفير . .

تنزَّه رَسُولُ الله (ﷺ) عَنِ الدنيا وَأَعْرضَ عَنْهَا جملةً ، وأوتى خزائنها ، وأحلّت له غنائمها وَأَعْرضَ عَنْ ذلك كُلّه ، ولا يأخذ مِنْ أموال الدنياإلاَّ ماهُوَ ضـرورة ، ولا يبيتُ عِنْده دينـار ولادرهم . . فالدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له : قد يجمعها مَنْ لا عَقْلَ له . .

● **الباب الرابع** : مِنْ معجزات النبى (ﷺ) . . ومعجزات النبى (ﷺ) كثيرة ، لايحيط بها أحد ، ولايحصرها عدد . . والقُرآن الكريم هُوَ مِنْ أعظم المعجزات ، ووجه اعجازه التآم كلماته ، وبراع براعته فى أحكامه وقصصه . .

وَمِنْ معجزاته (ﷺ) إخباره عَنْ بَيْتِ المقدسِ وَقَدْ رفع إليه وهو يصفه . . ومعجزة فلق القمر . . ونبع الماء من بَيْن أصابعه فى قدح . . والاسراء والمعراج . . وآيات فى طريق الهجرة من مكة إلى المدينة . .

● **الباب الخامس** : فى ذكر بعض السَّنِيَّة أحواله وفضل الصَّلاة عَلَيْه وَعَلَى أَهْلِهِ وآله « ﷺ » .

وصفته (ﷺ) لَيْسَ بالطـويل ولا بالقصير ، ضخم الرأس ، كثير الشعر ، كثيف اللحية ، أبيض اللون مشوب بحمرة فى وجهه تدوير ، أدعج العينين ، أهدب الأشفار ، يفضله ناظره فى جمالِهِ عَلَى الشَّمْسِ والقمر . . إذا مَشَى كأنَّما يمشى فى صبب ، وإذا التفت التفت بجميع البدن ، وَبَيْن كتفيه خاتم النبوة ، مَنْ رآه هابه ، وَمَنْ قرب مِنْهُ أحبّه . . كان أَجْوَدَ الناس كفاً وأوسعهم صدراً ، وأصدقهم لهجة ، وأوفـرهم ذمة ، وألينهم عـريكة ، وأكرمهم عشيرة

وَقَدْ أثنى الله تعالى عَلَى خُلُقِهِ الجميل فقال : « وإنَّك لَعَلَى خُلُقٍ عَظيم »

القلم — ٤

كان (ﷺ) فيه الحلم والاحتمال ، والعفو مَعَ القُدرة فى جميع الأحوال ، والصَّبر والجود والسَّخـاء والكرم الشفقة والتواضع والحياء وَحُسن العشرةِ والِصّدق والعفاف والوفاء ، وحسن العهد ، ولين الجانب ، والزهد فى الدنيا . . وكان (ﷺ) يُجيبُ مَنْ دعاه ، ويكثر التَّبسّم ، ويتخلّق بالقُرآنِ الكريم . . ولما صَدَرَ مِنْ قَوْمِهِ ما صَدَرَ قـال : **اللهمَّ اهدِ قـومى فانّهم لايَعْلمون** . .

وفى الصَّلاة عَلَى النبى (ﷺ) فَضلُ كثيرُ . . قَالَ رَسُولُ الله (ﷺ) : إذا سمعتم المؤذّن فَقُولوا مثْل مايقول وصلّوا عليَّ فإنَّه مَنْ صَلَّى عليَّ مرةً صَلَى الله عَلَيْه عشراً ، ثم اسألوا لى الوسيلة فإنَّها منزلة فى الجنة لاتنبغى لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل الله لى الوسيلة حلّت عَلَيْه الشفاعة .

وأجمعت الأمةُ عَلَى عصمة النبى (ﷺ) وَعَلَى سلامته مِنَ الوساوسِ وعلى ماكان طريقه البلاغ ، أنَّـه لايعتريه فيها وهم ولا غلط ولانسيان ولاخلف فى القولِ مطلقا . . وأنَّه يجوزُ عليه ما يجوز على غَيْره من الأحوال البشريّة كالمرضِ والجوع والنوم إلاّ الجنون فانّه مبرأ منه ولا يجوزُ عليه الاغماء (غيبوبة العقل) . . وأجمعت الأمة عَلَى وجوب تعظيمه وتوقيره وتوقير آلِهِ وأصحابه . .

أخبار ولقاءات

إعداد: منير بيومى - محمد عبد الوهاب

وزير الأوقاف يعلن فى مؤتمر علماء الدعوة:

- الرئيس يفتتح مصنع إنتاج زى العلماء.
- ضرورة إعادة النظر فى أسلوب قوافل التوعية.
- مساكن لأئمة المساجد والدعاة بالمحافظات.
- مرتب ٢٠ شهرًا مكافأة للمحالين للمعاش.
- ٨٠٠ درجة للترقيات للعاملين بالوزارة.
- مدير الدعوة والمساجد بدرجة وكيل وزارة.

علماء الدعوة وأئمة المساجد ومديرو الأوقاف فى المؤتمر لبحث قضايا الدعوة وأساليب مواجهة المغالين فى الدين

يفتتح الرئيس محمد حسنى مبارك مصنع انتاج الزى الخاص بأئمة المساجد وعلماء الدعوة يوم ٢٧ رجب الحالى الذى يوافق الاحتفال بذكرى ليلة الاسراء والمعراج .

أعلن ذلك الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف فى المؤتمر الذى عقد لعلماء الدعوة والأئمة بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية وحضره فضيلة الدكتور عبد الله عبد الشكور وكيل أول الوزارة ، وفضيلة الشيخ محمد عبد الواحد وكيل الوزارة ، والدكتور أحمد خليفة رئيس هيئة الأوقاف .

ووضع الوزير مديرى الأوقاف بالمحافظات الذين حضروا المؤتمر أمام مسئولياتهم . حيث قال : ان قوافل التوعية الداخلية التى يتم تنظيمها بالمحافظات لا تتحرك بالأسلوب الصحيح لأنها تتوجه الى المساجد مع أن الهدف منها فى الأساس هو الوصول الى التجمعات العمالية والشبابية ، والمدارس من خلال برنامج عمل منظم .

وأضاف : ان الواقع يقول ان هذه القوافل لا وجود لها ، لأنها اذا وجدت بالصورة الصحيحة فلن يكون هناك مجال للتطرف والمتطرفين فى مصر ، وأنه يجب اعادة النظر فى أسلوب تنظيم هذه القوافل من حيث اختيار الأماكن ، والدعاة .

وطالب الدكتور محجوب بضرورة القضاء على مظاهر البيروقراطية فى أجهزة الوزارة ومديريات الأوقاف حتى لا تتسبب فى تعطيل العمل بها .

وقال : انه يوجه انذارا أخيرا بانه سيتم اجراء تغيير وتعديل فى المواقع اذا استمر العمل بهذا الأسلوب لأنه ليس من المعقول أن يستغرق ارسال ورقة من مكتبه والرد عليها أربعة أشهر كاملة .

وأعلن أن الدولة تعطى للوزارة أكثر مما يطالب منها ، لذلك يجب العمل على استثمار هذه الفرصة فى تنشيط العمل بكافة أجهزة الوزارة .

وتحدث وزير الأوقاف عن المشروعات الجديدة للوزارة خلال العام الحالى فى مختلف المجالات :

● ففى مجال الاسكان قال : انه سيتم اقامة ٥ آلاف شقة جديدة خلال السنوات الخمس القادمة فى محافظتى القاهرة والجيزة ، منها ألف و ٣٠٠ وحدة خلال العام الحالى موزعة على النحو التالى : ٢٠٠ شقة بالمطرية ، و ٣٢٠ بالبساتين ، و ١٢٠ بدار السلام ، و ٢٠٠ بحلوان ، و ٤٠٠ بامبابة وتتراوح تكلفة الوحدة بين ١٦ الفا و ٢٠ ألف جنيه يتم سداد ١٥٪ من اجمالى الثمن كمقدم ويقسط الباقى على مدة تتراوح بين ٢٠ و ٤٠ سنة .

وقال ان الوزارة لا تدخر وسعا فى توفير المسكن المناسب للأئمة والدعاة بالمحافظات فقد تم وضع خطة لذلك عن طريق تخصيص مساحات من الأراضى بأسعار معقولة عن طريق هيئة التعاونيات على أن تتولى مديريات الأوقاف فى هذه المحافظات عملية البناء .

وفى مجال الرعاية الصحية التى تقدمها الوزارة للعاملين بها قال الدكتور محجوب : ان العمل سيبدأ قريبا فى المستشفى الخاص بهم والذى سيقام على أحدث النظم وسيضم أحدث الأجهزة العلمية والمعامل .

وفى مجال الرعاية الاجتماعية أعلن أنه سيتم تقديم هدية من الوزارة للعاملين الذين يحالون على المعاش وهى عبارة عن مكافأة تعادل مرتب ٢٠ شهرا وسيتم تطبيق ذلك بأثر رجعى ابتداء من أول شهر أكتوبر من العام الماضى .

أما بالنسبة لترقيات العاملين فستتم حركة ترقيات يصل مجموعها الى ٨٠٠ درجة وظيفية فى نهاية العام الحالى ، وسيتم اضافة درجة وكيل أول للوزارة لشئون الدعوة ، وآخر للمساجد وتقسيم القاهرة والاسكندرية الى ٩ مديريات .

وأعلن وزير الأوقاف أنه سيتم تسليم مكتبة مسجد جديدة فى نهاية شهر مارس القادم ، مع عقد دورات تدريبية لمقيمى الشعائر والموظفين الاداريين بمديريات الأوقاف لاعدادهم للعمل كأمناء لهذه المكتبات .

وسينتهى فى ٣٠ مارس ايضا تسليم مكتبات الأئمة لمن يرغب منهم فى ذلك .

الفائزون فى مسابقة القرآن الكريم

يعودون بعد أداء العمرة والزيارة

عادت بعثة وزارة الأوقاف من الأراضى السعودية تضم عددا من الفائزين فى مسابقة القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة بعد أداء العمرة والذين كان السيد الرئيس محمد حسنى مبارك قام بتكريمهم فى الاحتفال بيوم القرآن بقاعة الامام محمد عبده بجامعة الأزهر . وتحملت الوزارة نفقات السفر والاقامة والتنقلات الداخلية لأفراد البعثة .

حفظ القرآن الكريم كله

بالمعاهد الابتدائية الأزهرية

تقرر تعديل خطة حفظ القرآن الكريم فى المرحلة الابتدائية بالمعاهد الأزهرية بحيث يحفظ الطلاب والطالبات القرآن الكريم كله ٣٠ جزءا بنهاية تلك المرحلة بدلا من الخطة السابقة التى كان مقررا حفظ ٢٠ جزءا بها .

ويجرى حفظ القرآن على النحو التالى :

حفظ ثلاثة أجزاء بالصف الأول ، وأربعة أجزاء بالصف الثانى ، وخمسة أجزاء بالصف الثالث ، وستة أجزاء لكل من الصف الرابع والخامس والسادس .

جاء ذلك خلال اجتماع فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر برؤساء المناطق الأزهرية والمديرين العاملين بالادارة العامة للمعاهد الأزهرية ومستشارى المواد الدراسية .

● توحيد مقررات مادة حفظ القرآن الكريم ، فى الكليات الاسلامية .

قرر مجلس جامعة الأزهر فى اجتماعه برئاسة الدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس الجامعة توحيد مقررات مادة حفظ القرآن الكريم فى جميع الكليات الاسلامية بالجامعة اعتبارا من العام الحالى .

صرح بذلك الدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس الجامعة ، وقال : ان حفظ القرآن الكريم سيكون مادة أساسية بكل الفرق الدراسية ولجميع الطلاب المصريين والوافدين . وتقرر أن يمتحن طالب الفرقة الأولى فى حفظ الربع الأول من القرآن الكريم ، وطالب الفرقة الثانية يمتحن فى حفظ نصف القرآن الكريم من أول سورة البقرة ، ويمتحن طالب الفرقة الثالثة فى حفظ ثلاثة أرباع القرآن الكريم ويمتحن طلاب الفرقة الرابعة فى حفظ القرآن الكريم بكامله .

البدء فى انارة المساجد بالاسلوب العلمى

تبدأ انارة مساجد القاهرة بالاسلوب العلمى الفنى السليم والمناسب للعمارة الاسلامية لكل مسجد . تم الاتفاق على هذا بين الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف والسيد / فاروق حسنى وزير الثقافة ، واللواء يوسف صبرى أبو طالب محافظ القاهرة على الاشتراك فى هذا المشروع الذى تقدمت به وزارة الثقافة لوزارة الأوقاف .

وتبدأ لجنة فنية فى دراسة المشروع ليبدأ العمل فى اعداد اضافة فنية لمساجد القاهرة التى يتبع بعضها الأوقاف وبعضها يتبع الآثار ومحافظة القاهرة وذلك قبيل شهر رمضان المقبل. والاضاءة الحديثة ستكون غير مباشرة بحيث تظهر معالم المساجد كاملة .

المفتى ومحافظ سوهاج يشهدان الصلح بين عائلتين متقاتلتين :

شهد فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية والسيد على ابراهيم على محافظ سوهاج المؤتمر الكبير الذى أقيم بقرية سفلاق مركز ساقلته لانهاء الخصومة الثأرية بين عائلتى « حلو والهوارى » والتى استمرت ١٤ عاما وأسفرت عن مصرع ثمانية أشخاص ، أربعة من كل عائلة .

وناشد فضيلة المفتى العائلات والأسر المتنازعة بمختلف قرى ومدن الجمهورية نبذ ظاهرة الثأر البغيضة التى يرفضها الاسلام ، وتعوق حركة التنمية فى بلادنا ، وتعود بالخراب والدمار على مجتمعنا .

وقال فضيلة المفتى : أن القضاء فى مصر عادل ويجب الاحتكام اليه لانهاء الخصومة التى قد تنشب بين الأفراد أو العائلات .

وطالب المحافظ بضرورة تكثيف جهود رجال الدعوة الاسلامية والقيادات الشعبية وأجهزة الشرطة لانهاء الخصومات الثأرية بين العائلات المتنازعة ، والأحتكام الى تعاليم الاسلام ، وقضاء مصر فى كل ما يحدث بينهم من خلافات .

وقال المحافظ : ان ظاهرة الثأر لا تعود على المجتمع الا بالخراب والدمار وضياع مئات الملايين من الجنيهات على شراء الأسلحة والأعيرة النارية بجانب تعطيل الانتاج التفرغ للصراعات والمنازعات .

وأعلن مدير الأمن فى المؤتمر أن الشرطة قامت مؤخرا بحملة على المدن والقرى التى تنتشر بها عادة الثأر وجمعت ٢٢٤ قطعة سلاح يزيد ثمنها على مليونى جنيه كان من الأجدى أن تخصص لبناء المدارس وتعمير القرى بدلا من القتل والخراب .

مظاهرات للمسلمين فى بريطانيا لمصادرة كتاب تشويه للاسلام :

بدأ مجلس الدفاع الاسلامى بالعاصمة البريطانية لندن فى اتخاذ الاجراءات القضائية اللازمة لفرض حظر على نشر وتداول كتاب « الآيات الشيطانية » لمؤلفه المدعو « سلمان رشدى » الهندى الجنسية .

وطالب المسلمون فى العاصمة البريطانية الدول الاسلامية باتخاذ مواقف أكثر حزما تجاه هذا الكتاب ، وذلك فى مظاهرة ضخمة اشترك فيها أكثر من ثمانية آلاف مسلم جاءوا من أنحاء بريطانيا يوم السبت الماضى .

استمرت المظاهرات عدة ساعات حيث تجمع المتظاهرون فى وسط لندن ، ثم توجهوا من حديقة « هايدبارك » الى مكاتب دار نشر « بنجوين بوكس » فى حى « كنسنجتون » بغرب المدينة ، وهى الدار التى نشرت الكتاب وطالبوها بوقف بيعه .

ومن ناحية أخرى تظاهر أكثر من الف مسلم فى مدينة « برادفورد » بشمال بريطانيا حيث تقيم أكبر جالية اسلامية ، وقاموا باحراق نسخ من الكتاب أمام بلدية المدينة .

من المعروف أن الكتاب يتضمن الكثير من الخرافات والأباطيل بهدف الصاقها بالاسلام منها زعم المؤلف أن النبى صلى الله عليه وسلم استبعد آيتين من القرآن الكريم لأنهما من وساوس الشيطان ، وتضمن أيضا سبا بذيئا فى شخصية النبى عليه السلام ، وزوجاته .

وكان فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر قد أصدر بيانا طالب فيه بحظر نشر هذا الكتاب ، والوقوف فى وجه مروجيه .

كما منعت عدة دول بيع الكتاب بها ، ومنها الهند ، وباكستان ، والمملكة العربية السعودية، وجنوب أفريقيا .

ولكن يبدو أن بيانات الاستنكار ، وقرارات المنع من التداول فى الدول التى بها مسلمون لم تكن رادعا كافيا لكى تتوقف دار النشر عن بيع الكتاب .

لجنة التعريف بالاسلام :

(ضريبة التركات غير شرعية)

ناقشت لجنة التعريف بالاسلام بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية عدة قضايا منها قضايا الشباب والأفكار الوافدة ، والمذاهب الشاذة التى تسيىء الى الاسلام مع بيان وسائل التصدى لها.

كما ناقشت ضريبة التركات، وأصدرت توصية بالغائها • ووصفت هذه الضريبة بأنها غير شرعية ، وبالتالى تفقد دستوريتها باعتبار أن الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع.

(كتب للفحص والدراسة)

فى برنامج عمل اللاجنة بحث عددٍ من الكتب المعروضة عليها منها :

واقع الانسان بين الحياة والموت للأستاذ كامل محمد الصاوى •

صفحات من دائرة المعارف العالمية واردة من المكتب الطبى للسفارة المصرية فى باريس •

كتاب الجوهر للدكتور عبد الفتاح بدوى •

وسوف تعد اللاجنة تقارير حول هذه الكتب حتى يتمكن المجلس من نشر ما يراه مناسبا منها.

لجنة العلاقات الاسلامية :

(معهد اسلامى عالى للتمريض)

تعد لجنة العلاقات الثقافية الاسلامية كتابا حول « الاسلام والمسلمون فى دول العالم » يتناول أحوال ومشكلات وطرق دعم الأقليات والجاليات الاسلامية فى الخارج •

قضايا مهمة أمام مجمع الفقه الاسلامى بمكة المكرمة يوم ١٢ من رجب

تبدأ أعمال الدورة الحادية عشرة لمجلس المجمع الفقهى التاسع لرابطة العالم الاسلامى يوم السبت ١٢ من رجب ١٤٠٩هـ الموافق ١٨ من فبراير ١٩٨٩ بقاعة الاجتماعات بالمبنى الجديد للرابطة بأم الجود بمكة المكرمة والذى سيتم افتتاحه رسميا بهذه المناسبة •

من المنتظر أن يفتتح الأمير ماجد بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة أعمال الدورة نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز•

تتضمن الموضوعات المطروحة فى جدول أعمال الدورة أمور طبية ، وأخرى اقتصادية ، وثالثة فلكية ، ورابعة تختص بالعقيدة الاسلامية •

وقد روعى هذا التنوع فى اختيار الموضوعات المهمة لتكون قرارات المجمع هذا العام شاملة للكثير من قضايا المجتمع الاسلامى فى شتى نواحى الحياة وستبحث الدورة ١٢ قضية فقهية عامة منها ثلاث قضايا جديدة منها :

صرف النقود فى المصارف •
وتغيير جنس الانسان من ذكر الى أنثى وبالعكس •
زكاة أجور العقار •
وتحديد مدة الحمل •
وولادة الجنين المشوه خلقيا فى الدماغ •
وسيلة اخراج الطفل فى الولادة •

ويناقش المجمع فى هذه الدورة موضوع تحديد وتوحيد أوقات الصلوات والصيام ، وسيدعى للمناقشة علماء الفلك •

الشرط الجزائى وصورته •

الاعداد الفنى : محمود عبد العاطى ــ احمد حسن ــ علاء حسن

أنت تسأل والمفتى يجيب

بسم الله الرحمن الرحيم

فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

« صدق الله العظيم »

• فضيلة الشيخ عطية صقر •

انحناء الممثل أمام الجمهور

السؤال — هل يجوز انحناء الممثل على المسرح أمام الجمهور ؟
فوزى حسين أحمد — نجع حمادى

الجواب : روى الترمذى باسناد حسن عن انس رضى الله عنه قال ، قال رجل : يا رسول الله ، الرجل منا يلقى أخاه وصديقه ، أينحنى له ؟ قال : لا ، قال : أفيلزمه ويقبله ؟ قال : لا ، قال : أفيأخذه بيده ويصافحه ؟ قال نعم .

جاء فى الآداب الكبرى عن أبى المعالى ان التحية بانحناء الظهر جائزة ، وقيل هو سجود الملائكة لآدم . قال : ولما قدم ابن عمر الشام حياه أهل الذمة كذلك فلم ينههم ، وقال : هذا تعظيم للمسلمين . ولعل مراده بالجواز عدم الحرمة فلا ينافى الكراهة . قاله السفارينى فى كتابه « غذاء الألباب ج ١ ص ٢٨٦ » .

يؤخذ من الحديث وما قاله العلماء أن التحية بالانحناء غير مرغوب فيها ، وأقل ذلك الكراهة لعدم لياقة ذلك بالمسلم الكريم العزيز بايمانه بالله تعالى ، وقد تدخل النية فى تكييف الحكم ، فان كان يقصد المحتفل به بانحنائه الشكر واظهار التواضع فلا بأس مع التوصية بعدم المبالغة فيه ، والانحناء لون من ألوان التحية عند اللقاء فى بعض الجماعات يقصد به تعظيم من قابله كما يفعل للملوك والسلاطين ، أما ما يرد به الممثل على المعجبين به فليس كذلك تماما ، وهذا يخفف من الحكم عليه .

من صفات النبى

السؤال : ما معنى الحديث : ماانتقم النبى لنفسه الا أن تنتهك حرمات الله .

وهل يجوز قتل المسلم الباغى فى حالة الاعتداء على المال أو العرض ؟

وحيد البيومى شعيب — ميت ميمون مركز السنطة

الجواب : حديث : ما انتقم النبى لنفسه «رواه البخارى ، ورواه الحاكم مطولا وجاء فيه : وما ضرب بيده شيئا قط الا أن يضرب فى سبيل الله ، ولا انتقم لنفسه من شىء الا أن تنتهك حرمات فيكون له أن ينتقم .

والمراد بذلك أنه كان يقصد أن تكون أعماله لوجه الله رجاء الثواب عليها ، فلا يعملها لغرض شخصى بحت . فاذا ضرب بيده لا يضرب ظلما ولا عدوانا ، وانما يضرب العدو جهادا فى سبيل الله ، واذا انتقم من انسان لا ينتقم منه لغرض شخصى أبدا ، بل كان يعفو ويصفح ، والأمثلة فى العفو والصفح الصادرين منه كثيرة ، وانما كان ينتقم لله أى يعاقب المسىء لأنه أساء الى الله وخالف أمره وانتهك حرماته . كما قيل انه أمر بقتل عقبة بن أبى معيط وعبد الله بن الأخطل وغيرهما لأنهم كانوا يؤذونه بالسب وبالطعن فى الدين .

وأما قتال المسلم الباغى على المال والعرض فهو مشروع ، والحديث فى ذلك معروف « من قتل

دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد » رواه أبو داود والترمذى وقال : حسن صحيح .

وأورد القرطبى فى تفسيره حديثا عن أبى ذر وهو يسأل النبى عما فى صحف ابراهيم وصحف موسى ، فذكر له مواعظ وحكما ، ثم سأله هل فى أيدينا شىء مما كان فى يدى ابراهيم وموسى ؟ فقال : نعم ، اقرأ يا أبا ذر « قد أفلح من تزكى » .

العدوة الدنيا والقصوى

السؤال : ما معنى قوله تعالى « اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى » ؟

محمود عثمان شاهين ــ نقيطة مركز المنصورة

الجواب : هذه الآية من سورة الأنفال تتحدث عن غزوة بدر ، ويمتن الله على المؤمنين بالنصر فى هذه المعركة التى جاءت على غير ميعاد واستعداد ، والعدوة هى جانب الوادى ، وقد نزل المسلمون بالجانب الذى يلى المدينة فهو قريب منها ، ونزل المشركون بالجانب الآخر بعيدا عن المدينة ، فالعدوة الدنيا أى الأقرب الى المدينة ، والعدوة القصوى اى الجانب الأقصى والأبعد من المدينة . « والركب أسفل منكم » أى القافلة التى كان يقودها بالتجارة أبو سفيان موجودة أسفل منهم الى ساحل البحر ، وبقية القصة معروفة فى كتب السيرة .

صحف ابراهيم وموسى

السؤال : ما المراد بالصحف وما الذى كان فيها فى قوله تعالى « صحف ابراهيم وموسى » ؟

خالد السيد رجب ــ رأس البر دمياط

الجواب : هذه الآية آخر سورة الأعلى التى تحدثت عن صفات الله الواحد الأحد وحمايته للنبى صلى الله عليه وسلم . وأمره بالاستمرار فى تبليغ الدعوة ، والموفق السعيد هو من اتقى الله واتبع هداه ، والشقى هو من أعرض عن الدعوة وسيكون مصيره النار التى لا يموت فيها ولا يحيا . ويبين الله أن من طبيعة الناس حب الدنيا والغفلة عن الآخرة مع انها أبقى ، وهذه الحقائق الموجودة فى هذه السورة اتفقت عليها الأديان السماوية وأنزلها الله فى الكتب السابقة على القرآن ، ومن اقدمها ما نزل على ابراهيم من الصحف ، وما نزل على موسى وهو التوراة .

صلاة الظهر بعد الجمعة

السؤال : فى مدينتنا تؤدى فريضة الظهر جماعة بعد أداء صلاة الجمعة ، فهل هذا من الدين ؟

اسماعيل حقى جان صابونجو
مدينة سعرت ــ تركيا

الجواب : المعروف أن صلاة الجمعة بدل صلاة الظهر ، فلو أديت على وجهها الصحيح أغنت عن صلاة الظهر ، واذا لم تؤد أو أديت على غير وجهها الصحيح وجبت صلاة الظهر .

والأصل أن تقام الجمعة مرة واحدة فى مكان واحد لسماع الخطبة من الامام فيتحدث اليهم مايسمعونه من نصائح وأحكام ، وتبلغهم دعوة الدين فلا يكون لهم عذر للتقصير . وكان العمل على ذلك أيام الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين فى المدينة ، حيث كان المسجد النبوى يسع المصلين ، وحيث كان الخليفة هو الذى يؤمهم ويخطبهم ، ولما اتسع العمران وانتشر المسلمون وضاق المسجد الجامع عن استيعاب كل المصلين، اقيمت جمعة أخرى فى مسجد آخر وهنا اختلف الفقهاء فى هذا الوضع ، هل هو جائز أولا ، واذا جاز هل صحت الجمعتان أو صحت جمعة واحدة ، وعلى فرض صحتهما أو صحة احداهما هل هناك محل لصلاة الظهر ؟

جاء فى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة الذى أخرجته وزارة الأوقاف المصرية : ان الحنفية قالوا: تصح اقامة الجمعة فى مواضع كثيرة فى المصر او فى فنائه على الأصح ، فتعدد الجمعة فى المساجد لا يضر ، ولو سبق أحدها الآخر فى الصلاة على الصحيح ، الا ان الأحوط ان يصلى أربع ركعات بنية آخر ظهر . والأفضل أن يصليها فى منزله حتى لا يعتقد العامة فرضيتها . فان تيقن أنه سبق بالصلاة فى مسجد آخر كانت هذه الصلاة واجبة ، وان شك كانت هذه الصلاة مندوبة .

وقال الشافعية : ان تعددت الجمعة لحاجة كضيق المسجد الواحدمن استيعاب عدد المصلين، فكلها صحيحة ، وتسن مع ذلك صلاة الظهر

ولا تجب . أما ان تعددت الجمعة لغير حاجة . فإن تيقن سبق واحدة صحت وبطل غيرها ، وعلى من بطلت صلاتهم أن يصلوها ظهرا ان لم يمكنهم أداؤها خلف الجمعة السابقة . (والعبرة فى السبق بتكبيرة الاحرام) وان تيقن أن الجمع كلها متقارنة ليس فيها سبق واحدة على الأخرى بطلت الجمع كلها ، ويجب عليهم الاجتماع لأعادتها ان أمكن والا صلوها ظهرا . وكذلك الحكم لو حصل الشك فى السبق والمقارنة .

وقال المالكية : لا تصح الجمعة الا فى الجامع القديم . وتصح فى المسجد الجديد الذى ينشأ بعد القديم بشرط الا يهجر القديم ، وأن تكون هناك حاجة لبناء هذا المسجد الجديد كضيق القديم وعدم امكان توسعته ، وكعداوة فى ناحيتين من البلد ، يخشى من اجتماع الناس فى مسجد واحد أن تكون فتنة ، وكذلك تصح فى المسجد الجديد ان حكم الحاكم بصحتها فيه .

ولو اختل شرط بطلت الجمعة ووجبت صلاة الظهر . ومذهب الحنابلة كمذهب الشافعية أو قريب منه .

وعلى هذا لو تعددت الجمعة لحاجة فهى صحيحة ، ومع ذلك قال الأحناف : الأحوط صلاة الظهر بعدها فى المنزل ، وقال الشافعية تسن صلاة الظهر . ولم يقل أحد تبطل صلاة الظهر أو تحرم فى هذه الحالة . فمن شاء صلاها ومن شاء تركها .

هذا ما فى كتب الفقه ، وهو اجتهاد منهم غير منصوص عليه فى كتاب أو سنة . فمتى صحت الجمعة بالشروط المنصوص عليها فى الكتاب والسنة وما تركه الخلفاء الراشدون ، لا تجب صلاة الظهر عند تعدد الجمعة ، ولا عند عدم تعددها .

اجابات قصيرة

١ — السيد / أحمد على محمود من نجع حمادى ، يسأل عن حكم التبنى والتوارث بسببه ، والاجابة منشورة فى عدد رجب سنة ١٤٠٥هـ ، وخلاصتها أنه باطل لا يثبت به نسب وبالتالى لا يثبت توارث ولا غيره .

٢ — السيد / وحيد البيومى شعيب من ميت ميمون مركز السنطة : أعلم أن أجل الانسان معلوم عند الله مجهول لنا ، ومن انتحر فقد مات بأجله وقد علم الله أنه سيموت بذلك ، أما المنتحر فلا يعلم فيحرم عليه الانتحار ، واذا كان الله قد حرم الكفر ويحاسب عليه فلأن الكافر اختار ذلك بنفسه ولم يلجئه الله عليه لأنه لا يعلم انه مقدر عليه ، والرزق مقدر أى معلوم عند الله كما يعلم انك تحصله بعملك فيكثر ، أو تقعد وتتكاسل فيقل ، وعليك أنت أن تعمل وتجد كما أمر الله . وقد حرم عليك العجز والكسل والتسول .. فعلم الله بالأجل والرزق والايمان والكفر ليس تأثيريا ، وانما هو كشفى علمه قبل حصوله وخلق فينا القدرة والحرية لاختيار ما نريد ، فالمسئولية علينا نحن .

٣ — السيد / سيد عبد الهادى خليل من الترامسة مركز قنا — أسئلتك بعيدة عن الفتاوى ، والاجابة عليها طويلة ، فعليك أن تطلع وتتعرف .

٤ — السيدة / ليلى سعد السيد من بورسعيد . العقد وقع صحيحا ، وكذلك الطلاق الثلاث ، ولا رجعة الا بعد زواج آخر مستوف للأركان والشروط ومنها الاتصال الجنسى .

٥ — السيد / رضا عبد الغنى تهامى من تلا منوفية — الجهر بالصلاة له مواضع تسن المحافظة عليه فيها ، أما الاستغفار فيسن الاسرار به ،وان عرفت أن الجهر به يمنع الشيطان فلا يأس .

٦ — السيد / علاء عبد الراضى عبد الحليم موسى من سلاجة القمامة نجع حمادى : صوم العوام هو الصوم عن الأكل والشرب والجماع فقط ، وصوم الخصوص هو الصوم أيضا عن المحرمات الأخرى كالكذب والغيبة ، وصوم خصوص الخصوص هو الصوم عما سوى الله حتى عن المباحات ، وهذا تقسيم صوفى أخلاقى يتفق مع الشرع ، والأدلة تشهد له .

هذا ، والأولى أن تعظ امرأتك بالحسنى حتى تصوم فان أبت لك أن تؤدبها ، فان لم يصلح حالها عليك أن تظهر لها غضبك وعدم رضاك ، وذلك فى سلوكك معها حتى تحس بأنها مخطئة .

٧ — السيد / أبو الحسن من قفط قنا : بنات خالك اللاتى رضعن من أمك خمس رضعات معلومات صرن أخوات لك لا يجوز أن تتزوج منهن ، أما بنات خالك اللاتى لم يرضعن من أمك فيجوز لك أن تتزوج واحدة منهن ، لأنكما لم تجتمعا على ثدى واحد .

٨ — السيد / أحمد محمد عثمان ابو جبل — سرياقوس مركز الخانكة .

مادام فى القبور عظام فلا يجوز نبشها واخراج العظام منها ووضعها بالشكل الذى ورد فى سؤالك ، ومهما امتلأت بالعظام فليكن الدفن بجوار هذه العظام ، فانه يجوز دفن اثنين فى قبر واحد عند الضرورة .

حديث عن الشباب

السؤال من ـ أحمد عبد الخالق دسوقى ـ من شبرا مصر يقول : هل صحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (يعجب ربك من شاب ليست له صبوة) وكيف يتعجب الله من هذا الشاب ؟

الجواب : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد. **فقد روى الامام أحمد والطبرانى عن عقبة بن عامر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة) .**

والصبوة هى الميل والانحراف . أورد الامام الغزالى هذا الحديث فى كتابه « احياء علوم الدين » عند كلامه عن التوبة وقال : ان الناس **قسمان ، شاب لا صبوة له ، نشأ على الخير واجتناب الشر ، وقال: ان هذا القسم عزيز نادر،** والعراقى فى تخريجه لأحاديث الاحياء قال :ان هذا الحديث فى سنده « ابن لهيعة » ولم يقل : انه صحيح أو حسن أو ضعيف أو موضوع ، ذلك لأن ابن لهيعة اختلف علماء الحديث فى قبول روايته وعدم قبولها ، ومن الذين قبلوا روايته مطلقا أحمد ابن حنبل والثورى وابن وهب وابن معين ، ومن الذين رفضوا روايته مطلقا يحيى بن سعيد والنسائى والترمذى والحاكم ، وبعضهم قبلوا روايته قبل احتراق كتبه منهم ابن حبان وابن خزيمة ، والراجح فى أمره ما ذكره ابن حجر من أنه صدوق يحتج به قبل التخليط ، وقيل احتراق كتبه ، والتخليط مرض يؤثر على الضبط .

والحديث على الرغم من الاختلاف فى سنده صحيح المعنى ، لأن الشاب المستقيم الذى نشأ فى طاعة الله ولم ينحرف جاء الحديث الصحيح بأنه سيكون من السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله ، ذلك أن الشاب فى فترة شبابه تتجاذبه عدة عوامل تغريه بالخطأ ، فغرائزه قوية قد يضعف العقل أمام سلطانها ، واذا خاف الشاب ربه من تلبية نداء غرائزه بدون حدود ، عاش فى جهاد وعراك ومغالبة لينتصر على شهواته ، وهذا الجهد المبذول يقدره الله حق قدره ، ويكافىء عليه صاحبه بما يتناسب مع ايمانه وخوفه من ربه .

والتعبير فى الحديث بأن الله يتعجب من الشاب الذى ليست له صبوة ، يراد به الرضا عنه رضاء كبيرا ، ففيه مشاكلة لما يحدث بين الناس من التعجب للأمر الغريب الذى يخرج عن المألوف ، ويشبه التعجب من هذا الشاب تعجب جاء فى حديث رواه أبو داود والنسائى عن عقبة بن عامر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (يعجب ربك من راعى غنم فى رأس شظية للجبل ، يؤذن للصلاة ويصلى) ، فيقول الله عز وجل : **« انظروا الى عبدى هذا ، يؤذن ويقيم الصلاة يخاف منى ، قد غفرت لعبدى وأدخلته الجنة »** ذلك أن هذا الراعى فى عمله الشاق وفى بعده عن أنظار الناس ، لا ينسى واجبه نحو ربه الذى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ، فيؤذن للصلاة ويؤديها ، مخلصا لله وحده، راجيا ثوابه خائفا من عقابه ، وكثير من الناس فى مثل هذه الحالة لا يهتمون بأداء الواجب ، لأن أحدا لن يؤاخذهم ، فهم فى خفاء عنه ، ناسين أن الله رقيب عليهم ، فالحديث صحيح فى معناه لأن النصوص القوية تشهد له ، وهو دعوة الى الاخلاص فى كل عمل ، ومجاهدة السوء مهما كانت مغرياته ، والله ولى التوفيق .

صلاة الحاجة

السؤال من ـ ع.س.أ ـ من المطرية بالقاهرة يقول : قرأت حديثا عن صلاة الحاجة وفيها قراءة للقرآن الكريم أثناء السجود ، مع أننى قرأت أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن القراءة فى الركوع والسجود . فما رأى الدين فى ذلك ؟

الجواب : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد: فان الله سبحانه هو خالقنا والمنعم علينا ، لانعبد الا اياه ، ولا نستعين بأحد سواه ، وقد أمرنا أن ندعوه ليحقق مطلبنا ، ووعدنا بالاجابة كما **قال سبحانه « وقال ربكم ادعونى أستجب لكم »** وللدعاء أوقات وأماكن يكون فيها أقرب الى الاستجابة ، ومنها وقت السجود فى الصلاة كما **صح فى الحديث « اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعاء »** ومن الخير أن نقدم للدعاء بعمل صالح كصدقة أو صلاة ، كما دعا

أصحاب الغار ربهم بصالح أعمالهم ففرج الله عنهم، **وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كما رواه أحمد (من توضأ فاسبغ الوضوء ثم صلى ركعتين يتمهما أعطاه الله ما سأل معجلا أو مؤخرا) وفى حديث عثمان بن حنيف أن الرسول قال للأعمى الذى طلب منه أن يدعو الله ليكشف عن بصره : انطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ، وعلمه الدعاء الذى يدعو الله به .**

وقد رويت أحاديث فى كيفية صلاة الحاجة تتناقض مع الأحاديث الصحيحة ، منها حديث ابن مسعود الذى جاء فيه صلاة ثنتى عشرة ركعة ، يقرأ فى السجود فاتحة الكتاب سبع مرات وآية الكرسى سبع مرات ، مع ذكر ودعاء ، وقد جرب الناس هذه الصلاة فوجدوها حقا .

والناظر فى هذا الحديث يجده متعارضا مع النهى عن قراءة القرآن فى الركوع والسجود ، **فقد روى مسلم وغيره أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ألا وانى نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا ، أما الركوع فعظموا فيه الرب ، وأما السجود فاجتهدوا فى الدعاء فقمن — بفتح القاف وكسر الميم — أن يستجاب لكم) وروى مسلم وغيره أيضا عن على رضى الله عنه قوله : نهانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا .**

يقول الشوكانى : هذا النهى يدل على تحريم قراءة القرآن فى الركوع والسجود . وفى بطلان الصلاة بذلك خلاف .

وما دام الحديث الصحيح ينهى عن قراءة القرآن فى الركوع والسجود فهو مقدم على حديث صلاة الحاجة الذى تقدم ذكره عن ابن مسعود ، وقال الحاكم الذى رواه : تفرد به عامر وهو ثقة مأمون ، يقول الحافظ المنذرى : أما عامر هذا فهو النيسابورى قال شيخنا الحافظ أبو الحسن : كان صاحب مناكير ، وقد تفرد به عن عمر بن هارون البلخى وهو متروك متهم ، أثنى عليه ابن مهدى وحده فيما أعلم ، والاعتماد فى مثل هذا على التجربة لا على الاسناد .

بعد هذا أنصح بالتثبت مما يعبد الانسان به ربه ، وعدم الجرى وراء أى شىء يظن أن فيه تحقيق رغبته ، فالله لا يعبد الا بما شرع ، ولا يطلب ما عنده الا بما صح فى القرآن والسنة، وهو كثير ، وبالله التوفيق .

الكلام أثناء خطبة الجمعة

السؤال : من الطالب / انور عوض مفتاح العربى ، من منشأة حمادة مركز شبراخيت محافظة البحيرة ، يقول : ما رأى الدين فيمن قاطع الخطيب على المنبر فى تصحيح حديث نبوى أو آية قرآنية ؟

الجواب : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد ، فاحتراما للمسجد وتوفيرا للجو الهادىء للحاضرين فى يوم الجمعة لسماع الخطبة شرع السكوت والانصات ، ونهى عن اللغو والعبث والانصراف عن الخطيب بأى وجه يكون ، قال تعالى : « **واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون** » وذلك لاشتمال الخطبة على كثير من القرآن الكريم كما قال بعض المفسرين ، وجاء فى الحديث المتفق عليه « **اذا قلت لصاحبك والامام يخطب يوم الجمعة أنصت فقد لغوت ومن لغا فلا جمعة له** » **كما فى حديث أحمد « من تكلم يوم الجمعة والامام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا ، والذى يقول له أنصت ليست له جمعة »** والامام أبو حنيفة كره الكلام تحريما من وقت خروج الامام من خلوته حتى يفرغ من الخطبة ، وحرم الحنابلة أى كلام حتى لو كان الخطيب غير عدل ، وأجازه المالكية ان حصل منه ما لا يجوز كمدح من لا يستحق المدح ، وذم من لايجوز ذمه ، هذا ما قاله الفقهاء .

وقد صح أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقطع خطبته اذا وجه اليه سؤال من أحد الحاضرين ، فيجيبه ثم يعود الى خطبته فيتمها ، وفى الحديث المتفق عليه أن رجلا طلب منه وهو يخطب الجمعة ، أن يدعو الله لينزل عليهم المطر فدعا فنزل المطر مدرارا واستمر اسبوعا ، فجاء رجل فى الجمعة المقبلة وسأله وهو يخطب الجمعة أن يدعو الله ليمسك المطر حفاظا على الأموال من التلف ، فدعا قائلا : اللهم حوالينا ولا علينا ، يقول الشوكانى : فى الحديث جواز مكالمة الخطيب

حال الخطبة ومعروف أن امرأة اعترضت على عمر وهو يخطب فى المغالاة فى المهور فلم ينهها بل قال : أصابت امرأة وأخطأ عمر ، وفى احدى الجمع قال للناس اسمعوا قولى وأطيعوا أمرى ، فرد عليه سلمان : والله لا سمعنا قولك ولا أطعنا أمرك ، لأنه لبس ثوبا كاملا لم يلبس مثله بقية الشعب ، فقام ابنه عبد الله وبين أن والده أخذ منه نصيبه ليكمل به ثوبا يقف به أمام الناس وهو يخطب ، الى غير ذلك من الحوادث التى لا تحرم الحديث مع الخطيب بما فيه المصلحة(١) .

ومن هنا لا نجد مانعا من تصحيح خطأ حدث منه فى آية أو حديث اذا كان المصحح واثقا من ذلك ، على أن يكون بأسلوب حكيم لا يحدث لغطا ولا تشويشا ، وأن يغلب على الظن أن الخطيب يسمع ويستجيب ، فان لم يستجب فلا يجوز الالحاح فى التصحيح ، فلعله لم يسمع ، وقد يكون فيه رد فعل سيىء بأى وجه يكون .

ومع جواز ذلك فلعل من الخير أن يرجأ التصحيح حتى ينتهى المصلون من الصلاة ، ثم ينبه الخطيب الى ماأخطأ فيه، وهو بدوره ينبغى أن يعلنه للناس والنقاش الهادىء فيه اثراء للمعرفة ، وبعد عن التهمة ، وتحاش للظنون ، وحفاظ على قدسية المسجد وكرامة العلماء ، وبالله التوفيق ؟

درجات المنبر

السؤال : من أشرف عباس بمدينة نصر بالقاهرة يقول : انتشرت فى المساجد الصغيرة منابر ذات درجات ثلاثة ، فهل المنابر العالية بدعة منكرة ؟

الجواب : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد ، **فقد صح فى البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر نجارا أن يعمل له منبرا يجلس عليه اذا خطب ، فلما عمل من طرفاء الغابة يقول سهل ابن سعد الساعدى : رأيت رسول الله صلى عليها وكبر وهو عليها ثم ركع وهو عليها ثم نزل القهقرى فسجد فى أصل المنبر ثم عاد . فلما فرغ أقبل على الناس فقال : أيها الناس ، انما صنعت هذا لتأتموا ولتعلموا صلاتى . (جـ٢ ص١١) .**

لقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب الناس بجوار جذع من النخل يستند اليه ، ولما كان طول الوقوف شاقا عليه أمر بصنع المنبر ، وكان ثلاث درجات ، الى أن زاد فيه مروان ست درجات ، وجدد أكثر من مرة عند احتراق المسجد، وكان لأمراء مصر فضل كبير فى تجديد المنابر ، واستمر الناس يخطبون على هذه المنابر بدرجاتها التسع دون أن ينكر عليهم أحد ، وحاول الخليفة العباسى سنة ١٦٠ هـ أن يعيد المنبر كما كان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فنصحه الامام مالك بعدم التغيير فيه ، ولو كانت المنابر الجديدة بدعة وضلالة ما كان للامام مالك أن يقرها وينهى الخليفة عن تغييرها .

لقد اتخذ الرسول المنبر من أجل المصلحة ، ولم يكتف بالخطبة عليه ، بل استعمله للصلاة ليكون بارزا وظاهرا لمن يصلون خلفه ، وقال المؤرخون : أن الزيادة فى درجاته كانت بسبب كثرة الناس وحاجتهم الى سماع الخطبة ، حيث كان يستعان على ذلك بارتفاع مكان الخطيب ، ومن هنا نعلم أن كل ما يؤدى الى خير عام ولا يصادم نصا صريحا ولا حكما مقررا ، لا ينبغى أن نبادر بالانكار عليه ووصفه ببدعة الضلالة المؤدية الى النار ، وهل كان المسلمون طوال هذه القرون على جهل بدينهم ، وفيهم أئمة كبار ، حين أقروا ارتفاع المنابر فوق ما كان عليه المنبر النبوى ؟

ان درجات المنبر لم يرد فى تحديدها قول من النبى صلى الله عليه وسلم حتى نلزم به ونعصى عند مخالفته ، فالأمر يدور على المصلحة ، واذا وجدت المصلحة ، فتم شرع الله كما قال المحققون، ان درجات المنابر فى أيامنا الحاضرة تساوى قليلها بكثيرها ، لوجود مكبرات الصوت التى وفرت على الخطيب كثيرا من الجهد ، ومكنت من الاستماع الى الخطبة أكبر عدد من المسلمين ، فهل نحكم على هذه المكبرات بأنها بدعة وضلالة فى النار ، وهى تؤدى الغرض الذى من أجله أمر رسول الله أن يقام له المنبر ؟ ان الدين يحتاج الى من يفهمه على وجهه الصحيح ، وليست العبرة بالمنابر ودرجاتها الصامتة ، انما العبرة بما يلقى من فوقها من علم يجب أن يرقى عشرات الدرجات فى الصدق والاجادة والاتقان ، نسأل الله أن يلهمنا الرشد والصواب انه سميع مجيب، ومنه الهداية والتوفيق .

---

(١) صح أن عمر اعترض وهو على المنبر من تأخروا فى الحضور الى المسجد (مسلم ج ٦ ص ٦٣٠)

قطوف

اعداد : حامد المرسى

جاء فى « سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد » تحت عنوان : « كيفية الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم » :

أعلم أنه لا خلاف فى صحة الاسراء به صلى الله عليه وسلم اذ هو نص القرآن على سبيل الاجمال . وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه أحاديث كثيرة منتشرة عن جماعة من الصحابة . وانما الخلاف فى كيفية الاسراء . فاختلف العلماء فى ذلك على أقوال :

الأول : وهو قول الأكثر أنه كان بالروح والجسد معا يقظة لا مناما من مكة الى بيت المقدس ، الى السموات العلا ، الى سدرة المنتهى ، الى حيث شاء العلى الأعلى .

قال القاضى وغيره : وهو الحق وعليه تدل الآية نصا ، وصحيح الأخبار الى السموات استفاضة ، ولا يعدل عن الظاهر من الآية والأخبار الواردة فيه ، ولا عن الحقيقة المتبادرة الى الأذهان من ألفاظهما الى التأويل . الا عند الاستحالة وتعذر حمل اللفظ على حقيقته . وليس فى الاسراء بجسده وحال يقظته استحالة تؤذن بتأويل . اذ لو كان مناما لقال : سبحان الذى أسرى بروح عبده ، ولم يقل « **بعبده** » . والعبد حقيقة هو الروح والجسد . ويدل عليه قوله تعالى : « **مازاغ البصر وما طغى** » اى ما عدل عن رؤية ما أمر برؤيته من عجائب الملكوت وما جاورها ، لصراحة ظاهرة فى كونه بجسده يقظة ، لأنه أضاف الأمر الى البصر ، وهو لا يكون الا يقظة بجسده ، بشهادة : « **لقد رأى من آيات ربه الكبرى** » . ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة خارقة للعادة تورث عدم صدقه . وان كانت رؤيا الأنبياء وحيا . اذ ليس فيها من الأبلغية وخرق العادة ما فيه يقظة . وأيضا : لو كان مناما لما استبعده الكفار ولا كذبوه ، ولا ارتد به ضعفاء من أسلم وافتتنوا ، لبعده عن ساحة العادة ، ووقوعه فى زمن يستبعد فيه جدا . اذ مثل هذه المنامات لا ينكر ، بل لم يكن منهم ذلك الاستبعاد والتكذيب ، والارتداد ، والافتتان الا وقد علموا أن خبره انما هو عن جسمه وحال يقظته . وقد روى البخارى فى باب الاسراء من صحيحه ، وسعيد بن منصور فى سننه ، عن ابن عباس رضى الله عنه ، فى قوله تعالى : « **وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس** » . هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء ، زاد سعيد، وليست رؤيا منام .

القول الثانى : ان الاسراء كان بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السماء بالروح . ذهب الى هذا طائفة واحتجوا بقوله تعالى : « **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى** » فجعل المسجد الأقصى غاية للاسراء الذى وقع التعجب فيه من

حيث أنه كان فى بعض ليلة . والتعجب فيه من الكفار تعجب استحالة ، ومن المؤمنين تعجب تعظيم القدرة الباهرة ، ووقع التمدح بتشريف النبى صلى الله عليه وسلم ، واظهار الكرامة له بالاسراء اليه ، ولو كان الاسراء الى مكان زائد على المسجد الأقصى لذكره تعالى ، فيكون ذكره ابلغ فى المدح من عدم ذكره . وأجاب الأئمة عن ذلك بأن استدرجهم الى الايمان بذكر الاسراء أولا ، فلما ظهرت أمارات صدقه ، وصحت لهم براهين رسالته ، واستأنسوا بتلك الآية الخارقة أخبرهم بما هو أعظم منها.وهو المعراج. فحدثهم النبى صلى الله عليه وسلم به ، وانزله الله تعالى فى سورة النجم ويؤيد وقوع المعراج عقب الاسراء فى ليلة واحدة رواية ثابت عن انس رضى الله عنه عند مسلم . **« أتيت بالبراق فركبته حتى اتيت بيت المقدس »** فذكر القصة الى أن قال : **« ثم عرج بنا الى السماء الدنيا »** . وحديث أبى سعيد الخدرى عن ابن اسحاق : **« فلما فرغت ما كان فى بيت المقدس أتى بالمعراج»** فذكر الحديث .

القول الثالث : ان الاسراء كان بالروح وانه رؤيا منام، مع اتفاقهم أن رؤيا الأنبياء وحى بشهادة **« يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك »** . وقوله صلى الله عليه وسلم : (الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم) . واحتج من قال بهذا **القول بقوله تعالى : « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس »** ولو كان يقظة لقال « الرؤية » بالتاء . وقول أنس فى حديثه فى رواية شريك : وهو نائم بالمسجد الحرام وذكر القصة الواردة ليلة الاسراء . ثم قال فى آخرها : « استيقظت — أى انتبهت — من منامى وأنا فى المسجد الحرام » .

وهذا المذهب يعزى لمعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه . فان ابن اسحاق قال : « حدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أن معاوية ابن أبى سفيان كان اذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كانت رؤيا من الله تعالى صادقة » ويعقوب وان كان ثقة الا انه لم يدرك معاوية . فالحجة منقطعة .

الاحتيال لتوقى النوازل

قال حكيم : الحازم يحتال للأمر الذى يخافه لعله أن لايقع فيه فليس من القوة التورط فى الهوة ومن لم يتأمل العواقب بعين عقله لم يقع سيف حيلته الا على مقتله .

وقال الشاعر فى هذا المعنى .

اذا المرء لم يحتل وقد جد جده
أضاع وقاسى الصعب وهو مقصر
ولكن أخو الحزم الذى ليس نازلا
به الأمر الا وهو للقصد مبصر

فى ذم الكبر

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

ما وجد أحد فى نفسه كبرا الا لمهانة يجدها فى نفسه .

وقال بعض الحكماء:الكبر أخبث سرائر القلوب وأعظم كبائر الذنوب لا يرى صاحبه أبدا الا فظا غليظا ولا يرى لأحد سواه فى الفضل حظا حظيظا وكفى به شيمة مشنوءة وخلة مذمومة أهلكت الأكابر حديثا وقديما وعاد بها الكريم من الرجال ذميما مليما .

وقال أبو مسلم : « ماضاع الا وضيع ولا فاخر الا لقيط ولا تعصب الا دخيل » .

وقالوا « من قل لبه كثر عجبه » .

قال محيى الدين محمد النحوى :

ومعتقد أن الرياسة فى الكبر
فاصبح ممقوتا به وهو لا يدرى
يجر ذيول الفخر طالب رفعة
ألا فاعجبوا من طالب الرفع بالجر

وقال غيره :

وقل لمعتصم بالتيه من حمق
لو كنت تعرف ما فى التيه لم تته
التيه مفسدة للدين منقصة
للعقل منهكة للعرض فانتبه

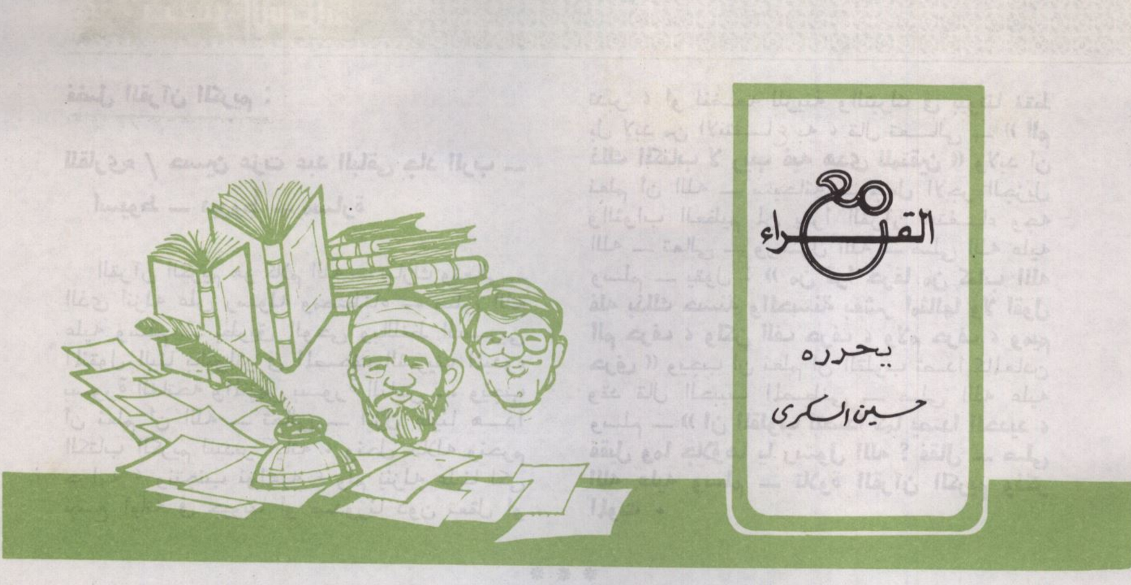

يحرره

حسين السكرى

وردت الينا مجموعة من الرسائل العديدة تتحدث فى موضوعات متنوعة أغلبها مفيدة وهادفة وسنشير هنا الى بعض منها :

اقرأ : للأديب الشاعر ابراهيم خليل ابراهيم رئيس **مجلة** الاثنين الاذاعية باذاعة الشباب والرياضة .

يقول الله تعالى :

((اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم)) .

العلق ١ — ٥

هذه أول آيات القرآن الكريم ، أول أمر من السماء الى الرسول — صلى الله عليه وسلم .. أتدرى لماذا ؟ .. ان الدين يقدر العلم ويدعو اليه لأنه السبيل الى العقيدة السليمة والحياة الصحيحة .. هو غذاء العقل وزاد الروح ، وبه يشق الانسان طريقه الى الحياة ويمضى نحو مستقبل أقوى وأسعد .. والقراءة هى النافذة التى يطل منها الفرد على الثقافة من حوله وبها يحصل المعرفة فينمو فكره ويتسع عقله وتتهذب مشاعره وتستقر نفسه ويستقيم سلوكه .. فاقرأ كثيرا ، واقرأ قراءة واعية ، تتأمل فيها ما تقرؤه وتتفهمه وتختار أحسنه وتحتفظ به ليكون ذخيرة لك تعتمد عليها فى مواقف الحياة التى تواجهك .

***

القراءة الواعية النافعة يا عزيزى هى المدخل الحقيقى لكل أمر من أمور الحياة وهى الذخيرة الحية المستهدفة لكل معتقدمن المعتقدات الصالحة لخدمة البشرية لأنها تدعونا الى التأمل والتدبر والنظر بعين الفكر الثاقب فى كل ما يحيط بنا من عظيم صنع الله والى هذا يشير القرآن الكريم حينما يحث على ذلك حيث يقول الله تعالى : ((أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)) .. وقوله تعالى — ((وفى الأرض آيات للموقنين)) ثم قوله جل جلاله ((قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)) .

فضل القرآن الكريم :

للقارىء / حسين عزت عبد الباقى جاد الرب — اسيوط — ديروط — مسارة

القرآن الكريم هو كلام الله — تبارك وتعالى — الذى أنزله على رسوله ومصطفاه — صلى الله عليه وسلم — بطريق الوحى وباللفظ العربى المنقول الينا بالتواتر فى المصحف الشريف المبدوء بسورة الفاتحة والمنتهى بسورة الناس .. ويجب أن نعلم أن الله — تعالى — أنزل علينا هذا الكتاب الكريم لنتدبر آياته ، ونحل حلاله ونحرم حرامه ، ونتجنب نواهيه ، ولم ينزله علينا لكى نضع آياته فى جيوبنا أو صدورنا دون تعقل أو تدبر ، أو لنضعه للزينة والتبرك فى بيوتنا فقط بل لابد من الانتفاع به ، قال تعالى — **« الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين »** ولابد أن نعلم أن الله — سبحانه — جعل الأجر الجزيل والثواب العظيم لمن يقرأ القرآن ابتغاء وجه الله — تعالى — ورسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : **« من قرأ حرفا من كتاب الله فله بذلك حسنة والحسنة بعشر أمثالها ولا أقول الم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف »** ويجب أن نعلم أن القلوب تصدأ كالمعادن وقد قال الحبيب المصطفى — صلى الله عليه وسلم — **« ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد ، فقيل وما جلاؤها يا رسول الله ؟ فقال — صلى الله عليه وسلم — تلاوة القرآن الكريم وذكر الموت .**

* * *

القرآن الكريم حقا / يا أخى / جلاء القلوب وذهاب الهموم وراحة النفس ، فمن تدبره وعمل بما جاء فيه كان من السعداء الناجين فى الدنيا والآخرة لأن فيه عبرة من قبلنا وحكمة ما بيننا والعظة لمن بعدنا فهو نبراس الحياة الوضاء ، زاخر بكل القيم الثمينة والمبادىء القويمة والمثل العالية الرفيعة نسأل الله — جلت قدرته أن ينفعنا به وأن يجعله لنا مشعلا يضىء لنا الطريق .

وصية :

للقارىء / رشدى عبد الحميد رمضان — ميت الدبية — قلين — كفر الشيخ

عن أبى نجيح السلمى — رضى الله عنه — قال : وعظنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا ، قال : « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وان تأمر عليكم عبد ، وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة » رواه أبو داود والترمذى .

وأبو نجيح هو أحد الصحابة السابقين الى الاسلام ومن أهل الصفة ، وقد وعظهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وذكرهم بالعواقب ونصحهم نصيحة اشتد تأثرهم بها حتى خافت قلوبهم ، ونزفت عيونهم فقالوا : يا رسول الله انك قد استعميت فى عظتنا وشأن المودعين أن يستقصوا فى عظاتهم ولذا خيل لنا أنها نصيحة مودع ، فقد أوصى وصية جامعة فيها خير الدنيا والآخرة .. حيث أوصاهم أولا بتقوى الله وهى خير زاد يتحقق به سعادة الانسان فى الدارين ، وقد أوصى بها الله المسلمين ومن قبلهم من الأمم قال تعالى : **« ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله »** وتقوى الله تعنى العمل بتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه ، ثم السمع والطاعة لولى الأمر وان كان غير أهل للولاية بمعنى أنه يجب موافقته فيما يأمر به وينهى عنه الا اذا أمر باثم فلا طاعة له مصداقا لقول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — **« لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق »** وعن عبد الله بن عمر

عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يأمر بمعصية فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة اذ أن الصبر على ولاية غير الكفء أهون من اثارة الفتن التى لا دواء لها ،

والاختلاف يكون فى انتشار الفتن وظهور البدع فاذا رأيتم هذا الاختلاف فالتزموا التمسك برسول الله ثم الطريق التويم والصراط المستقيم هو طريق الخلفاء الراشدين المهديين من بعد رسول الله — صلى الله عليه وسلم .

* * *

هذه الوصية النبوية الغالية وان قلت كلماتها فهى جامعة مانعة لأن فيها الخير والفلاح والرشد والنجاح فى الدنيا والآخرة حيث انها تصون فى الدنيا شمل الأمة وتجمع شتاتها وتجعلها تلتقى على كلمة واحدة ثم هى فى الآخرة تعصمها من لهيب النيران وتسكنها رياض الجنات مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

وحدة الأمة الاسلامية :

للقارىء وجيه أحمد سليم — كفر الشنهاب — المنصورة — كلية التربية — قسم اللغة العربية

الأمة فى نظر الاسلام هى الجماعة التى تتفق فى عقيدة واحدة ، وأمة الاسلام تعترف بالوحدانية للخالق فبقرآنه يؤمنون ، وبسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — يلتزمون وباسم الأخوة فى الله يتعاملون ، والأمة الاسلامية كلها واحدة لا فرق بين عربى وعجمى الا بالتقوى ، وهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم يعبدون الله ويتبعون هدى رسول الله ، يقول الله — تعالى:

« ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » .

الأنبياء — ٩٢

ولذلك كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ينكر على المسلمين كل نوع من أنواع التفرق فى الجنس النسبى أو اللغة ، فقد حدث أن أبا ذر — رضى الله عنه — تغاضب مع بلال الحبشى وتسابا فقال له أبو ذر : يا ابن السوداء فشكاه بلال الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : لأبى ذر **« اعيرته بأمه .. انك امرؤ فيك جاهلية »** رواه البخارى .

ووحدة اللغة تجمع المسلمين ، فمن تكلم بالعربية فهو عربى ، ولذلك لما جاء قيس بن مطاطية ينكر على سلمان الفارسى وصهيب الرومى وبلال الحبشى نصرتهم لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهم ليسوا من العرب، فقام معاذ بن جبل وأخذ بتلابيبه ثم اتى النبى وأخبره بما قاله المنافق فقام النبى — صلى الله عليه وسلم — يجر رداءه ثم نودى ان الصلاة جامعة وقال : « يا أيها الناس ان الرب واحد والأب واحد وان الدين واحد ، وليست العربية من اب ولا ام ، وانما هى اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربى » فقام معاذ وقال : ما تأمرنى بهذا المنافق يا رسول الله ؟ قال : دعه الى النار .. فكان قيس ممن ارتد فى الردة فقتل، من هذا ينبغى أن نعلم أن الأمة الاسلامية أمة ينبغى لها العزة والكرامة ، وينبغى أن تحرص هى على ذلك وأن ترجع الى كتاب الله وسنة رسوله ففيهما ما ليس فى غيرهما ، فلتتحد الأمة كى تسعد فى دنياها وأخراها ، ولتبتعد عن التمزق والتشتت ، لنكن جسدا واحدا كما قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — **« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »** رواه مسلم وأحمد .

وصدق رسول الله حين قال : **« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »**

وصدق الله العظيم القائل :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » .

آل عمران — ١٠٣

* * *

الوحدة غاية عظيمة ينشدها الاسلام دائما ويدعو اليها منذ فجر الدعوة الاسلامية لأنها تجمع المسلمين جميعا تحت راية القرآن الكريم وسنة الرسول العظيم وتجعل الأمة عزيزة قوية مرهوبة الجانب يخافها القاصى والدانى ويرهبها كل معتد أثيم ولا يجرؤ حاقد أو حاسد أن يغتصبها أو يجور عليها ومن هنا تحيا سعيدة هانئة فى ظل وحدتها وقوتها .

التشاؤم فى الاسلام :

للقارىء احمد محمود شلبى ــ ليسانس اصول الدين ــ جامعة الأزهر

استهل القارىء الكريم كلمته بالشكر الوافر لمجلة منبر الاسلام فجاء على لسانه :

ان لمجلتكم الغراء أثرها الواضح فى نفوس المسلمين على هذه المعمورة اذ تتحدث باسم الاسلام فى وعى تام لرسالتها تجاه الدعوة الى الله وتبصير المسلمين بما يدور على الساحة الاسلامية من أحداث جسام .. وفقكم الله لتحقيق أسمى الغايات من احقاق الحق ودحض الباطل وجزى الله القائمين على هذه المجلة خير الجزاء ، وأريد أن أكون صديقا لمجلتكم الغراء وأريد أن أسعد وأشرف بنشر هذه الكلمة فى باب (مع القراء) وجزاكم الله خير الجزاء .. والمجلة نزولا على رغبته تلبى طلبه وترحب به صديقا لها حيث يقول فيما كتبه : ان التطير والتشاؤم ببعض الأشخاص أو الأمكنة أو الأزمنة من الاوهام التى راجت سوقها قديما ولا تزال رائجة عند بعض الجماعات والأفراد .. وكان فرعون وقومه اذا أصابتهم سيئة يتطيرون بموسى ــ عليه السلام ــ ومن معه وكثيرا ما كان الكفار حينما ينزل بهم البلاء يقولون لرسل الله ، (انا تطيرنابكم) وكان جواب هؤلاء المرسلين (طائركم معكم) أى سبب شؤمكم مصاحب لكم وهو كفركم وعنادكم .. انها اعتقادات باطلة وقد جاء الاسلام وابطلها فعلا وردها الى النهج القويم وأكد ذلك على لسان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ حيث يقول : « لا عدوى ولا طيرة » وأثبت بما لا يدع مجالا للشك أن التشاؤم قائم على غير أساس من العلم أو الواقع وأنه انسياق وراء الضعف وتصديق الوهم ، والا فما معنى أن يصدق انسان عاقل أن النحس فى وقت معين أو رقم معين أو انزعاج من صوت طائر أو حركة عين أو سماع كلمة .. ان كل شىء من عند الله وبيد الله وان التشاؤم لا يجيزه العقل ولا يقبله الاسلام .

« والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

* * *

يرجع هذا الاعتقاد غالبا الى ضعف الايمان وعدم التسليم بقضاء الله وقدره فالناس بطبعهم يميلون دائما ويحبون أن تمضى حياتهم فى سلام وسعادة وأمن واستقرار وعز وجاه فاذا ما صادفهم شىء اعترض طريقهم أو غير مجرى حياتهم او كدر صفو سعادتهم اختلقوا المعاذير والقوا باللوم والتبعة على غيرهم ولكنهم لو فكروا قليلا وعرفوا أن الله هو المدبر وهو المهيمن على كل شىء لآمنوا وسلموا بالواقع وفى هذا نجاتهم من الوساوس والأوهام وما اصدق قول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ « لو اجتمعت الأمة على أن ينفعوك بشىء لن ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على ان يضروك بشىء لن يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك » .

بريد الشعر

بك آمنت :

للشاعر محمد عبد السلام عطا ـ رئيس قسم تعليم الكبار بالشرقية ـ بالمعاش حاليا

هاك طيف الأمان يبدو لنفسى — عاطر الأنسام يسرى بحسى
ينساب لحنا عبقرى المعانى — له فى مسمعى سحر جرس
وأعادت بسمة الربيع زهورا — طالما رمتها يوم ضقت بنفسى
وشدت فى أفقى الجديد طيور — شاقها الشدو بعد أسر وحبس
فوق غصن من الجمال نضير — راقصات المنى أفرغته بكأسى
ان كأس الفنون يخلو من الغول — لا بكأس لاذع التحسى
فتغنى الفؤاد بالنغم الحلو يناجى الهوى فى نداء وهمس
وأتاح السرور للقلم الوحى — فالقى نشيده فوق طرسى
وانجلت عنى الهموم وأمست — كهضيم من العظام برمس
وعبير البيان يزداد طيبا — من خيال فى عالم الشر منسى
فى طريق الهدى أروم حياة — شع فيها الضياء من لآلىء قدس
أنت ربى على كل شىء قدير — لا يعود الرجاء منك ببخس
أنت أمنى اذا استبد بى الخوف — وحصنى من الشرور وأنسى
وضيائى اذا الليالى اكفهرت — ورجائى بكل كرب وبأس
قابل التوب ، غافر الذنب عالم الغيب — تجاه الرشاد تهدى وترسى
بك آمنت ، كل آى أمامى — تدفع الشك لا تحاط بلبس
لم يعد بالقضاء ثغرة خلف — تتراءى فى خيالى وحدس
فاصفح الصفح الجميل فانى — أرى الصفح من جنابك عرسى
فى مجاليه اجتلى حياتى روضا — طاهر العطر لا يمس برجس
ويزيد الايمان غرسى فيه — وغراس الايمان أجمل غرس
وسع كرسيك السموات والأرض — صفحة الملك فى العقيدة درسى

* * *

الايمان بالله ساحة رحبة وجنة وارفة الظلال يحن اليها كل ظامىء ويهفو الى ريها ونورها كل صادى وينعم بعبيرها وشذاها كل حائر ، فهى الحمى لمن استجار بها وهى السكن عند الشدائد والملمات لأن الايمان يبعث الأمان فى القلب والهدوء فى النفس والرضا بخير الحياة وشرها وحلوها ومرها ويجعل صاحبه يحلق فى أجواء الفضيلة وعوالم اللانهائية حيث الرخاء والصفاء والجلال والجمال .

ومض الشباب

الى الشاعرة ـ سهام اسماعيل حجى :

قصيدتك ((ومض الشباب)) جيدة السبك ، فيها روح شاعرية أصيلة ، لكننا نعتذر من عدم نشرها . ذلك لأن القصيدة تعبر عن نزعة تشاؤمية ، والشعر الذى ننشره على صفحات المجلة هو الشعر الاسلامى ، والاسلام دين التفاؤل ، وليس دين التشاؤم .

نسأل الله ان يكشف عنك ما انت فيه ، وان تجود قريحتك بشعر فيه بسمة الأمل وطابع الاسلام ..

للأستاذ ناصف سليم

المسابقات فى الإسلام وسيلة لا غاية

لست فى هذا المقال متحدثا عن أهمية تربية الشباب بالأسلوب الذى يمكنه من اعتياد الحياة الخشنة . وتعوده على الصبر والجلد والكفاح الشاق فقد أصبح هذا من البديهيات المحفوظة ، ولكننا نتحدث اليوم ، وبعد اليوم عن وسائل ذلك .. الأدوات الموصلة والمستخدمة فى اكتساب الانسان بعامة صغيرا او كبيرا قوة فى نفسه وبدنه . وأهمها التدريب الرياضى المتنوع . وإذا أمكن بناء الفرد بناء قويا سليما صار المجتمع كله قويا ، وإذا كان الأفراد كلهم اقوياء كانوا أعزة . والاسلام لم يأمرنا باكتساب القوة للحرب وحدها .. بل هو يريدها سببا للعزة .. فى الحرب والسلم على السواء .

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » المنافقون آية٨ .

وقال ﷺ : « من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منا » . ومن هنا كان من أهم واجبات الانسان على نفسه أن يحافظ على صحته فيصير كما وجهه الاسلام قويا عزيزا مرهوب الجانب ، وليس أحفظ للصحة من أنه يلتزم الانسان فى حياته الخاصة والعامة بما أمر الاسلام .

إنه يريده إنسانا صافى القلب . لا يحقد فيصاب بأمراض نفسية ولا يخاصم فينتقم ويعيش فى قلق ، لامنحرفا غارقا فى الشهوات ولامترفا منعما فيضعف عن الدفاع عن نفسه ووطنه .

من أيام يعقوب

وقد أتخذ العلم الحديث وسائل مختلفة يكتسب الانسان قوة فى نفسه وبدنه ، وقبل ذلك كان الانسان يستفيد من ظروف البيئة التى يعيش فيها ليحقق الهدف نفسه والقراءات فى كتب التراث تشهد بذلك .. وإن إخوة يوسف عليه السلام حين كذبوا على أبيهم يعقوب ، ذكروا له ـ كذبا ـ أنهم ذهبوا إلى الخلاء للتسابق .

« قالوا ياأبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا » يوسف آية ١٧ .

وتلك إشارة من بعيد إلى أنه قد جرت العادة على أن التسابق لديهم معروف . فى الجرى أو الرمى .

والتسابق فى الجرى . هو أصل الرياضة . لأنه فى متناول كل أحد وليس فى حاجة إلى أدوات يستخدمها المتسابقون ، وإنما هو فى حاجة إلى « علامات » للبداية والنهاية يعرفونها .

وانتقلت إلى العالم

وقد اتجه العالم كله اليوم إلى هذا النوع من السباق فهو فى غنى عن الأعباء المادية ، غاية مافى الأمر . أنهم أطلقوا عليه « اختراق الضاحية » .. لأنهم يتجاوزون المدن إلى الضواحى . وتصل مسافته إلى ٤٢ كيلو مترا فيما أطلقوا عليه الماراثون .

وفى السباقات العامة . حددوا أعمار المتسابقين ، فليس ابن الأربعين كابن

العشرين ، وحددوا الجوائز بعيدة عن المراهنات . .

وحقيقة بقيت اللعبات الأساسية على مستوى العالم كله خالية من العبث إلى أن دخل الغش والاحتراف مسابقات الجرى فى الألعاب الأولمبية وبطولات العالم . فخسرنا لعبة أساسية من هذه اللعبات التى يجب أن نبدأ فيها مع أطفالنا فى سن مبكرة وهى السباحة والجمباز وألعاب القوى . .

وهذه الأخيرة . وإن كانت متنوعة الفنون . فإن الأصل فيها هو الجرى . . لأنه فى متناول كل إنسان . .

وكان الجرى من رياضات رسولنا عليه الصلاة والسلام لأنه ميسور ولأن البيئة تسمح به وتعاون عليه ، لعل الذين يعجبون من قدرة الرسول عليه الصلاة والسلام والصديق أبى بكر من قطع المسافة بين مكة والمدينة فى الهجرة ، لطولها ووعورة مسالكها لم يلتفتوا إلى ممارستهم لرياضة الجرى والمشى . حتى اعتادوا السير لمسافات طويلة منذ نعومة أظفارهم . . أما نحن اليوم فأصبحنا نشعر بالتعب والارهاق . فى السير لمسافة قصيرة ، بل نشعر بالاعياء فى قطع المسافة نفسها بين مكة والمدينة بالسيارة . .

الرسول ﷺ . . وعائشة

والأحاديث التى تثبت انتشار رياضة المشى والجرى والرماية والسباحة . كثيرة . ومن حديث مشهور لعائشة رضى الله عنها جاء فى مسند أحمد وسنن أبى داوود قولها :

« سابقنى رسول الله ﷺ فسبقته فلبثنا حتى إذا أرهقنى اللحم سابقنى فسبقنى : فقال هذه بتلك » .

وإلى جانب ما يتحقق من فوائد المشى والجرى فى هذا الحديث وأن زيادة الوزن لاتساعد على تحقق السبق ، انظر إلى الزوج وزوجته ، ومداعبة الرسول لأهله .

وقد جاء فى رواية أخرى : أنهم كانوا فى سفر ، فقال النبى ﷺ لأصحابه :

تقدموا فتقدموا ، ثم قال سابقينى فسبقته ثم سابقنى وسبقنى ، فقال هذه بتلك .

ومن هذه الأحاديث ومتابعة السيرة العطرة للرسول ﷺ وصحابته ، وعلماء المسلمين نقف على حقيقة الهدف من الرياضة . ونعرف أن التسابق فيها وسيلة لاغاية . . وما فسدت الرياضة . . بمختلف أنواعها . إلا عندما اعتبر المتسابقون فيها أن السبق هو الهدف . . فاختلطت المفاهيم . .

الأولمبية فى البداية

وللانصاف نقول ونقرر :

أن الألعاب الأولمبية فى بدايتها طبقت مبادىء الاسلام بنصها وحرفيتها فى مسابقاتها . فقد كان ميثاق « كوبير كان » الفرنسى الذى أعادها مرة اخرى عام ١٨٩٦ ينص على أن الفوز ليس غاية . وأن الهدف تنافس نبيل وأنه لاترتيب فى نهاية الدورة تتقدم فيه دولة على دولة .

ثم لما اختلطت المفاهيم رأينا ما حدث فى سول ١٩٨٨ فلم يكن « بن جونسون » الكندى الذى حقق رقما متقدما جدا فى المائة متر هو وحده الذى غش وتناول العقاقير التى تساعده مؤقتا على تحقيق الفوز ثم تقضى عليه فى النهاية الى جانب أنه سرق جهد غيره .

العالم يحاول العودة

ويسعدنا جميعا كمسلمين كما نعرف من تراثنا . . وكما دعا إليه ديننا أن الاسلام لم يقر مبدأ الممارسة الرياضية إلا على أسس هادفة . . وجعل الرياضة وسيلة للقوة والعزة وليست غاية نسعى إلى تحقيقها بأى ثمن مشروع أو غير مشروع . .

ونسعد أكثر حين نرى العالم كله فى إجتماعاته الدولية ومؤتمراته العلمية يسعى لكى تعود المسابقات إلى أصلها . . لتكون وسيلة لاغاية ، ابتداء من الجرى فى المضمار الى الكرة فى الملعب .

وكان من أهداف الاسلام فى بدء الدعوة أن يتخذ من الرياضة وسيلة لاكتساب القوة للجيش ليقوى بها على أعدائه . . ومازال ذلك مطلوبا وإن اختلفت الأدوات

الوسائل :

فالاسلام . . لم يقر ما شاع فى دول أمريكا اللاتينية وأسبانيا . من مصارعة الثيران . أو صراع الديكة . أو المسابقة بين الكلاب . . فكلها مسابقات للترفيه تؤدى إلى تعذيب الحيوان ، وهو أمر منهى عنه فى الاسلام .

وسائل السباق

وإنما أقر الاسلام أن يكون السبق بوسائل تنمى قدرات الاستعداد للمعارك . نرى ذلك فى حديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ لاسبق إلا فى خف (كناية عن الابل) أو نصل (كناية عن السهم) أو حافر (كناية عن الخيل) .

ولم يكن ذلك حراما . حتى لو تحددت له جائزة يحصل عليها المتسابق الذى جهز الناقة أو السهم أو الفرس .

فقد قال الشوكانى : إن فى الحديث دليل على جواز السباق على جُعَل ، فإن كان الجُعَل من غير المتسابقين كالامام يجعله للسابق فهو جائز بلا خلاف .

وفى هذا الموضوع تفاصيل أخرى . . نوردها فى حديث قادم بإذن الله . . لنؤكد أن السباقات وسائل وليست غايات وأن الذين ينادون بتنظيم مراهنات على مباريات كرة القدم أسوة بالمتبع فى الدول الأوروبية وغيرها ، يخالفون مبدأ إسلاميا معروفا . . ويتخذون من الرياضة تجارة وإثارة وإفسادا للشباب . .

بريد التعارف

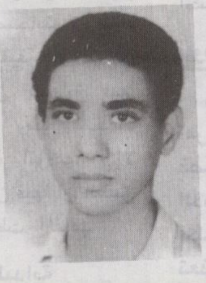

الاسم : ممدوح لطفى عبد الباقى
السن : ١٦ سنة
العنوان : الكرسه مركز طنطا غربية
الهواية : المراسلة والاطلاع الدينى
المهنة : طالب

الاسم : محمد محمد ثابت توفيق
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة
العنوان : المنيا — بنى مزار — المساكن الشعبية الغربية بجوار الأمن

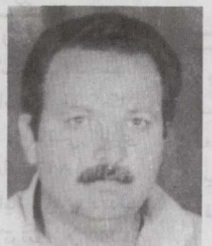

الاسم : محمد عبد القادر الكفراوى
السن : ٤٠ سنة
المهنة : موظف
الهواية : الاطلاع الدينى
العنوان : الروضة — فارسكور — دمياط المساكن الشعبية بجوار نقطة شرطة الروضة

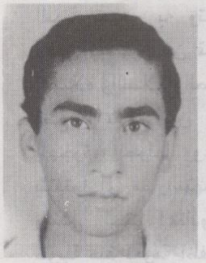

الاسم : عماد شوقى ابراهيم حمادة
السن : ٢١ سنة
المهنة : طالب
الهواية حفظ القرآن والاطلاع الدينى
العنوان : أشمون محافظة المنوفية

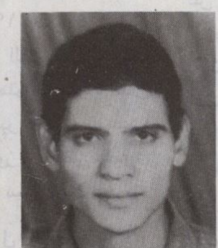

الاسم : نبيل فولى محمد منجى
السن : ١٩ سنة
الهواية : المراسلة : الاطلاع
العنوان : المنيا — بنى مزار — شارع قطب

الاسم : عاشور عبد الرازق اسماعيل
المهنة : مدرس زراعى
الهواية : المراسلة
العنوان : محافظة قنا — مركز فرشوط — الشقينى

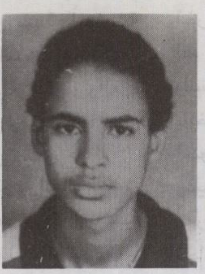

الاسم : محمد محمود عبد الموجود احمد
السن : ١٦ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة — القراءة — السباحة
العنوان : محافظة قنا — مركز قوص — قرية الحلة

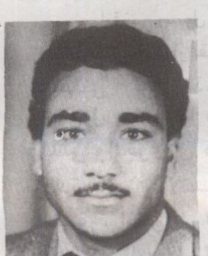

الاسم : محمد جبر يونس
السن : ٢١ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة — الاطلاع الدينى
العنوان : ش أبواليزيد البسطاسى — مازورة — البلهاس

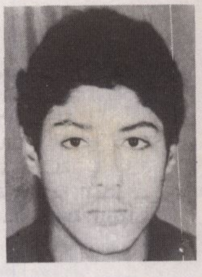

الاسم : صلاح زهران محمود الخولى
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب
الهواية : القراءة ـ الثقافة الدينية
العنوان : ش أبو اليزيد البسطاس ـ ساقلته ـ سوهاج

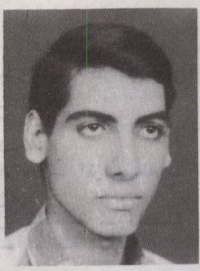

الاسم : أشرف أحمد عبد العظيم
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة ـ قراءة الكتب الدينية
العنوان : محافظة الدقهلية ـ بلقاس ش الثورة

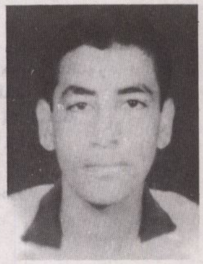

الاسم : على عثمان حسن ابراهيم
السن : ١٥ سنة
المهنة : طالب
الهواية : القراءة
العنوان : أبو رجوان القبلى ـ الجيزة

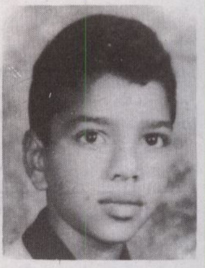

الاسم : محمد شعبان عبد العزيز محمود
السن : ١٦ سنة
المهنة : طالب ثانوى
العنوان : ٣ ش المدرسة ميت عقبة الجيزة

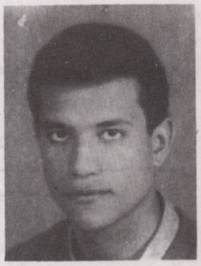

الاسم : ياسر أحمد عيد موسى
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة وقراءة الكتب الدينية والثقافية
العنوان : محافظة الدقهلية ـ مركز بلقاس ـ شارع خالد بن الوليد أمام مصنع الزيوت والصابون

الاسم : حسام الدين عبد السلام عبد الغنى
السن : ١٦ سنة
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : الاطلاع الدينى ـ المراسلة مع الشباب المسلم
العنوان : طنابل الغربى ـ أجا ـ دقهلية

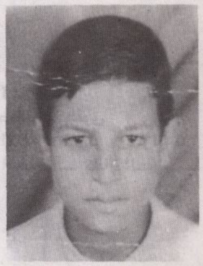

الاسم : سعيد صلاح منصور
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب
الهواية : قراءة القرآن والاطلاع الدينى
العنوان : محافظة المنيا ـ مركز العدوه ـ عطف حيدر

الاسم : محمد سليمان حلاوة
السن : ١٥ سنة
الهواية : المراسلة ـ الاطلاع الدينى ـ كرة القدم
العنوان : الجلاتمة ـ امبابة ـ جيزة بقالة الحاج سليمان حلاوة منزل الحاج سليمان حلاوة

الاسم : مجدى سليمان حلاوة
السن : ١٦ سنة
الهواية : المراسلة ـ قراءة المجلات الدينية
العنوان : امبابة ـ جيزة ـ منزل الحاج سليمان حلاوة ـ الجلاتمة

الاسم : محمد خميس محمد
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب
الهواية : الاطلاع الدينى ـ حفظ القرآن ـ كرة القدم ـ المراسلات
العنوان : محافظة أسيوط ـ مركز ديروط ـ قرية أبو المهور

الاسم : عبد السلام ابراهيم على السعدنى
السن : ١٥ سنة
المهنة : طالب
الهواية : القراءة ـ المراسلة ـ الاطلاع
العنوان : قرية بلقينة ـ المحلة الكبرى ـ محافظة الغربية

الاسم : محسن رزق عبد العزيز نوفل
السن : ١٦ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة
العنوان : كفر الترعة الجديد ـ مركز شربين ـ محافظة الدقهلية

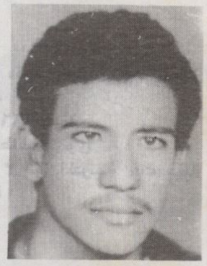

الاسم : محمد سيد محمد على الأبنودى
السن : ٢٢ سنة
المهنة : موظف بشركة مصر للتامين فرع قنا
الهواية : لعب كرة القدم ـ المراسلة
العنوان : قنا ـ أبنود ـ ش العمدة

الاسم : حميدو عاشور
المهنة : طالب
السن : ٢٤ سنة
الهواية : المراسلة
العنوان : بلبيس شرقية ش المطافى جبل عمرو

الاسم : مدحت عبد الحميد ابراهيم
السن : ١٧ سنة
الهواية : الشعر ـ المراسلة ـ القراءة
المهنة : طالب
العنوان : القليوبية ـ شبرا الخيمة ـ مدينة التعاون٢٥ ش عزيزصدقى

الاسم : فتحى يونس عبد السلام ادريس
السن : ٢١ سنة
الهواية : المراسلة وتبادل الآراء
العنوان : محافظة الشرقية مركز الحسينية جزيرة عليوة

الاسم : أحمد محمد عبد الرحمن
السن : ٣٨ سنة
المهنة : مدرس الخط العربى بمعهد المنصورة الدينى الاعدادى الأزهرى للبنين
الهواية : تربية التلاميذ على منهج الاسلام
العنوان : ميت عنتر ـ طلخا ـ دقهلية

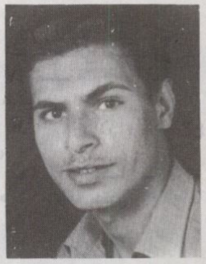

الاسم : نصر السعدى ميكائيل
السن : ٢٢ سنة
المهنة : طالب بالحقوق
الهواية : الاطلاع الدينى والمراسلة
العنوان : أسيوط ـ كلية الحقوق ـ

الاسم : عبد الرحيم أحمد عبدالغفار مراد
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب
الهواية : الاطلاع
العنوان : محافظة ـ قنا ش المنشية الجديدة بجوار مدرسة الزراعة

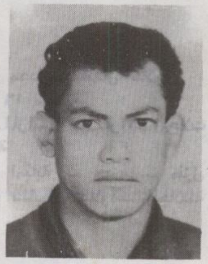

الاسم : كرم أحمد ابراهيم
السن : ٢١ سنة
المهنة : طالب
الهواية : كتابة الشعر ـ والاطلاع على الجديد
العنوان : سماتاى ـ قطور ـ غربية

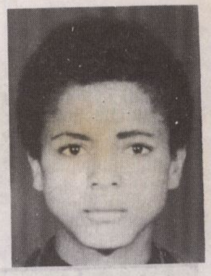

الاسـم : حسين عزت عبد الباقى جاد الرب
السـن : ١٦ سـنة
المهنـة : طالب
الهواية : المراسـلة
العنوان : مسارة ـ ديروط ـ اسيوط

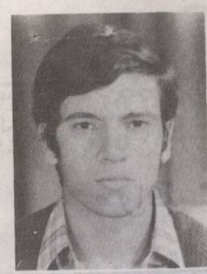

الاسـم : حامد محمد دويدار
السـن : ٢٥ سـنة
المهنـة : طالب
الهواية : كتابة المقالات وكثرة الاطلاع
المعنوان : السـنطة ـ غربية

الاسـم : محمد السيد عبد الجواد
المهنـة : طالب
السـن : ١٥ سنة
الهواية : المراسـلة
العنوان : المساكن الشعبية بالسنطة محافظة الغربية

الاسـم : عصام محمد على محمود
السـن : ٢١ سـنة
المهنـة : أمين شرطه
الهواية المراسلة
المعنوان : حلـوان الحمـامات ـ المعصرة ـ منشية الأعصر ـ شـقة ١٧ منزل ٧

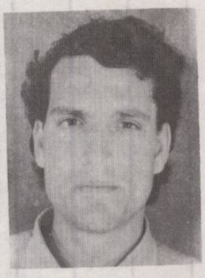

الاسم : زكى عبد الرحمن
السـن : ٢٥ سـنة
المهنـة : تاجر
الهواية : المراسلة ـ تبادل الاراء ـ وقراءة الكتب الاسلامية
العنوان : ص.ب ـ ٢١ تاغزوت رقم ٣٩٤٧٠ ولاية الوادى ـ الجزائر

الاسم : سيد أحمد حسنين عبدالحكيم
السـن : ٢٥ سـنة
المهنـة : مراجع حسابات
الهواية : قراءة القرآن
العنوان : قنا ـ دشنا ـ فاو بحرى ـ جزيرة الحمودى

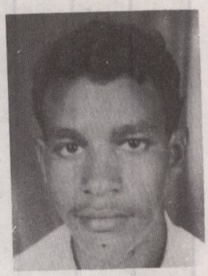

الاسم : حسن عبد الله محمد
السن : ١٩ سنة
المهنـة : طالب
الهواية : الاطلاع الدينى ـ والمراسلة
العنوان : قنـا ـ ش سـيدى عبد الرحيم ـ منزل ١٩٤

الاسـم : شعبان أحمد رشاد
السـن : ٢٧ سـنة
المهنـة : سائق سيارة
الهواية : كمال الأجسام ـ والرسم
العنوان : شارع سعد زغلول بجوار محلات البيطاوى

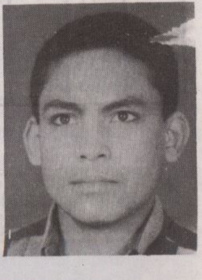

الاسم : السيد دعبس محمد صيام
السـن : ١٥ سـنة
الهواية : القراءة والمطالعة الدينية
العنوان : كفر الشيخ ـ الحامول ـ الأبعادية البحرية

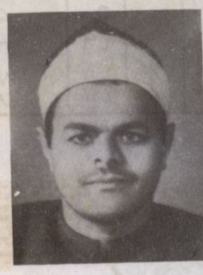

الاسم : عبد المنعم السيد سليم
السـن : ٢٩ سـنة
المهنـة : محفظ قرآن
الهواية : قراءة الكتب الدينية
العنوان : كفر الشنهاب مركز المنصورة دقهلية

مواقيت الصلاة

اليوم	١٤٠٩ رجب	١٩٨٩ فبراير	الفجر		شروق		الظهر		العصر		المغرب		العشاء	
			ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س
الثلاثاء	١	٧	١٣	٥	٤١	٦	٩	١٢	١٤	٣	٣٦	٥	٥٥	٦
الاربعاء	٢	٨	١٣		٤١		٩		١٥		٣٧		٥٦	
الخميس	٣	٩	١٢		٤٠		٩		١٦		٣٨		٥٧	
الجمعة	٤	١٠	١١		٣٩		٩		١٦		٣٩		٥٧	
السبت	٥	١١	١١		٣٨		٩		١٧		٣٩		٥٨	
الأحد	٦	١٢	١٠		٣٨		٩		١٧		٤٠		٥٩	
الاثنين	٧	١٣	٩		٣٧		٩		١٨		٤١		—	٧
الثلاثاء	٨	١٤	٨		٣٦		٩		١٩		٤٢		—	٧
الأربعاء	٩	١٥	٨		٣٥		٩		١٩		٤٣		١	
الخميس	١٠	١٦	٧		٣٤		٩		٢٠		٤٤		٢	
الجمعة	١١	١٧	٦		٣٣		٩		٢٠		٤٤		٢	
السبت	١٢	١٨	٥		٣٢		٩		٢١		٤٥		٣	
الأحد	١٣	١٩	٤		٣١		٩		٢١		٤٦		٤	
الاثنين	١٤	٢٠	٣		٣٠		٩		٢٢		٤٧		٤	
الثلاثاء	١٥	٢١	٣		٢٩		٩		٢٢		٤٧		٥	
الأربعاء	١٦	٢٢	٢		٢٨		٨		٢٣		٤٨		٦	
الخميس	١٧	٢٣	١		٢٧		٨		٢٣		٤٩		٦	
الجمعة	١٨	٢٤	٠	٥	٢٦		٨		٢٣		٥٠		٧	
السبت	١٩	٢٥	٥٩	٤	٢٥		٨		٢٤		٥٠		٨	
الأحد	٢٠	٢٦	٥٨		٢٤		٨		٢٤		٥١		٨	
الاثنين	٢١	٢٧	٥٧		٢٣		٨		٢٥		٥٢		٩	
الثلاثاء	٢٢	٢٨	٥٦		٢٢		٧		٢٥		٥٢		١٠	
الأربعاء	٢٣	أول مارس	٥٥		٢١		٧		٢٥		٥٣		١٠	
الخميس	٢٤	٢	٥٤		٢٠		٧		٢٥		٥٤		١١	
الجمعة	٢٥	٣	٥٣		١٩		٧		٢٥		٥٥		١٢	
السبت	٢٦	٤	٥١		١٨		٧		٢٥		٥٥		١٢	
الأحد	٢٧	٥	٥٠		١٧		٧		٢٦		٥٦		١٣	
الاثنين	٢٨	٦	٤٩		١٦		٦		٢٦		٥٧		١٤	
الثلاثاء	٢٩	٧	٤٨		١٤		٦		٢٦		٥٧		١٤	
الاربعاء	٣٠	٨	٤٧		١٣		٦		٢٦		٥٨		١٥	

في هذا العدد

□ كلمة التحرير	التحرير	١
□ حديث الشهر	بقلم رئيس التحرير	٢
□ مع القرآن الكريم		٥
● تفسير سورة الأنعام	الدكتور محمد سيد طنطاوى	٦
● حضارة دولة سبأ وأسباب انهيارها	الدكتور ابراهيم العدوى	١٣
● التفسير الموضوعى للسورة القرآنية	الدكتور سيد مرسى ابراهيم	١٦
□ فى رحاب السنة :		
● الاسراء والمعراج	فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى	٢٠
● الاسراء والمعراج (شعر)	الأستاذ عمر عسل	٢٧
● المعجزات امر آخر غير غرائب المخترعات	الدكتور محمد سيد احمد المسير	٢٨
● ذكريات الاسراء (شعر)	الأستاذ محسن عبد المعطى عبد ربه	٣٢
● آية الاسراء والمعراج	الدكتور السيد رزق الطويل	٣٤
● فى ذكرى الاسراء والمعراج (شعر)	الأستاذ ايمن دسوقى	٣٨
● عندما اشرق الصباح على ليلة المعجزة	الشيخ عبدالعزيز عبد الغفار الشاذلى	٣٩
● رباعيات : الاسراء والمعراج (شعر)	الأستاذ عبد الغنى أحمد ناجى	٤٢
● موقف العقل من الاسراء والمعراج	الأستاذ صلاح الدين الهادى	٤٤
● ضيف السماء (شعر)	الأستاذ محمد حليم حامد غالى	٤٧
● من فوق المنبر : فى ذكرى الاسراء والمعراج	فضيلة الشيخ محمد عبد الواحد احمد	٤٨
● الموكب الميمون (شعر)	الأستاذ محمد أمين الشيخ	٥١
● اليهود يغيرون المعالم الاسلامية	عرض وتقديم بسيونى الحلوانى	٥٢
— هذا هو العلم فى الاسلام	الدكتور ابو الوفا الغنيمى التفتازانى	٥٨
— رسالة بغداد :	اعداد عبد اللطيف فايد ـ عبد العظيم ملوك	٦٤
— الزواج بمصر فى صدر الاسلام	الدكتور رمضان عبد التواب	٧٧
— قيم اسلامية للحياة : تعالوا نتعاون	الأستاذ محمد ابراهيم الخطيب	٨٠
— بركات حياة محمد فى حياة الدكتور هيكل	الأستاذ حافظ محمود	٨٣
— أهم معارك الدفاع عن الاسلام	الدكتور سامى عبد العزيز الكومى	٨٦
— الاسلام دين عالمى بالموعظة الحسنة	الدكتور محمد أحمد سلامة	٨٩
□ الأسرة المسلمة :		
● ميراث البنات .. مناقشة وبيان	الدكتور عبد الرحمن العدوى	٩٤
● المرأة المسلمة والحقوق المزعومة	الدكتور السيد الجميلى	١٠٠
□ رسالة علمية حول شمول الشريعة الاسلامية	عرض وتقديم مجاهد خلف	١٠٣
□ من المكتبة الاسلامية :		
— الاسراء والمعراج والعلم الحديث	عرض وتقديم نزار قنديل	١١٠
— رفع الاصر عن قضاة مصر	عرض الدكتور حامد عبد المجيد	١١٤
● وسيلة الاسلام بالنبى عليه الصلاة والسلام	عرض صلاح احمد الطنوبى	١١٧
□ اخبار ولقاءات :	اعداد منير بيومى ومحمد عبد الوهاب	١٢٠
□ انت تسأل والمفتى يجيب	فضيلة الشيخ عطية صقر	١٢٥
□ قطوف	اعداد حامد المرسى	١٣١
□ مع القراء	يحرره حسين السكرى	١٣٣
□ الرياضة والشباب « المسابقات فى الاسلام »	الأستاذ ناصف سليم	١٣٨
□ بريد التعارف		١٤٠
□ مواقيت الصلاة		١٤٤

يسر

المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

أن يزود المكتبة الإسلامية والقارئ المسلم

فى جميع أنحاء العالم الاسلامى

بالمطبوعات التى ظهرت حديثا

◉ المنتخب فى تفسير القرآن الكريم

طباعة أوفست ٢ لون تجليد فاخر بصمة ذهب

◉ الأحاديث القدسية

جزءان فى مجلد واحد

◉ مساجد مصر وأولياؤها الصالحون

من الجزء الأول الى الجزء الخامس

◉ الفتاوى الإسلامية

من المجلد الاول الى المجلد الثالث عشر

مراكز البيع

القاهرة : ٣ شارع الامير قدادار المتفرع من ميدان التحرير

الاسكندرية : فرع المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ٤٢ شارع سعد زغلول

مطابع الأهرام بكورنيش النيل